

جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية بالمنصورة

# باللغة الفصحى

## دراسة نقدية تحليلية

بقلم الدكتور

أحمد العزير زاده رئيس

الطبعة الأولى

١٤٠٧ - ١٩٨٦ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



## الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَكْبَرُ  
لَمْ يَكُنْ لِّلَّهِ إِلَّا مَا  
يَشَاءُ وَلَمْ يَأْتِ  
عَبْدًا مَّا أَتَاهُ اللَّهُ  
وَمَا أَنْهَا عَنْهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ

مِنْ كِتَابِ الرَّحْمَنِ

تصانیف

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نسألك، أهدنا الصراط المستقيم، ساروا على الذين أنذرتهم الله عليهم، غير الضالين، علية، ولا الضالين.

والصلة والسلام على أشرف الخلق وسيك للرسلين ، سيدنا عبد الله العريف المظلوم ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحبابه ، صلاة وسلاماً دائرين ملائذمين على يوم الدين ، عدد كل معلوم لك ما الله يأوي ما قيم ما على ما عالم .

وہیں

فهذا بحث يلاغى تقدى بنوان « بلادة الفخر - دراسة تقدى عجمليه » ، قد ارتبط ارتباطاً قويأً بيلاغتنا القدىعه ، كما ارتبط ارتباطاً قويأً أيضأ بالفسكر القدى العتيرى فى عمرنا الحديث ، حملوا لا لزوج وبنها فى دراسة جديدة لهذا الباب المهام من أبواب البلاغة العربية ثناير روح الفخر الحديث فى ذات الوقت الذى حافظ فيه على الأدب .

وهذا هو الطريق الأمثل في التجديد - فليا نعتقد . . . . . محمد بد يقتل القديم  
فهما . . . . . محمد بد يحيى القديم أصالحة ، . . . . . محمد بد يحيى الماء الذين خدموا  
النحوس الدينية والمرتبة : من قرآن كرم ، وحديث شريف ، وأدب فصحى  
شم أو شر .

أما التحديد الذي يقوم على عدم التراث بعد العذر لقيمة فهو العذر

- ٦ -

بالقتل المُحقِّق لأمتنا العربية والإسلامية ، ذلك أنْ يهدنا من تراثنا العربي والإسلامي هو أول سراحٍ لهذا القتل ، تقدِّمًا أقسام الأدائل : « أنه إن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها »

وقد قام هذا البحث على مقدمة وسبعة فصول هذه ترجمتها :

القديمة : مدحِّنَ إلى دراسة أساليب التصرُّف في قضايا العدالة الجنائية .  
الفصل الأول : التصرُّف بطريق التقى والاستثناء .  
الفصل الثاني : التصرُّف بطريق إلاغاً .  
الفصل الثالث : التصرُّف بطريق المطف .  
الفصل الرابع : التصرُّف بطريق التقدِّم .  
الفصل الخامس : التصرُّف بطريق تعرِيف ركفي الإساد - أو أحدهما -  
بأجل الجنسيّة .

الفصل السادس : التصرُّف بطريق خمير القصل .  
الفصل السابع : بذلة التصرُّف في حشو المذكر التقديمي الحديث .  
إنَّه من يهدِّئهُم خدمة ثوابات هذه الأمة .  
إنه من يهدِّئهُم خدمة ثوابات هذه الأمة .  
**إلا إلهُ، هو حبيباً ونعم الوكيل** .

المادي في : عيد العزز أبو سريح (أصين)  
عمره سبعين عاماً - ديسمبر ١٩٨٦ م - بيروت - قبور العزز أبو سريح (أصين)  
جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية كلية التربية كلية التربية الإسلامية

## رسالة في الضرر والربح

### مقدمة مدخل إلى دراسة أساليب القصر القصر

#### مادة القصر بين الاصطلاح اللغوي والاصطلاح البلاغي :

ذكر صاحبusan - وهو بصدق الحديث عن تنوع دلالة مادة القصر<sup>(١)</sup> - أنها قد تأتي بمعنى « خلاف الطول »، ومن ذلك الحديث الشريف ، أن أبا إبراهيم جاء النبي صل الله عليه وسلم فقال : على علا يدخلني الجنة ، فقال له صلى الله عليه وسلم : لمن كثرت انتطبة لقد أعرضت للسأة ، أى جئت بالخطبة قصيرة ، وبالسأة عريضة ، يعني قلت انتطبة - أى انتطاب والكلام - وأغضبت للسأة - أى السؤال الذي تريده » .

وقد يكون من قبيل الفرع عن هذا المعنى ، معنى الحذف الذي أورده صاحبusan أيضاً حين قال : « والقصير من الشمر : خلاف الطويل ، وقصير الشمر : كف عنه وغضّ حق قصر ، وفي التنزيل العزيز : ( علّقون رداء وسمّي ومقصرين )<sup>(٢)</sup> ، والاسم منه القصار - عن ثعلب ، وقصير من شمره تتصوره : إذا حذف منه شيئاً ولم يستأصله » .

(١) انظر حديثusan العرب عن مادة القصر ج ٥ / ٣٦٤٤ - ٣٦٥٠ ، طبعة دار المعرف

(٢) سورة الفتح آية ٢٧

كما ذكر أيضاً أنها تأتي بمعنى النهاية، ومن ذلك قول الشاعر :

مش ما يدا لك قصرك الموت لا مُعْقِلْ مده ولا فوت  
كَيْنَمْ غُنْيَ بِيتِه وبِهِجَّته زَالَ الْفَقِي وَنَقْوَضَ الْبَيْتِ

يقال : قصرك أن تفعل كذا ، أى جبلك وكفايتك وغابلك ، وكذلك  
قاربك وقصاراك .

ثم قال : وهو مني الجبس ، لأنك إذا بلغت النهاية جبستك .

ثم توسع في إفاده القصر لمعنى الجبس « فقال عن العلاء ما يفيد ذلك فقال :  
« التهذيب : القصر : الجبس » قال الله تعالى : (١) ( سور مصورات في الخواص )  
أى محبوسات في خواص من الدر ، خدرات على أزواجهن في الجنات ، وأمراء  
متصورة : أى مخدرة » .

« وقال الزراه في تفسير مصورات : قصرن على أزواجهن ، أى جبس  
فلا يردن غيرهم ، هلا يطعن إلى من يوام » .

وهذا المفهوم الأشير هو الذى وقف منه البلاطيون فى تحديد معنى التركيب  
البلاغى الذى أطلقوا عليه « أسلوب القصر » ، فقد قال سعد الدين الفرازى (٢)  
« القصر : تخصيص شىء بطرائق مخصوص » ، أى جبس شىء على شىء آخر  
لا ينط哉 إلى غيره بأحد طرق القصر ، الق ستفصح عنها فيما يلي :

(١) سورة ف الرحمن آية ٧٧

(٢) عصر الثاني ١٣١

طرق المقر :

يقول الله سبحانه :<sup>(١)</sup> (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَاتَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَبْيَانٌ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اتَّقْتَلُمُ عَلَى أَعْقَابِنَاكُمْ وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَى عَقْبِنَا فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا).  
ويقول الله سبحانه :<sup>(٢)</sup> (إِنَّمَا يَلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعٌ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا).

ويقول ابن سناه الثالث عن عبيدة :

بدوينة الأوطان لا حضريّة أطاعان<sup>(٣)</sup> عطرو توبتها لك جيئها  
والدى منها فليها لا توئها والحسن منها طيئها لا كسيئها  
شئاه ما عرف التكھل طرفيها يوماً ولا عرف التخضب كسيئها  
فوارها هو توبتها ، وخباوها هو شيمتها ، ورقبيها هو كليتها

ونقول الأعشى عن مددوجه :

هو الواهب لـالـآلةـ للـصـطـفاـ ؛ إـمـاـ مـخـاصـاـ ؛ إـمـاـ عـشارـاـ

فـالـآيةـ الـأـلـوـىـ : نـجـدـ أـنـ اللـهـ عـزـ وجـلـ قدـ بـينـ أـنـ مـحـمـادـ مـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ  
مـهـمـةـ أـنـ يـكـونـ رـسـوـلـ أـكـبـيـةـ الرـسـلـ الـقـيـمـ خـلـوـاـ مـنـ قـبـلـهـ ، يـبـافـونـ عـنـ اللـهـ  
أـوـامـرـهـ وـتـوـاهـيـهـ ، وـلـاـ يـتـمـدـدـونـ حـذـهـ الـمـهـمـ إـلـىـ غـيرـهـاـ مـنـ اـخـيـاصـ الـأـلـوـيـةـ  
مـثـلـاـ ، كـاـنـلـهـدـ وـبـقـاءـ الـدـائـمـ .

(١) سورة آتى محراث : ١٤٤

(٢) سورة طه : ٩٨

(٣) قال أبو عبيدة : المطنة : الثالثة الريح

فألا يَنْهَا تَقْرِيدُ مُتَبَرِّئِينَ :

الأول : تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وقصره عليهما

والثاني : تقى اختصاص خلود الدائم في الحياة عنده صلى الله عليه وسلم

وطريق هذا التخصيص هو التقى والاستثناء .

وفي الآية الثانية : تمجيد الله عزوجل بقدر الألوهية على نفسه وبنفيها عن غيره

وذلك في أسلوبين :

الأول : إِنَّمَا إِلَهُكُافَ ، أَيْ أَنَّهُ وحْدَهُ ، لَا يَعْدُ أَمْرًا – أمر الألوهية –

إِلَّا عِزَّهُ .

والثاني : لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، حيث ينفي ذلك الأسلوب قدر الألوهية أيضًا عليه

سبحانه ، وبنفيها عن غيره .

وزاد الله عزوجل ذلك الأمر أيضًا وبياناً حينما يحدث عن أحقيته في هذه

الألوهية وانتفاء أن يشير إلى فيها أحد ، فقال عزوجل ( وسَعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ) .

وطريق التخصيص في الأسلوب الأول هو « إِنَّمَا » بينما طريق التخصيص

في الأسلوب الثاني هو التقى والاستثناء .

وفي آيات ابن سناه الملاك تجد عدة أسلوب تفيد التصر ، أي تفيد إنما ينفي

الشيء الشيء بطرق الاختصاص والحبس عليه ، كما تفيد أيضًا حكم التقى لنهر

« لهذا الشيء» الذي جاء له الاختصاص ، فتشاهد يقول ابن سناه : إن محبوته بدورة

الأوطان لا حضريّة ، فثبتت بذلك أنها من جماعة البدو ، فنجدها طهوسين كطبيعة

الحياة التي يخالط بها أهل البدو ، ولا ينارقوتها ، وبنفي أيضًا أن تكون

حضريّة في تزييف ملامح جمالها عليه .

و طريق القصر هنا هو المطاف بكلمة « لا »

ويقول ابن شاه الملاك في البيت الأول أيضًا بحدها نفسه من هيامه بمجموعه :

(عُذْرَنِيَّةَ لَكَ حَبِّيَا) ، فللاحظ عليه أنه قدم المفعول على الفاعل اعتباراً به ، وهذا خطأ ولو قدمه على الفاعل والفاعل إسكنان هذا القدوم مفهوماً للاختصاص فيكون أشد خطأ ، ذلك أن الشاعر يريد أن يفهوم لنا شدة هيامه بمجموعه ، وأسكنه يحيط ، طرق أداء هذا المعنى فينسب عطر ثوب محبوبه ، بل مطر محبوبه ذاتها — إلى جهة ، والأحق أن يجعل الرائحة الزكية قديع منها — كما قال أمرؤ القيس<sup>(١)</sup> .

وإن شفافي عبرة مهراة فهل عند رسم دارس من مموئل  
كذا بك من أم الظهر ثقليها وجاراتها أم الرواب بأمسى  
إذا قامتا تضويع المسك منها نسيم الصبا جاءت برقا القرنفل  
ففاضت دموع العين من صباها حل النحر حتى بل دمعي محلى

(١) شرح الملقات السبع للإمام الأديب أبي عبد الله الحسين بن أحمد الروذني  
٦/٧ ، المهراق : المصيوب ، أرقى النساء وهرقتها وأهرقتها : صبيته ، الممول : أندول  
الرجل : إذا يكره صوت مرتفع ، والعبرة : الدفع ، يقول في البيت الأول : إن عفاني  
من حالي يكون بدموع أصبه ، ثم قال : ولا ينفع البكاء عند رسم دارس ، الدارس : النساء  
يقول في البيت الثاني : إن عادته أن يكون قابيل الحنظ في وصل هذه المرأة كأن كن  
فيها من النساء في مكان جبل مأسى ، وذكر لنا من النساء في هذا المكان أم الظهر ثـ  
وجاراتها أم الرواب .  
والبيت الثالث هو حل الشاهد ، حيث ذكر أن أم الظهر ثـ ، وأم الرواب إذا  
قامتا ناحت ريحنة المسك منها كنسيم الصبا إذا جاءت بمرف القرنفل ونشره .  
ثم وصف حالة في البيت الرابع فقال : لقد سالت دموع عيني من ارتاء وجهي  
بها وفدها جندي إليها حتى بل دمعي حالة سيفي .

وتحايد حديث ابن معاذ اللات عن محبوبته فتنهه يقول : « والليل منها خلها لا قولهاء ففيه قد أحسن كل الإحسان ، إذا أتيت طيوره أن ما يضره منها هو فضلها ، وتفى إلى نفس الوقت ما هو معروف لدى الناس من أن الدليل من النساء يكون في القول ، وبذلك أتيت طيوره الحسن الأول ، والجال الأكل وأكده ذلك أيضاً بأسلوب قصر - على نفس هذه المطريقة - في النطرا الثاني من هذا البيت ، حيث قال : ( والحسن منها طبعها لا كعبها ) فهو مركوز في « أحلاها لا تكتسه عده ما ينظر إليها ، فهنا الفق وإيمات أيضاً .

والقصر هنا بطريق المعرف بكلمة « لا » كما تقدم نظيره .

أما البيت الذي يقول فيه :

سوارها هو خوبها ، وخباوها - هو شمها - ورقيها هو كلها  
 فهو ثلاثة أساليب كلها جامات على طريقة القصر بضمير الفعل الذي يؤكّد  
معنىهن الجملة .

ومن هنا فإن الشاعر يقول : إن سوار محبوبته - أي قلبها - ينوب عنها  
عند اللقاء ، فعن محضر لما يلقاها يقلها لا يجسمها فقط ، وهو يذهب إلى الوادي  
الذي تسكن فيه لكي براهاء حيث خباوها - أي منزلها ومسكنها - هو شعبها .  
وقد يشعر ذلك بشيء من الفق ، فالشعب - أي الوادي - متسع « وربما  
لها أكثر من منزل في أرجاء هذا الوادي .

كما أنه يأتي بقصر ثالث بضمير الفعل أيضاً فيقول : ورقها هو كلها ، أي  
لا رقيب غير السكتب منها .

وقد يشعر ذلك أيضاً بفتحة أحلاها ، أو بتداها ورغد عيشها .

أما بيت الأعشى فإنه يدخل فيه خاصية يأتي من عاده بلطفه يذهب للعيان

الحوامل (الخواض) أو المشار التي قاربت على الولادة من كثرة جوده وكميه  
ولا يذهب غيرها من فوق القوادع من الحال .

وطرق القسر هنا هو تعریف دکن الاستئذان .  
من هنا تكون طرق القسر ستة: النفي والاستثناء، وإنما، والمطف  
«لا»، ومثل «لا» في طريق المطف: لكن، وبل .

هذه ثلاثة :

وأما الثلاثة الأخرى فهي التقدیم، وضمير الفصل، وتمریف دکن إسناد  
الجملة - أو أحدهما - بآل الجنینية .

المزية الفنية المعاونة لطرق القصر السطة:

هذه الطرق السطة هي أحد مجالات الصيحة، والفسكر الأدبي البایع في أداء  
المعانى عند اقتضاء للقيام بما ، ذلك أن الإمام عبد القاهر الجرجاني يقول<sup>(١)</sup> :  
«الفسكر من الإنسان يكون في أن يخبر عن شيء بشيء ، أو يصف شيئاً بشيء  
أو يضعف شيئاً إلى شيء ، أو يشرك شيئاً في حكم شيء ، أو يخرج شيئاً من حكم  
قد سبق منه شيء ، أو يجعل وجود شيء شرطاً في وجود شيء ، وعمل  
هذا السبيل .

«هذا كل فن فسكر في أمور معلومة مدقولة زائدة على الغلط» .

من هنا فإن الأديب عندما يفسكر في إثبات شيء بشيء ونحوه عن غيره عليه  
أن يستخدم وسيلة أو طريقة من طرق القصر التي السالف ذكرها ليس غير  
حق يستطيع الوظاء بهذه الإثبات ، وذلك النفي ، أو بعبارة أخرى حق يزدلي  
معنى القسر ، الذي هو معنى نافع ، أو غرض أدنى يكن في نفس الأدب .

(١) دلائل الأعجمان ٣١٩

و يكون الحال هنا هو معنى القصر — أي إرادة النكمل عَمَّا يُشَرِّكُهُ بشيءٍ  
و قيده عن غيره ، و مقتضى الحال هو استخدام أحد طرق القصر حتى يشير مقام  
الاستعمال — كاستثناء فيما بعد .

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هو بمعنى الكلام مشتملاً على استخدام

طريق القصر الذي يحدده المقام .

والشيء الأول المذكور في قوله : عَمَّا يُشَرِّكُهُ بشيءٍ طريق مخصوص هو  
القصور ، والشيء الثاني هو المقصور عليه ، وقد يكون كل مثماً صفة  
أو موصفاً — على ما سيأتي بعد .

وجملة القصر — كما فهمنا — تؤدي مثنتين : معنى الإثبات ، ومعنى النفي .

ومن هنا فإنها تدخل ضمن التراكيب البلاغية الجيدة ، ذلك أنه يمكن  
التبديل عن معنى القصر بمحنتين ، إحداهما مثبتة ، والأخرى مفنة ، ولكن بعدل  
الأدلة ، من ذلك إلى جملة القصر عند طلب القام لها ، لكن يكون نظمه

ذا مزية فنية .

يقول الإمام عبد القاهر : « وإنما تكون للزينة ، و يجب الفضل إذا احتجل  
— أي الأسلوب — في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ، ثم  
رأيت نفس تبيه عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذى جاء عليه — أي

الأسلوب — حسناً وقولاً يتذمّرها إذا أنت تركته إلى الثاني .

« أما إذا كان — الأسلوب — بيئلاً لا يتحقق إلا الوجه الذي هو عليه حق  
لا يشكل ، وحق لا يحتاج في فعل — بيان ذلك حقه وأنه الصواب — إلى فكر  
وروية ، فلا مزية » .

ومن هنا كانت طرق القصر أنت التي ذكرها البلاغيون معتبرة محترمة ،  
فلا يدخل فيها كل أسلوب يفيد القصر غيرها .

## **مناقشات حول طرق القصر :**

## ١ - مع الشیخ سلیمان نواد :

حاول الشيخ سليمان نوار في مذكرةه في الفصل والفصل والتصرّف، التوصّع في تعریف القسر متأثراً — وفق ما نرى — بدراسة الأصوليين، وكما يتضمن ذلك فيما بعد، فقال<sup>(١)</sup>: « دلالة جملة واحدة على اختصاص أمر بأخر ، سواء كان منها تلك الملاحة الوضم ، أم المقل ، أم الذوق ».

وهو بهذا التعريف يدخل مثل قولهما : قصرت كذا على كذا ، وقولنا :  
هذا مقصود على كذا أو مخصوص عليه ، وقول الله سبحانه (٤) : (يختص برحمته  
من شاء ) ، وقول الشاعر :

ونحن نرى أن مثل هذه الأساليب - كرأى عبد القاهر - يعزل عن الراية  
النبلة إذا أربدها مفع القصر، ذلك أنها قد أدت المف بالطريق بين الذى  
لا يتحمل إلا الوجه الذى هو عليه حتى لا يشكل ، وحق لا يحتاج في العمل إلى

(١) انظر مذكرة الشیخ سلیمان نوار فی الفعل والوصل والنصر ص ٣ -

(٤) سورة آل عمران ٤٧، وبيانها داخلاً على القصور عليه، يقال: خصه به بالشيء وانتصره به أي أفراده به دون غيره (أنظر لسان العرب مادة خص).

فَكُرْ وَرْوِيَةُ ، وَالْتَّراكِيبُ الْبَلَاغِيَّةُ لَا بُدُّ أَنْ يَكُونُ فِيهَا قُدْرٌ مِّنَ الْمُوْضِعِ  
الْفَقِيْهِيِّيَّةِ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَيْ فَكُرْ وَرْوِيَةٍ<sup>(١)</sup> .

كَأَنَّ الْإِمَامَ السَّكَاكِيَّ أَكَدَ أَنَّ هَذِهِ الْطُّرُقَ اسْتِعْصَامًا حَيْثُ قَالَ<sup>(٢)</sup> :

« وَهَذِهِ الْطُّرُقُ تَنْتَقِقُ مِنْ وَجْهٍ ، وَجُوَوْ أَنَّ الْخَاطِبَ مِمَّا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ حَاسِكًا  
حَكَامًا مُشَوِّبًا بِصَوَابٍ وَخَطَا ، وَأَنْتَ تَطْلَبُ بِهَا تَحْقِيقَ صَوَابٍ وَنَقْ خَطَا » .

وَتَوَكَّدُ كَمَا تَوَلَّ بِأَنْ مَادَةً (خَصْ ) الَّتِي تَفِيدُ الْأَخْتَصَامَنِ لَا تَنْهِيَدُ مَعَ  
الْإِثْبَاتِ وَالْنَّفِقِ — كَاهُونَ بِالْقُصْرِ — إِنَّمَا تَنْقِيَ الْغَرْدُ الْذِي هُوَ غَرْدُ  
الْمَشَارِكَةِ ، أَوِ الْانْفَرَادُ الَّذِي هُوَ خَلَافُ الْمَسْوَمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّاغِبُ  
الْأَسْنَهِيَّ<sup>(٣)</sup> : « الْتَّخْصِيصُ وَالْأَخْتَصَامُ وَالْمُخْصُوصَةُ وَالْمُخْصَصُ : غَرْدٌ يَعْنِي  
الشَّيْءَ يَعْنِي لَا يَشْرَكُ فِيهِ الْجَلْهُ ، وَذَلِكَ خَلَافُ الْمَسْوَمِ وَالْتَّعْمِيمِ » .

هَذَا ، وَقَدْ رَدَ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَبُو مُوسَى مَقْلَةُ الشِّيْخِ سَلَيْمَانَ نَوَازَ هَذِهِ فَقَالَ<sup>(٤)</sup> :  
« كَسَرَ هَذَا الْقَيْدَ .. يَعْنِي قَوْدُ طَوقِ الْقُصْرِ الْمَرْوَفُ لِدِي الْهَلَّاجِينَ — إِنَّمَا  
يَحْمِلُ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْبَابِ بِغَيْرِ مُنْضَبِطٍ » ، فَضَلَّا عَنْ أَنَّ الصُّورَ الْكَثِيرَةَ الدَّاخِلَةَ  
فِيَهُ لَيْسَ وَرَأَهَا أَعْتِيَارَاتٍ بِلَاغِيَّةً » .

#### ٤ - مَعَ الدَّكْتُورِ إِبرَاهِيمِ أَبِيسِ :

إِذَا كَفَا قَدْ اخْتَلَقْتَنَا مَعَ الشِّيْخِ سَلَيْمَانَ نَوَازَ فِي تَفْعِيلِ الْبَابِ عَلَى مُعْرَاجِيَّةِ

(١) يَكُونُ هَذَا الْمُوْضِعُ فَهُوَ تَرَاكِيبُ أَسَالِبِ الْقُصْرِ عِنْدَ الْبَحْثِ فِي مُنْظَرِهِ  
وَمَفْهُومِهِ ،

(٢) مِنْتَاجُ الْعِلُومِ ١٧٧

(٣) مَدْرَدَاتُ الْقُرْآنِ : مَادَةُ خَصْ ، ص ٤٤٩

(٤) دَلَالَاتُ التَّرَاكِيبِ ، ص ٤٤٢

لأسلوب القصر ، فإننا نختلف أيضاً مع الدكتور إبراهيم أليس الذي يوحى كلامه الشامل في دراسة موضوع النفي المنفي - في كتابه (من أسرار اللغة) بخارج أسلوب النفي والاستثناء من هذه الأسلوب ، وجمله وسيلة من وسائل تأكيد النفي .

وها عن تحفظ بعض عباراته في هذا المجال ، يقول الدكتور إبراهيم <sup>٦</sup> أليس <sup>(١)</sup> : « والذى قد يثير اهتمام المخمر الحق هو « إلا » حين تسبق بالنفي ، وهو ذلك الاستعمال للمعنى عند طلبنا ذهن بالقصر ، مثل <sup>(٢)</sup> : ( وما عاد إلا رسول ) ، فقد دق على أذنان يفهم معنى هذا الاستعمال ، وموضع الكلام الذى تتطلب ، وأكثف أهل البيان بأن عرضوه ، علينا كوسيلة من وسائل القصر ، منها في هذا مثل <sup>(٣)</sup> : ( إنما أنت نذير ) » .

ثم يقول بعد استعراض حديث عبد القاهر الذى يشرح ويقارن فيه معنى القصر لكل من إنما ، والنفي والاستثناء <sup>(٤)</sup> : « وليس يكفى الربط بين الاستعملين أن يكون كل منها وسيلة من وسائل ما يسمى بالقصر ، لأن القصر لا يصدو أن يكون تأكيداً للكلام ، وبمالة في توضيح الأحكام وثبيتها في الأذنان » .

كما يقول أيضاً <sup>(٥)</sup> : « إن استعمال « النفي مع إلا » كان في أصله وفي معناه ما جاءنا من نصوص قديمة لا ينفي ظاهر معناه ، ولكنها وسيلة من وسائل التبيح والتعمريض يهدف بها لاقلام إلى تأكيد النفي في كلام سابق » .

(١) من أسرار اللغة ١٨٨

(٢) آية كريمة من سورة آل عمران ، رقم ١٤٤

(٣) الآية رقم ١٢ من سورة هود .

(٤) من أسرار اللغة ١٩٠

(٥) للرجوع السابق ١٩١

(٢- بخلاف القصر )

ثم يستعرض بعد ذلك مثلاً عاملاً يترفع أن يكون في بعثنا هذا ، بين النصوص الأدبية الفصحى ، ثم يقول<sup>(١)</sup> : « ويختل إلى أن آثار الاستعمال القديم » النهى مع إلاه « قد بقيت لها في مثل هذا الأسلوب الذى في لمحاتنا الحديثة ، وأن ما ندركه الآن من مثل هذا الاستعمال ليلى ضئلاً على الاستعمال القديم الذى أوشك الكتاب والشراء أن يهدوا به عن أصله .

« ولا يمتنعا إلى أي مدى قد تطور هذا الاستعمال في الكتابة يقدر ما يمتنعا الأصل منه ، وكيف أفاد هذا المدى الذي تقرره هنا » .

وأمست أدرى ماذا يقصد بالمعنى الذى يقرره هنا ، لأنه قد استعرض على الفور عدة نصوص قرآنية ، مؤكداً على أنها تؤدي معنى تأكيد المعنى الذى وصفه من خلالات بأنه استعمال قديم وأنه قد تطور واحد عن أصله .

والأسلوب الذى استعرضها تقييد التصر ، وقد يكون هو المعنى المنطور الذى يقصده ، لكن ذلك يختلف ما يشير إليه كلامه حيث يقول<sup>(٢)</sup> : « لقد استعرضت كل الآيات القرآنية التي وصف فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر أو نذير أو رسول ، وهي :

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ تَظْفَلْنَاهُ لِنَكَادُونَ  
مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأَنْتَ يَا يَةٌ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } سورة الشراة<sup>(٣)</sup>

قَالَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا  
قَالَ هُمْ رَسُولُنَا إِنْ مَنْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } سورة إبراهيم<sup>(٤)</sup>

(١) الوضع السابق .

(٢) من أسرار اللغة ١٩٦٢

(٣) سورة الشراة : الأولى رقم ١٨٧ ، والثانية ١٥٤

(٤) سورة إبراهيم : الأولى رقم ١٠ ، والثانية ١١

سَهْلًا إِلَّا بَشَرٌ مُثْلِكٌ يَرِيدُ أَنْ يَقْضِلَ عَلَيْكُمْ } سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (٢٤)  
سَهْلًا إِلَّا بَشَرٌ مُثْلِكٌ يَا كُلَّ مَا تَأْكُلُونَ (٢٥)  
عَالَوْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُثْلِكٌ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ (٢٦)

ففي كل من هذه الآيات نلحظ أن المراد الأساسي هو نفي صفة الألوهية عن الرسول ، أو أنهم ملائكة ذوي قدرة خارقة فوق مقدور البشر ، فهو كلام يشير إلى أمر سابق وبذكراً فيه « . »

ومعنى أن أقول بعد ذلك : إن حديثه اللاحق لما قدمنا يشير إلى تراجعه عن إخراج هذا الأسلوب - النفي والاستثناء - من أساليب القصر ، وأكتفاته بمقابلة الإمام الرأزي قوله عند التفريق بين القصر وإنما والقصر بما وإلا رغم زعمه أن هذا الكلام من بنات أشكناز ، وإن كان لنا على ذلك بعض التحفظ ، وسنذكر تفصيل ذلك بعد حين .

#### النشأة المدنية لأسلوب القصر ، واحتضان الدراسات الفينيقية لها :

إذا كان من الثابت بغيرتين أن أول الدراسات المدنية المنظمة التي وردت عن العرب هي الدراسات الفينيقية للقرآن الكريم والحديث الشريف فإن من المؤكد أن هذه الدراسات حظيت بقصب السبق في دراسة أسلوب القصر ، وليس ذلك إلا لسكنة وجودة في القرآن والسنة .

ولتدعيل على ما نقول نذكر مقوله ابن دقيق العيد الذي رواها الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حمير المسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري

(١) سورة المؤمنون : الملا رقم ٢٤ ، والثانية ٣٣

(٢) سورة يس آية ١٥

فـالتعليق على الحديث الشريف (إنما الأعمال بالنيات) حيث قال<sup>(١)</sup> : «استدل على إفادة «إنما» المحرر بأن ابن عباس استدل على أن الزها لا يكون إلا في النية بعد الحديث (إنما يرد بمعنى النية) ». [١]

وإذا كانت هذه المفردة من ابن دقيق العيد تنسبه القول بإفادة «إنما» المحرر لأن عباس روى أنه عنه فإن هذا المعلم أكد لهذا الفهم للصحابي جعفر حين قال في التعقيب على ما نقل من استدلال الإمام ابن عباس : «وعارضه جعامة من الصحابة في المحرر - أي في حكم كون الربا محصوراً في النية - ولم ينافيه في فهمه ، مسكن كالاتفاق منه على أنها تفيد المحرر ». [٢]

ويذكر كذلك ما يقول ابن دقيق العيد من حدوث الاتفاق على إفادة «إنما» المحرر تلقي عباد بن جبير - ثم عليه ابن عباس روى أنه عندهما - على «إنما» في الآية الكريمة<sup>(٢)</sup> ( وإذا قيل لهم لا ينتسبوا في الأرض قالوا إنما أعن مصلحون ) حيث يقول : « تلك الملاة هدى وصلاح وليس بهم ». [٣]

ورغم هذا التأكيد كله على إفادة «إنما» معنى المحرر يدور خلاف بين الأئمة بينهم : هل تفيد «إنما» مطلقاً معنى المحرر أم يكون ذلك إذا وقعت في الاستثناء موقعاً للففي والاستثناء ؟ [٤]

نعم إذا كانت تفيد هذا المعنى ، هل يفاد بها له بالبطريق أو بالنهي ؟ [٥]

وهل تفهم هذا المحرر بالوضع أو بالعرف ؟ [٦]

نعم أم يكون ذلك بالكتفنة أم بالخاز ؟ [٧]

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر المستلاني ج ١ / ٤٧ - نظر دار المرغنة - بيروت .

(٢) سورة البقرة : ١١ ، وانظر مثولة مجاهد في البقرة المحيط ج ١ / ٦٥

ذهب المتفق إلى أنها تزيد القسر بالمنطق وضعاً حتىتها وأى تقييد - على سبيل المثال كيد الإثبات والنقض دفعة واحدة ، وهي موكبة من (أى) التي يغدو كيد ، و (ما) الزيادة للغاء كيد أيضاً ، وقد قلل ذلك - كي يقول ابن حسرو المسنطاني - شيخ الإسلام عن جميع أهل الأصول من المذاهب الأخرى للايمان كالألماني وابن عطيه الذي قال :<sup>(١)</sup> « إن (إنما) لفظ لا يفارقه المياومة والتلاؤ كيد حيث وقته ، ويكون للحصر عذراً ، ويعتاد في هذا إلى قرينة ». .

وذهب بعض الأصوليين إلى أنها تقييد مفهوم القصر بالمقروء ، ذلك لأن لفظ (إن) ينفي الإليات ، واقرظ (ما) بفتح الفي (٢٣) ، ومن هنا يكون مفهومها التركيبي التق والاستثناء ، يعزز ذلك ويزيده استعمالها استعمال التق للاستثناء كقوله تعالى : (إِنَّمَا تَحْذِفُونَ مَا كُتِّبَ تَعَلَّمُونَ) وكقوله (وَمَا تَجِدُونَ إِلَّا مَا كُتِّبَ تَعَلَّمُونَ) وقوله : (إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) وقوله : (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ) ، الم

كما تؤكد ما تقول من احتضان الدراسات الدينية لنشأة العلية للأصوليين القصر بمحدث التناقض بين الأصوليين الشافعية منهم والحنفية حول الاستثناء من الفقيه والاستثناء من الأعيان ، حيث يرى الشافعية أن الاستثناء من الفقيه

(١) انتظار نفتح الباري ج ١ / ١٢ ، ٤٣ ، هذا ، وقد تبرأه أبو حيان من التحاء ، واستدل على ذلك ببيانه على باقي آخواتها عند التحقيق « وما » بإزاءه برهن ، حيث لا يعيدهن الحصر ، فكذلك « إن » ، وسيأتي هذا الرأي والرد عليه ( البحر المحيط ج ٦١ ، الشهر للدارج ج ١ / ٦٦ ) .

(٢) فند هذا الرأي ابن هشام في كتابة (النبي)، وسند ذكر ذلك في حفيه، كما قال أبو جان عن صاحبه إنه غير مارد بالتحو (البصري المحيط ٤/٥٦)، وهو  
لشارد ج ١ / ٦٦).

إثبات ، ومن الإثباتات التي يدلل على أن القائل إذا قال : (لا إله إلا الله) كان موسداً متيقاً للألوهية فهو سبحانه وتعالى ، ونافيا لها حما سوء ، ولو كان نافيا للألوهية عما سوى الله تعالى غير مثبت لها بالنسبة إلى الله تعالى ، لما كان ذلك توحيداً فهو تساؤل لعدم إشمار لفظه بإثبات الألوهية لله تعالى ، وذلك خلاف الإجماع<sup>(١)</sup>.

بينما يرى الأحناف أن الاستثناء من النفي لو كان إثباتاً لسكان معنى الحديث للشريف (صلاة لا بظور) : كل صلاة بظور حسنة ، وهذا باطل<sup>(٢)</sup> ، لأن بعض الصلاة المقصورة بالظبور باطلة ، كالصلة إلى غير جهة الفولة ، والصلوة بدون نية ، ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

هذا هو حديث الاستثناء من النفي ، أما الاستثناء من الإثبات مثل ما استشهدوا به من قول الغر : (له على عشرة إلا ثلاثة) ففهم فيه خلاف

(١) انظر كتاب الأحكام في أصول الأحكام للعلامة سيف الدين أبي الحسن علي الأحسبي ج ٢ / ١٣٨ - مطبعة محمد على صحيح ١٩٦٨ م.

(٢) يقرب الأحسبي هذا التحليل بقوله : إذا قال القائل : لا عالم في الله إلا زيد ، كان ذلك من أول الأفاظ على علم زيد وفضله ، وإن كان ذلك متقدراً إلى فهو كل صالح لزيد ، ولو كان نافياً للعلم عما سوى زيد ، غير مثبت للعلم في ذلك . وعلى هذا التحريف كل ما هو من هذا القبيل

(٣) يرى الأحناف أن المراد بالاستثناء إخراج المستثنى عند دعوه في المستثنى منه ، وأن هذا الخروج غير مترتب لذاته ولا لإثباته .

(٤) آخر الأحناف الجبار والغبرور بعد « إلا » خيراً ، بينما الشافية يدفعون هذه للعن الوارد بعد المستثنية بغير ابتداء الجبار والغبرور خالاً ، وهي هنا يمكن المدى في الحديث المذكور : لا صلاة جائزة في حال من الأحوال إلا في حال القراءة بالظبور .

هذا ومثل الحديث الشريف المذكور الأحاديث الزيوية : لانكح إلا برق ، لاصوم لمن لم ينتهى الصيام ، لانتبعوا البر بالبر إلا سوء حسواء .

ومذاهب ، ليس مكانها هذا التبادل ، وإنما المكان لأن الإشارة إلى عناصر جهد الأصوليين في هذه النشأة الملدية .

وبطريق البحث الدقيق أيضاً إلى حديث الاستثناء من غير الجنس كاف الآية السكرية<sup>(١)</sup> (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن فتفقق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وفربيه أولياء من دوني وهم ليس لهم عدو ، بتس لظالمين بدلاً) .

وإلى حديث الاستثناء من الاستثناء ، كاف قوله عز وجل<sup>(٢)</sup> : (قال فما خطركم أرباً الرسلون ، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمون ، إلا آل لوطن إنا لم نجوم أجمعين ، إلا أمرأته قد رنا إنها ملن الفابرين) .

وليس لنا أن نتوسع في حديث الدراسات الدينية لأسلوب التصر ، فهذا غير مجالنا الآن ، لأن مهمتنا الأولى هي الحديث عن القصر في الدراسات البلاغية ، فحسبنا هذه الإلإمامية التي تم من احتضان الدراسات الدينية الأصولية لنشأة الملدية لهذا للبحث البلاغي المقام .

#### جذور البحث البلاغي لأسلوب التصر :

من المسلم به أن يأخذ البحث البلاغي الأحسن التي وضعتها البحث الدقيق فيقيم عليها بناءً بنيان الدراسة البلاغية لأسلوب التصر ، ومن المسلم به أيضاً أن كتاب سيدويه أول كتاب يمكن أن تستمد عاليه في مجالنا الذي نحن فيه ، وألم ما يمكن أن تشهد إليه هو القاطط إمام القراءة لنفهم الإمام ابن عباس معنى

(١) سورة السكينة : ٥٠

(٢) سورة الحجر : ٥٧ - ٦٠

الخصوص من الحديث الشريف (إنما الباقي في النسخة) وتوظيفه له في خدمة الأساليب المربيّة وبيان مقاماتها الندية، وذلك باستغلاله هنا للمعنى في طريق آخر، هو طريق النعمة، (لا)، فقال<sup>(١)</sup>: «ومنه - أي من النعم - سررت برجل راكع لا ساجد، لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما».

فمن إذ نظر إلى تحميل سببويه بعده أن مقام مثل سببويه ونظائره يمكن أن يكون مقام رد وإذلة شك المخاطب المتعدد في وصف الرجل بأحد الوصفين إركوع أو السجود، وهذا ما ذكره البلاغيون المتأخرون بعد ذلك تحت اسم قصر العومن.

كما يمكن أن يكون مقام تأكيد من المتكلم يقى خطأ المخاطب الذي يعتقد انتصار الرجل بالركوع وليس بالسجود، وهذا ما ذكره البلاغيون المتأخرون بعد ذلك أيضاً تحت اسم قصر القاب.

ثم ننتقل إلى النساء، فقارأة تحدّث فيه الإشارة الإمام ابن عباس سالفه الذكر وأوضأه جداً، حيث يقول ابن قتيبة في كتاب (تأويل مشكل القرآن) - باب الخذف والاختصار<sup>(٢)</sup> -: «وقد يشكل الكلام وينقص بالاختصار والإضمار كقوله سبحانه<sup>(٣)</sup> : «إني لا يخاف لدّي الرسلون، إلا من ظلم تم بذلك حسنة» بعد سوء ظن غفور ورحمه»، ثم يقع الاستثناء من المسلمين، وإنما من معنى مضرف الكلام، كأنه قال: «لا يخاف لدى الرسلون، بل غيرهم الخائف، بل من ظلم تم فإنما لا يخاف، وهذا قول النساء».

(١) كتاب سببوبة ج ١ / ٤٣٠

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٦٩ (بصرف)

(٣) سورة النحل: آية ١١، ١٠

وتارة تجد بناءً عظيمًا ، وتنمية رشيدة لسكلام كل من الإمام ابن عباس وسيبويه مما ، حيث ينقل أحادي بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة و السنن للمرجع في كلامها) - باب إيمان - عن الفراء ما نصه<sup>(١)</sup> : « سمعت علي بن إبراهيم القطان يقول : سمعت علي يقول : سمعت سلمة يقول : سمعت الفراء يقول : إذا قلت : (إيمانك) فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلا القيام ، وإذا قلت : (إيماناً قاماً أنا) فإنك نفوت القيام عن كل أحد وأثبته لنفسك » .

قال الفراء : يقولون (ما أنت إلا أنت) فيدخل في هذا الكلام الإفراد ، كأنه أدعى أنه أخ وموئل وغير الآخرة ، فتفق بذلك ما سواها .

قال : وكذلك إذا قال (إيماناً أنت أنت) .

قال الفراء : لا يكونان أبداً إلا رداً ، يعني أن قوله (ما أنت إلا أنت) و (إيماناً قاماً أنا) لا يكون هذا ابتداءاً أبداً ، وإنما يكون ردًا على آخر ، كأنه أدعى أنه أخ وموئل وأشياء آخر ، فتفاه وأقر له بالآخرة ، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء ، سوى القيام فتفقها كلها بما خلا القيام .

وقال قوم : (إيماناً) ممناه التحقيق ، تقول : (إيماناً أنا بشر) محقراً لنفسك ، وهذا ليس بشيء ، قال الله جل شأنه<sup>(٢)</sup> : (إيماناً الله واحد) مأني التحقيق هاعنا ؟

وتحت عنده تحليل هذا النص تستطيع أن تقسيء إلى عدة نصوص :

أولاً قوله : « إذا قلت (إيماناً قت) فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلا القيام »  
وإذا قلت : (إيماناً قاماً أنا) فإنك نفوت القيام عن كل أحد وأثبته لنفسك » .

(١) الصاحبي ١٠٥ / ١٠٦

(٢) سورة النساء : ١٧١

وَتَانِيَهَا قوله : « قال المرأة : يقولون ( ما أنت إلا أخني ) فيدخل في هذا الكلام الإفراد ، كأنه ادعى أنه أخ وموالٍ وغير الأخوة ، فنفي بذلك مساواها . قال وكذلك : إذا قال ( إنما أنت أخني ) .

وَثَالِثَهَا قوله : « قال المرأة : لا يكونان أبداً إلا رداً ، يعني أن قوله ( ما أنت إلا أخني ) و ( إنما قام أنا ) لا يكون هذا ابتداء أبداً ، وإنما يكون ردًا على آخر ، كأنه ادعى أنه أخ وموالٍ وأشياء أخرى ، فنفيه وأقرّ له بالأخوة ، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها كلها ما خلا القيام .

وَرَابِعَهَا قوله : « وقال قوم : ( إنما ) ممناه التحقيق ، تقول : ( إنما أنا بشر ) محقّقاً لنفسك ، وهذا ليس بشيء ، قال الله جل شأنه : ( إنما الله إله واحد ) فلابد من التحقيق عما نسبنا له » .

والقص الأول : يشير إلى اختلاف المفهوم وتغييره عند تغيير الفظ المتأخر في الجملة ، وهي ما سمي فيما بعد باسم المتصور عليه .

فالمثال ( إنما قلت ) ينفيه . كذا ذكر المرأة . أنك ثنيت عن نفسك كل فعل إلا القيام .

والمثال ( إنما قام أنا ) يقيده . كذا ذكر المرأة . أنك ثنيت القيام من كل أحد وأثبته لنفسك .

ولعل هذا هو أول تقسيم لاقصر حيث المثال الأول يشير إلى قصر الموصوف على الصفة ، والمثال الثاني يشير إلى قصر الصفة على الموصوف .

والقص الثاني : يشير إلى تغافل الأديب في استعمال أدوات التصر الخاطئة بعد دراسته لمقام الكلام .

فالمثال ( ما أنت إلا أخني ) يستعمل في مقام الرد على المخاطب الذي يدعوه

أن للتكلّم أخْ وموْلَى وأشْياءُ آخِرٍ ، حيث يكُون مِرَادُ التَّكَلُّم إِنْفَادُ صَفَةَ الْأَخْرَوَةِ لِلْمَخَاطِبِ دُونَ غَيْرِهَا ، وَهَذَا مَا قَدَّمَهُ الْبَلَاغِيُونَ لِلْآخَرُونَ فِيهَا بِمَدْحُوتِ اسْمِ قَصْرِ الْإِنْفَادِ .

وَالثَّالِثُ (إِنَّا أَنْتَ أَخِي) قد يكون عَلَى غَرَارِ (مَا أَنْتَ إِلَّا أَخِي) إِذَا اعْتَدْنَا هَذَا التَّقْدِيرَ أَيْضًا — كَمَا قَالَ الْفَرَاءُ — وَقَدْ يَكُونُ الرَّدُّ عَلَى مَخَاطِبِ زَعْمِ زَعْمًا يُخَالِفُ اعْتِقَادَ التَّكَلُّم ، كَمَا سَيِّدَ كُوَّفَ الْفَرَاءُ فِي النَّصِّ الثَّالِثِ .

النص الثالث : يجمع بين أدواتي التصر (ما) و (إلا) و (إنما) في كونها — كَمَا قَالَ الْفَرَاءُ — لَا يَكُونُان فِي ابْعَادِ التَّكَلُّم ، وَإِنَّمَا يَكُونُان قَرْدًا عَلَى مَخَاطِبِ زَعْمِ زَعْمًا يُخَالِفُ اعْتِقَادَ التَّكَلُّم ، سَوَاءً كَانَ هَذَا الْاعْتِقَادُ أَنْ يَدْعُوا أَنَّهُ أَخْ وَمَوْلَى وأَشْياءَ آخِرٍ ، فَيَنْتَهِي لِلْتَّكَلُّمُ كُلُّ ذَلِكَ وَلَا يَقُولُ إِلَّا بِالْأَخْرَوَةِ ، كَمَا فِي الْمَثَالِ (مَا أَنْتَ إِلَّا أَخِي) ، أَوْ أَنْ يَدْعُوا أَنَّهُ كَانَ مِنَ التَّكَلُّمِ أَشْياءً سَوَى الْقِيَامِ فَيَنْتَهِي كُلُّهُ مَا خَلَ الْقِيَامِ ، كَمَا فِي الْمَثَالِ (إنما قلت).

وَقَدْ تَأْخُذُ عَلَى الْفَرَاءِ سِيقَ قَدْهُ فِي تَحْلِيلِ الْمَثَالِ (إنما قَامَ أَنَا) فِي هَذَا النَّصِّ حيث كَيْا يَعْدِلُهُ بِقَوْلِهِ فِي تَحْلِيلِ اعْتِقَادِ الْمَخَاطِبِ (أَوْ زَعْمِ زَعْمَهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْكُمْ أَشْياءً سَوَى الْقِيَامِ فَيَنْتَهِي كُلُّهُ مَا خَلَ الْيَمَامِ .

وَالصَّوابُ مَا قَالَهُ فِي تَحْلِيلِ هَذَا الْمَثَالِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ ، أَعْنَى قَوْلِهِ (فَإِنَّكَ نَفَوتَ الْقِيَامَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَأَبْيَهُ لِنَفْسِكَ) .

وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ تَبَيَّنَ الْمَثَالُ الَّذِي ذُكِرَ .

أَمَّا النَّصُّ الْأَرْبَعُ فِي ردِّهِ الْفَرَاءِ مَقَالَةً مِنْ قَالَ : إِنْ (إنما) تَأْنِي لِلْتَّحْقِيرِ ، وَيَسْتَهِنُ بِهِ هَذَا الرَّدُّ بِالْقُرْآنِ السَّكُونِ حِيثُ قَالَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ : (إِنَّمَا أَنْتَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ، كَمَا قَالَ مِنْ رَسُولِهِ : (إنما أَنَا بَشَرٌ) .

ثم وأني واستفهام مجازي يؤكد به رده المقدم لهذه اللقولة يقول : (فأين  
التحبير هنا ؟ ) .

ولا يملك أحد بن فارس صاحب كتاب الصاحبي إلا أن يعتب بما يزيد  
استشهاد الفراء ، فيقول مستشهدًا بالحديث الشريف أيضًا<sup>(١)</sup> : « ولذى قاله  
الفراء صحيح ، وجبيته قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الولام من أعمق) » .

فهذا الحديث يشير - دون شك - إلى المظلمة الباقية بعد المتقى للسيد الذي  
يعتقى عبد ، أعلى عقلمة الولام ، وهي ليست المظلمة السابقة على المتقى ، حيث  
كانت عظمة الامتلاك والسيطرة والقدرة ، إنما هي عظمة أعطاها له الإسلام  
لما يكون ذلك نوع تفضل ونوع تكرم ونوع وفاء ، ومن هنا يكون هذا  
الاستشهاد كاستشهاد الفراء لا مجال للتحبير فيه .

و قبل أن نترك هذه النقطة نود أن نقول : إن ما أشار إليه وسمه من معرف  
للتتحبير هو حماوة لطمس آراء للدراسة النحوية البصرية ، ذلك أن الفراء هو  
أحد كبار الطبقات الكوفية الثالثة<sup>(٢)</sup> .

وقد اعتقدت أن لا تعارض بين أن تقول (إنما) كلام المعنيين ، كل في مقامه  
ومناسبيه ، فقامات الأسلوب تتسع لها ولغيرها .

(١) الصاحبي ١٠٦

(٢) انظر من ١٠١ من كتاب ثلاثة النحو وتاريخ آخر النحو تأليف الشیخ  
محمد الطنطاوى ، وتعليق الدكتور عبد المطلب الشناوى ، والدكتور محمد عبد الرحمن  
السکردى ، هذا ، وتحتم الطبعة الكوفية الأولى أبو جعفر الرقانى ، صاحب أول  
مؤلف في النحو ، وهو كتاب يصل ، وأبو مسلم معاشر الفراء المتوفى سنة ١٨٧ هـ ،  
كان تضم الطبعة الثانية أبو الحسن البکائى المتوفى سنة ١٩٦ هـ .

على أن بعض علماء الأندلس قد جمع ماقاله البصريون والكوفيون عن (إنما) فقال<sup>(١)</sup> : « (إنما) عند البصريين لما مذهباً : أحدهما : تخفيف الشيء وتفليله ، والثاني : الاقتصار عليه .

« فاما احتصار الشيء وتفليله ، فلكرجل يزعم أنه يجب المبادىء وبؤاسى الناس بهـ ، فنقول : إنما وحيت درهما ، تخفف ما صنع ولا تعتقد شيئاً .

« وأما الاقتصار على الشيء ، فنحو رجل سمعته يقول : زيد شجاع وكرم وعاقل وعالم ، فنقول : إنما هو شجاع ، أى ليست له من هذه الصفات الثلاث غير الشجاعة .

« وستعمل (إنما) أيضاً في رد الشيء إلى حقيقته ، إذا وصف بصفات لا تليق به ، كقوله تعالى : (إنما الله إله واحد) ، وقوله : (إنما أنا بشر مثلكم) ، وهذا راجح إلى معنى الاقتصار .

وذكر الكوفيون أنها تستعمل بمعنى النفي - أى والإيات - واحتسبوا يقول الفرزدق :

أنا الزائد على القمار وإنما يدانع عن أحاسيمهم أنا ومثل  
و قالوا : معناه : ما يدفع عن أحاسيمهم إلا أنا أو مثلي .

وأول ما يستلفت النظر في هذا الحديث هو أن البصريين والكوفيين مختلفون على إفاداة (إنما) معنى الحصر ، ذلك أن معنى الاقتصار عند

(١) الانتساب في شرح أدب السكتاب لابن الصيد الظاهري ص ١٧/١٨ - دار  
المطبعة بيروت ١٩٧٣م ، والأبيات المذكورة في النص : الأولى : سورة النساء ٦٧١  
والثانية : سورة السكوت : ١١٠

البعريين - فبما أعتقد - لا يختلف عن قول السكوفيين إنها تأثر بمعنى النفق والإثنات .

ثم أقول معتبراً على حديث ابن السيد البطليوسى السابق<sup>(١)</sup> : إنه قد ظاب عنه بعض المأمور أيضاً ، مثل معنى التعمير من قوله سبحانه : (إنما يتذكرة ألوه الآيات)<sup>(٢)</sup> ، وهو معنى مشهور لدى الدارسين .

ولذا كان السكوفيون قد ذكروا في دلالة (إنما) على معنى الحصر كونها يامن الفقى والأصوليين ، فإن ابن جحى تكلم أيضاً عن دلالة التقدير على معنى التصر من خلال جمل الفقى مسوغة انتدراهم التكثرة في اللتل العربى الشهور (شهر أهر ذات ناب) حيث قال<sup>(٣)</sup> : « وأما قوله (شهر أهر ذات ناب) فإنه جاز الارتفاع فيه بالشکرة من حيث كان الكلام عائداً إلى معنى النفق ، أى ما أهر ذات ناب إلا شهر ، وإنما كان المعنى هذا ، لأن الخبرية عليه أقوى ، الاترى أنه لو قلت : أهر ذات شهر ، لكتبت على طرف من الإخبار غير مؤكدة ، فإذا قلت : ما أهر ذات ناب إلا شهر ، كان ذلك أو كد ، الاترى أن قوله : ما قام إلا زيد ، أو كد من قوله : قام زيد .

« وإنما احتاج إلى الفوائد في هذا الوضع من حيث كان أمراً عائياً مهماً ، وذلك أن قائل هذا القول مع هرير كلب ، فاضاف منه وأشتق الاستئصال

(١) هو عبد الله بن السيد البطليوسى ، أحد أعلام مدينة بطليوس بالأندلس ، وفاته سنة ٤٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٥٢١ هـ ، ومن آثاره أبو سعيد الوراق ، ومن تلاميذه القاضى عياض ، ومن مؤلفاته : شرح سلطان زند ، والانتساب الذى ذكرناه وغيرها .

(٢) سورة الرعد : ١٩

(٣) الخامس ج ١ ٣١٩ /

ویس خدا ف نفسه کان یه طرق با به ضیف ، او یلم به مسترشد .

«فلا عنده وأمه وكذا الإخبار عنه ، وأخرج القول بخرج الأغلاظ به  
والأخيب لما دعا إليه » .

## الفَصْلُ الْأُولُ

### القصر بطرق النفي والاستثناء

#### وَجْهٌ إِلَادَةُ النَّفْيِ وَالْاسْتِنْدَاءُ مَعْنَى الْقُصْرِ :

لا خلاف بين علماء البلاغة على إفاده أسلوب النفي والاستثناء معنى القصر ، ذلك أننا إذا ثلثا : ما علـ " إلا كاتب ، ثمـ النـ يـ تـوجهـ إـلـىـ عـلـ " ، وحيث إن عليـ ذات موصوفة بالكتابـةـ (في هذا المثال) ، ولا يصح أن يـقـ المـكـلـمـ الذـاتـ ، إذـ يـتـوجـ النـفـ إـلـىـ الصـفـةـ الـقـائـمةـ بـذـاتـ .  
من هنا يكون معنى المثال (ما علـ " إلا كاتب) .

قبل الاستثناء : لا صفة لعلـ من طول وقصر وكتابة وشمر وسوداـ وبياض ... الخـ .

إـذاـ كانـ نـفـيـ جميعـ الصـفـاتـ عنـ الذـاتـ أـسـرـ غـيرـ مـسـكـنـ ، ذلكـ أنهـ لاـ بدـ للجوهرـ (ذـاتـ)ـ منـ عـرـضـ -ـ بـلـ أـمـراضـ -ـ فـوـمـ يـهـ (ـ كـاـيـقـولـ المـنـاطـلـةـ)ـ ، وـجـبـ أنـ يـكـونـ المـنـفـ بـعـضـ الصـفـاتـ ، وـمـتـهاـ الصـفـةـ الـثـيـقـةـ فـيـ المـثالـ -ـ أـعـنـ الكتابـةـ -ـ بـدـليلـ استـنـداـشـاـ .

فـإـذـاـ كـانـ الـاسـتـنـداـءـ يـخـرـجـ هـذـهـ الصـفـةـ مـنـ النـفـ (ـ أـيـ يـحـمـلـهاـ مـثـبـةـ)ـ ، فـإـنـ الصـفـاتـ الـثـيـقـةـ تـنـالـ عـلـىـ مـاـهـيـةـ مـنـ النـفـ .

إـذـنـ -ـ بـدـ الـاسـتـنـداـءـ -ـ يـسـتـحقـ فـيـ اـجـلـةـ النـفـ وـالـإـبـاتـ ، وـهـوـ مـعـنـىـ الـقـصـرـ .

هـذـاـ إـذـاـ كـانـ اـجـلـةـ مـنـ قـبـيلـ قـصـرـ الـمـوـصـفـ عـلـىـ الصـفـةـ .

أما إذا كان المكس - أعني إذا كانت الجلة من قبيل قصر الصفة على الموصوف - فالأمر أوضح ؛ ذلك أنه إذا قلت : ليس الكتاب إلا على ، كان المعنى - قبل الاستثناء - أنك ثبتي الكتابة عن كل من يمكن أن يتصف بها من أحد وحده وبكر وعلى وغيرهم .

فإذا قلت - مستثنية - : إلا عليا ، كدلت قد أثبتما على .

وكذلك أيضاً قد حفظت النفي والإثبات في الجملة ، وذلك هو معنى القصر .

وجه آخر ذكره السكاكي وهو يقترب من الوجه السابق :

خلاصة<sup>(١)</sup> : أن هذا المعنى - معنى القصر - الأصل فيه أن يجري في الاستثناء المفرغ (الناقص) ، لأن النفي فيه ينوجه إلى مستثنى منه مقدر ، ولا بد أن يكون هذا المستثنى منه عاماً ليتأقى منه الإخراج ، ولا بد أيضاً أن يكون جنساً قريباً للمستثنى ، ولا بد أن يكون مناسباً للمستثنى في وصفه الإهرازي بحيث لو قدر وجوداً بجزئي عليه نفس الحكم الإهرازي الذي هو للمستثنى .

فإذا توجه النفي إلى هذا المستثنى منه - بشروطه السابقة الذكر - نعم آخر جنده بواسطته أدلة الاستثناء واحدة ، كأن هذا الواحد هو المخصوص بقصر الحكم عليه ، أو بعبارة أخرى كان هذا الواحد هو المقصور عليه .

ومن هنا ، كان طريق النفي والاستثناء يشعر بإفادته القصر بعد وجود إلا ، كما سننقل ذلك عن عبد القاهر بعد حين .

(١) انظر مفتاح المدارم ص ١٢٩ - للطبعة الميمنية بعمر .

(٣) بلاغة القصر

مقامات استهلال أسلوب النفي والامتناع، عند الإمام عبد القاهر :

يقول الإمام عبد القاهر<sup>(١)</sup> : « وأما إنثير بالنفي والإيجيات نحو ما هذا إلا كذلك ، وإن هو إلا كذلك ، فيكون الأمر يذكره المخاطب وبشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب ، أو ما هو إلا خطأ ، فإنه : من يدفع أن يكون الأمر على ما قلته » .

« وإذا رأيت شخصاً من يزيد فقلت : ما هو إلا زيد ، لم تقل إلا وصاحبك يتزعم أنه ليس بزيد ، وأنه بانسان آخر ، وبعيد في الإنكار أن يكون زيداً » .

كما يقول<sup>(٢)</sup> متي رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي ، خذللي لتقدير مدى صدوره في حكم المشكوك فيه ، فمن ذلك قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : « وما أنت بسع من التصور إن أنت إلا نذير ) إعاجاه - والله أعلم - بذلك والإيجيات ، لأنك لما قاتل تعلمه : ( وما أنت بسع من ف النبور ) وكان المعنى في أن يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم : إنك لن تستطيع أن تحول قوتهم عما هم عليه من الإيمان ، ولا تملك أن توقع الإيذان في نفوسهم مع اصرارهم على كفرهم واستمرارهم على جحودهم ، وصدم بآياتهم مما تقوله لهم وتقلوه عليهم .

« كلُّ الْأَنْقَبِ بِهَا أَنْ يَسْعُلَ حَالَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ مِنْ قَدْرِ ظُنْنِ - أَيْ ذَرْعِي - أَنْ يَعْلَمَ ذَلِكَ ، وَمِنْ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ لِيُنْقَقِي وَسَمِّيَ شَيْءاً أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَنْذِرَ وَيَحْذِرَ » .

(١) دلائل الإعجاز ٥٥/٢٥٧

(٢) دلائل الإعجاز ٢٥٧

(٣) سورة فاطر ٢٢ ، ٢٢

هذا مقام رأى الإمام عبد القاهر شرقي مستندًا للأدلة على هذه إفادته  
من القميري بأسلوب التقني والاسقفيان.

القام الأول : مقام حقيق ، يذكر فيه المخاطب للأمر بيشك فمه .

القام الثاني : مقام تزيل ادعائى سواء كان هذا التزيل باعتبار المتكلم  
أو باعتبار المخاطب .

ورأى الآخرون بهذه أن في هنا إشارة إلى تفسير القميري - بجمع أحالييه -  
إلى هذين التسرين ، ذلك أن معنى القميري هو التقني والإيمان ، وقد يكون ذلك  
منظوراً فيه إلى مطابقة الأسلوب الواقعخارجي فعلًا فيكون القصر المحقق  
الذى يقرره الواقع مثل قوله : ما حضر في الفصل إلا بعديه ، ويكون ذلك هو  
الموقف على الطبيعة .

وقد يكون الموقف على الطبيعة مختلفاً لهذا الذي قاله المتكلم ، بأن حضر  
طلاب آخرون ، لكن المتكلم رأى أن حضورهم كمدحه قتل هذا الحضور  
مزلة الدم فلأنه أن يقول ما قال أدعاه وبما في إظهار نجاة عبيده ، وبين  
كون حضوره هو المفترض المفید أو قبل أدعاه وبما في إثبات حضورهم ،  
وآذاك يكون القصر الادعائي الذي يقيد المبالغة<sup>(١)</sup> .

من هنا كان تفهمهم للقصر إلى حقيق وادعائي .  
ونات - الآن - إلى التطبيق التقني على أسلوب التقني والاسقفيان الذي  
نعني فيه .

(١) كان حديث الإمام عبد القاهر عن القصر للأدعي - بصورة أو وضح -  
بطريق إنما .

يقول المتنبي مغزلاً وهو صبي فاعن:

وشنادن روح من يهواه في يده سيف الصدود على أعلى مقلاه<sup>(١)</sup>  
ما اعترَّ منه على عضو لبيته إلا انتقام يترس من مجلده<sup>(٢)</sup>  
دم لزمان إلويه من أحجه ما ذم من بدرم في حد أحده<sup>(٣)</sup>  
شمس إذا الشمس لاقته على فرس تردد الدور فيها بن ترداده<sup>(٤)</sup>  
إن يحسن الحسن إلا عند طلنته والبد يفتح إلا عند سيده<sup>(٥)</sup>  
قالت عن الرند: طب شفأة، قاتل لها<sup>(٦)</sup>  
لأن يتصدر المزء لا بد مواده<sup>(٧)</sup>  
لم أعرف لنغير إلا مذ عرفت فقي لم يوف الجسد إلا عند موته  
كثُر تصرُّر نفس الظاهر من كبر خطا نهى كمه في سن أمرده<sup>(٨)</sup>

تتحدث هذه الآيات عن المتنبي ومحبوبه، وتسيطر على المتنبي عاطفة التربية

(١) الشادن: الشاب إذا كبر واستوى عن أبيه، سيف الصدود: استماراة مكتبة، المقلاه: موضع بجاد السيف من المسكيبي.

(٢) البت: القملع، التجلاه: التصبر والضمير في «اعتر» السيف، وفي «منه» الشادن، وفي انتقام: الشبر المرفوع المستسكن المانع، والضمير المتصوب الظاهر السيف.

(٣) التصبر في: بدره، واحد: راقون، وأ: وباق الضيالر المصب.

(٤) على فرس: حال من الماء في لات.

(٥) «إن»: بداية يعنى «ما»، وسجح الشرح قبل بعدها بأنه «يسجن» وفي الأصل «يتبع».

(٦) ضمير «قاتل»: الماده، الرند: النوال.

(٧) الأمرد: الشاب الذي جاء وقيت ظهور سنته فلم تظهر، يريد المتنبي هنا الكتاب القوى.

في حب هذا الطني - النّتّة الصادّة عنه - ويشعرنا المتنبي بقوّة أسرّه له ، ذلك لها تفّقّع به من جال مفترط ، ويشعرنا أيضًا بجهله وتحمّله كلّ ألم وكلّ لوم ، ذلك لأنّ له عزّة قوية في الصبر ، وعقلًا راجحًا يعرّف أنه سيظفر بمحبها له بعد طول السنّاء .

وإذا كان مقام النّفّ والاستثناء الأول - كأوضحه الإمام عبد القاهر -  
فالأمر ينكره المخاطب وبشك في ، فإن المتنبي قد تحدث أولاً من قوّة حبه  
لحبوبه ليُهذّب بذلك إلى أمر الإنكار عليه ، فقال :

وشنّد روح من يهواء في يده سيف الصدود على أعلى مقده

فالظني هنا - أي النّتّة - تسيطر عليه بمحابا سيطرة قوية روحه في يده ،  
 وسيف صدودها واستحلالها ورقصها مشهور في وجهه ، يهدّد أعضاء الجسدية  
غاروح والجسد معًا تحت سيطرة حبوبه .

ما اهتز منه على [أصو] بيته إلا اتساه يتّس من تمبلده

يتحمل المتنبي هنا طريق النّفّ والاستثناء في التمهير عن قوّة السيطرة  
الوجданية لحبوبه عليه ، وذلك أمر يشك فيه العاقل ، بل قلل العاقل ، إن  
سيف الصدود يهز فوق أعضائه يحاور بيته ، هل هذا يكون من قبيل الأمر  
للمقول في القلام ، أو قلل لدى من لم يعرفوا الحب والمشق ؟

ويكمل المتنبي حدّيث التحمل القوى ، والصلب الصبور ، ليشعرنا أنّ القوة  
اللطاغية في الحب تحتاج إلى القوّة الشديدة في الصبر ..... وإضاح المانى  
القوية يكون بالأسلوب النّفّ والاستثناء .

و واضح هنا أن المتنبي يركز على صفة الاتقاء والصبر والجلد عنده ، ...

من أهل ذلك كان الشخص يصر موصوفاً على صفة، أي قصر اهتزاز سيفه  
الطيب وبمحاربته قطع أصنام الآلهي على حدة انتقام لمعنى لهذا السيف البار.

وكانوا يهدون منطقته وعمال ثقافة .  
وال واضح أيضاً أن خيال المعنى يذهب دوراً هاماً في رسم الصور الرائعة  
لقصص حمايزده خطوبية وناء، يؤكد هذا حديثه في البيت التالي عن نفسه،  
حيث يقول :

**ذم الزمان [الصـ] من أخيه** ، ما ذم من بدره في حد أحده .

وكان ينشئ عن هذه الصورة أن ما يعده الطيب لم يؤثر في نفس  
المعنى القوية التي تدق الملامات ، فالزمان ذم إلى المعنى العيب الذي ذم المعنى  
من بدر الزمان للمسى أحد<sup>(١)</sup> حيث حده له ، قبل ، ولكن المعنى لم يلتفت  
إلى هذا أو ذلك لغلو نفسه ، كما قال في آخر الآيات :

**نفس تصر نفس الدهر من كبر لها نوى كمه في سن أمراه**

**والمراد بالصلة في باب القصر : الصفة المعنوية – أي المعنى القائم بالغير –**  
**لا تمت التصورى الذى هو : العاين الذى يدل على منفي في متوجه غير الشمول<sup>(٢)</sup>**

(١) لم تذكر الفروع شيئاً عنه ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الآيات غالباً  
لتلك في سياق .

(٢) أي يدخل على معنى في التبيعة لكنه لا يدخله بحق : مروى بالجملة الفارغة،  
هذا وقد ذكر شرح التلخيص . (ج ٧ / ١٧٠) إن الصفة المعنوية والتمن التصورى  
يمتنان في مثل : أعيى هذا المرء ويفتران في مثل الملم حسن، ويرد في هذا الرجل  
حيث إن الأول من قبيل الصفة المعنوية ، و الثاني من قبيل الصفة التصورى أو التمن  
التصورى ، فينما حسن ويفتران يجيئون .

ويعکن أن بدل عليها هنا يلفظ التمل ، والمصدر ، والاسم الشق دلائمه الواضحة على لفظ الصنف لأن توصف به المذات .

وإن دل عليها بالاسم الجامد ففي صفة مؤولة ، لأنها لا تصلح للوصية إلا بتأويل يرجع بهذا الاسم الجامد إلى معنى المشتق ، فإذا قلت : ما أنت إلا رجل ، كان لفظ الرجل غير صالح للوصية إلا بتأويله بالكامل في الرجلة ، وكذلك إذا قلت بما هذا الخاتم إلا ذهب ، فلا بد من تأويل لفظ « ذهب » إلى مصنوع من الذهب ، لكي يصلح خيراً وصفة الخاتم<sup>(١)</sup> .

والراد بالوصوف في باب القصر : الشي الذي يقصد المتكلم إثبات الصفة له أو تقبيها عنه ، أو هو كل شيء يلاحظ قيام غيره به .

فالعبرة في التفرقة بين الصفة والموصوف في هذا الباب بما عليه غرض المتكلم حيث يجعل الصفة هي الأمر المنسوب ، والموصوف هو المنسوب إليه . كما أوضحتنا في الشرح .

عل أننا بعد هذا الإيضاح نرى لدى بعض العلماء المتأخرین إصراراً عجيباً على تحدید أساليب قصر الصفة على الموصوف ، وأساليب قصر الموصوف على الصفة ، وهو درين بذلك فکر المتكلّم وعقل السامع .

(١) مثل ذلك العبار والغيره ، فإنه يمكن أن يعتبر مدخل حرف الخبر مثل قوله الله سبحانه : ( إن علينا الهدى ) - سورة الإلیل ١٢ - فما بعد « على » شير الله عز وجل ، فيعتبر هذا موصوفاً ، ويكون آلة أن تشير « المدى » موصوفاً ، ويكون متعلق العبار والخبر بصلة ( مستقر أو كائن - كما يقول ابن حمزة ) ، وسيأتي لهذا مزيد بيان عند حديث التقدیم بين جزأی الجملة .

نقل بهاء الدين السمهي في مجال الحديث عن قصر الصفة على الوصف قول بعض الملاّة<sup>(١)</sup> : « وهو يجري كثيراً بين اليقداً والثبر ، كقولك : ما كاتب إلا زيد ، والقمل وقعله ، نحو : ما قام إلا أنا ، وما ضرب عرماً إلا زيد ، والحال كقولك : ما جاء زيد إلا راكباً ، لأنك قصرت الجني على صفة الركوب ، معناه : أما جاء في حال إلا في حال الركوب ، فهو بمعنى : ما زيد إلا راكب ». [٣]

ثم ينتهي فيقول عن المثال الآخر وتأويله<sup>(٢)</sup> : « كذا قالوه ، وفيه نظر ؛ لأن هذا يتضمن ، مثل ما قبله .

« ثم التحقيق في ما جاء زيد إلا راكباً أن القصر بين مجني زيد وحال الركوب ، لا بين زيد والجني ». [٤]

وقد كنا نود أن يعلق على كلام هؤلاء المفاهيم بما يشير إلى عدم جواز هذا التضليل الذي يحيط بالمقول ، ويطلعها عن الفدوق الفقى للأساليب .

هذا عن كلامهم عن قصر الصفة على الوصف ، أما عن قصر الوصف حل الصفة فتشمل إلى من خلال كلامهم أنه يجري كثيراً فيما إذا كان التصور عليه خاصاً ، ويراد قصر العام على التحقيق والوجود في المخاص ، على جهة الادعاء والبيان في بيان أن غير هذا المخاص لا يستحق اسم العام نحو : ما الرجل إلا أحد ، وما البلد إلا سكة ، ومثل ذلك قول الشاعر :

هل الوجد إلا أن قلب لو دنا من الجمر قد الرمح لاخترق الجمر

(١) عروس الأفراح ٢/١٩٩٠ - ١٩٩٠ - ١٦٦٨.

(٢) عروس الأفراح ٢/١٦٩.

وقول البعترى :

هل البيش إلا ماء كثُر مصنق يرققه في الكأس ماء خام  
على أننا ترى أنهم قد ازدادوا شططاً وتسكلاً حين ذكروا أن الاسم العام  
الذى يراد قصره على الخاص إذا اتصف بصفة حقيقة أو تقديرية سقط منه  
جانب الادعاء والبيان ، وتحول من باب قصر الموصوف على الصفة إلى باب  
قصر الصفة على الموصوف، مثل: ما الرجل الطيب إلا أحد، وما الباد إلا مكة  
(يقتدر: ما البلد المظومة إلا مكة).

وحيث قالوا<sup>(١)</sup> إن أمثلة قصر الفاعل على المفعول ، وأمثلة – قصر المفعول  
على الفاعل من كلا القسمين : الموصوف على الصفة ، والصفة على الموصوف  
باعتبار وجهين على ما يلى :

أولاً : في قصر الفاعل على المفعول ، قالوا :

نعتبر قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، ففي المثال : ما ضرب زيد  
إلا عرضاً ، قوله : ما ضرب زيد إلا عرضاً ، فيكون قصر صفة على موصوف:  
تأخذ من الفعل اسم مفعول وبمده صفة مقصورة على المفعول الموصوف المتصور  
عليه ، هذا وجده .

كما يمكن أن نعتبر وجه آخر هو: قصر الفاعل على الفعل المتعلق بهذا المفعول<sup>(٢)</sup>

(١) راجع شرح التلخيص ج ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٨ .

(٢) قال القبيح سليمان نوار في مذكراته عن القصر من ١١٠٠ ما نصه : « أمل  
الأولى من هذين الاعتبارين ملاحظة أن الفعل مقصور على المفعول بتأنيل أنه متصور  
على نفسه وارتباطه بذلك المفعول ، ويريد هذا نولهم في بحث المجاز المقل : ( والمطر  
ملابسات شقي – يلاس الفاعل بتناهيه أو صدوره منه ، ويلاس المفعول بوجوهه

فنتقول في المثال السابق : ما زيد إلا ضارب عرو ، أى لا ضارب خالد ، مثلاً .  
فيكون قصر موصوف على صفة .

ثانياً : في قصر المفعول على الفاعل ، قالوا :

نعتبر قصر الفعل المتعلق بالمعنى على الفاعل ، ففي المثال : ما ضرب عرو  
إلا زيد ، نقول : ما ضارب عرو إلا زيد ، فيكون قصر صفة على موصوف .  
وبالتشدد في قصر الموصوف على الصفة ، نعتبر - كما هو الوجه الآخر - قصر  
المفعول في الفعل الأنيسوب للفاعل ، فنتقول في المثال السابق : ما ضرر إلا ضرورة  
زيد ، أى لا ضرورة خالد .

ونعود مرة أخرى إلى المتنى وحديثه عن حبوبته فإذا هو يطأمننا بأنها  
شمس ، بل يعترضنا أن الشمس إذا قابلتها تردد التور فيها ، أى انكس نور

عليه ) على هذا نعتبر نفس الفعل موصوفاً ، واتصله بهذا المفعول جفنة ، نقول :  
ما ذاكرت إلا درعاً واحداً ، وترى قصر هذا ذاك على التعلق بدروس واحد .  
فلا تتجاوزه إلى التعلق بدرسين أو ثلاثة . وهذا الوجه قليل التكاليف ومنظور فيه  
إلى المقصود ، تناقضه أن ذلك في قصر الفاعل على المفعول ثلاثة اهتمارات : قصر الفعل  
الصادر من الفاعل على المفعول بعد ظهور الفعل باسم مفعول فيكون قصر صفة على  
موصوف ، وقصر المفعول على الفعل المتعلق بالظهور ليكون قصر موصوف على صفة ،  
وقصر الفعل نفسه على التعلق بهذا المفعول فيكون كالوجه الأول - يعني قصر صفة  
على موصوف .

وهذا الوجه الأخير ظاهر جهأ في قصر الفاعل على المفعول الآية مثلاً : إنما قاتنا  
أهل إجلال ، فإن المعنى على قصره القيام على حضوره لإجلال على وظيفته حتى لا يتمادى  
لأن حضوره لزمه أو لزمه ، وقيح جداً أن يحول الفعل هنا باسم المفعول كما على  
ذلك الوجه للأول ، الذي أطلق الوجه ، القائل أن من متصدروني على الأيام لدى لأجل  
الإجلال ، وهذا تكاليف .

محبوبته على تورث الشخص ، وفي ذلك مبالغة في الحديث من جمالها وضياء وجدها :

شمس إذاً الشمس لاقه على فرس تردد النوز فيها من تردده  
ثم يستعمل المتنى أسلوب النفي والاستثناء في البيت الثاني لحديثه عن محبوبته  
التي كائنة فيقول :

إن يحسن الحسن إلا عند طلبيه والمبتدء يتحقق إلا عند سيده  
«إن» - في البيت - يعني «ما» النافية ، والمدفون في البيت أنه إذا كان كل  
ذى حسن إنما يستحسن عند اغترابه ، كالمبدء - مثلا - يظهر عند سيده  
حسنا ، والواحد - مثلا - يظهر عند أنه حسنا ، مع أنه ربما كان كلامها قبيحا ،  
فإن هذا المحبوب على العكس من هذه القاعدة ، ذلك أن الحسن نفسه  
- أو حسن كل ذى حسن غير هذا المدح - يظهر قبيحا عند طلبة هذا المحبوب  
لغاية من السكال ، وهذه مبالغة أيضا في الحديث عن الحسن الزائد عن حده  
في هذه الفتاة .

ولللاحظ هنا أن المقام مقام قوة إظهار معنى الحسن في محبوبته ، فهو حسن  
قد يدفعنا إلى الشك والإشكال على المتنى ، فأين الحسن الذي صفت هذه الصفة ؟  
وأين الحال الذي من شأنه هذا الحسن كله ؟

هذا كان المقام مقام اسعمال النفي والاستثناء (ما يحسن الحسن إلا عند  
طلبه) ، والتصور هنا قصر صفة على موصوف ؛ لأن اهتمام المتنى هنا منصب  
على محبوبته ، أي صفة الحسن الشاملة مقصورة على طلبه لا تمدعاها إلى  
غيرها من الأشياء الحسنة .

هذا عن الشطر الأول ، أما عن الشطر الثاني (والمبتدء يتحقق إلا عند سيده)

فقد نرى روح القصر فيه من أنه لا ينافي فيه بما ولا ينفيها ، ونستوضح رأى البلاطين في ذلك ، فترى جمورهم لا يقر بالقصر إلا عند النفي والاستثناء ، أما صاحب عروس الأفراح فيقول<sup>(١)</sup> : « الاستثناء قصر ، سواء كان مع النفي أم الإيجاب » .

ومن هنا نقول : مع صاحب عروس الأفراح إن همها تصراً ، ذلك أن المفهوم وأثبات ، إذ للمعنى : العبد يقع عند الناس لا عند سيده ، وهو من قصر الصفة على الموصوف ، أي قصر عدم صفة القبح للعبد على كونه عائد سيده .

هذا ، وقد ورد القصر مع الإيجاب في القرآن والسنّة ، ومن الأمثلة القرآنية عليه قول الله سبحانه عن الصلاة<sup>(٢)</sup> : (إِنَّمَا لَكُبِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ) ، قصر صفة على موصوف ، ومن أمثلة السنّة ما ورد من أن أمادجاته كان ينبعث بين صوف المقاتلين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين دأبه : (إنما لمشية يبنفسها الله ورسوله إلا في هذا الوطن) – قصر صفة على موصوف أيضاً .

ومن هذا القبيل أيضاً قول المتنبي عن أبي الحسين بدر بن حمار بن إسماعيل الأبيدكي في حوب طيرية :

ويقدم إلا على أن ينفر ويقدو إلا على أن يزددا

فهو من باب القصر ، قصر صفة عدم القدو على الفرار على المدحور ، وقصر صفة عدم القدرة على الزوادة بأكثر مما في الطوق البشري على المدحور ، لأنه يهدل كل الطاقة البشرية ، فكلا هذين الأسلوبين من قصر الصفة على الموصوف .

(١) انظر عروس الأفراح ج ٢ / ١٩١ .

(٢) خورة البررة ٤٠ .

ثم ينقل المتنى متاب عذله له في هذا الحب الذي ليس ورائه فائدة ، وينقل ردّه على هذا المتاب فيقول :

قالت عن الرقد طب نفساً فقلت لها لا يتصدر المطر إلا بعد موته

واللقاء هنا - كما هو واضح - مقام النفي والاستثناء ، لأنّه مقام الرد على للنكر ، أو مقام إظهار قوّة نفس المتنى ، وإذا كان الأمر كذلك ، فالثالث من قصر الصفة - أي فعل الإصدار - على الموصوف ، أي على المتنى بعد تمسكه من حبيبه ، والممّنى : قالت العادة : طب نفساً عن الرقد والنوال فلا تطبع فيه فإنه غير مبذول ، فقلت لها : إن المطر إذا قدّم أمراً لا يرجع عنه إلا بعد الوصول إليه والتسكّن منه .

ثم يشير المتنى إلى ما يلده من علامات جود حبيبه المفهوم في نفسه ، وبين أنه يعرف أعمق القلوب ، فهذا الحبيب سهل وسريع ، وعلامات الخير قوية فيه ، فيقول :

لم أعرف الخير إلا مذ عرفت فني لم يولد الجلود إلا عند موته

وأسلوب القمر في الشطر الأول أسلوب ادعائي ، يأتى المتنى في مقام الرد على المشركون الذين يرون أن الحبيب يستحيل أن يتعلّم ، وأسلوب القمر في الشطر الثاني يتوّكّل به المتنى صدق إحساسه النفسي الذي يستشعر من بعد ما في قلب حبيبه من جود ، إن الجلود قد ولد مع هذا الحبيب غير أن على الحب أن يصبر ، وإن الخير قد هرّف على يديه غير أن على الحب أن يظل على أمل ، وإذا كان الأمر كذلك فالثلاثان من قصر الصفة على الموصوف ، لأن الاهتمام بالحبيب هنا هو موضع تأكيد المتنى ، في الشطر الأول : قصر صرفة الخير عليه ، وفي الشطر الثاني قصر ولادة الجلود عليه أو على ميادده .

ويجب أن ندين بذلك في هذا البيت قد وصل بالمعنى إلى حد أن أمر معرفة الخير التي عرفها مفهوم عبودية، وأمر ولادة الجلوه التي كانت عند ميلاد عبودية قد أوصي شيئاً جلواها في قرارة نفسه، ومن ثم فإن من حقنا أن نسامي عن سر إتيانه بصيغة القصر على طريق النفي والاستثناء، وتسمينا هنا صورة الجدال والإشكال التي عرضها المتنى في البيت السابق، والتي يعارضها أبو شعيب، بخواصها للعنبي بطريقها الإشكالية في هذا البيت، والإشكال هنا يأسكار تزيل مذهب على سبيل المجازة، وإن المتنى أراد أن يبين به عن هذه الآية التي مازالت تماند السمعيل وترجو حدوته، بوكم ذلك البيت الآخر في التصدية :

نفس تصرف نفس الدهر من كبر لها نهى كمه في سن أمرده

والإمام عبد القاهر الجرجاني قد أشار في جديده، عن النفي والاستثناء إلى نحو هذا المعنى عند ما قال<sup>(١)</sup>: « قوله تعالى : (إن أتم إلا يشر مثلكم تريدون أن تصدونا هما كان يهد آباءنا) إنما جاء - والله أعلم - بيان فرلا، لأنهم جعلوا الرسل كأنهم يدعونهم التبوء قد أخرجوا أنفسهم من أن يكتونوا يشرأ مثلكم ، وادعوا أمراً لا يجوز له يكون لأن هو يشر » .

ولما كان الأمر كذلك أخرج الفاظ عجزه ، حيث يزاد إثبات أمر يدفعه بالخالب ويد عن خلافه ،

نرجوا الجواب من الرسول الذي هو قوله تعالى : (قالت لهم رسولهم : هلا يحمن ، إلا يشر مثلكم ) كذا في الترداد والـ ، لأن من سكم من أدعى عليه خصم (١) سلال لـ الإعجاز بـ ٢٥٧ (جـ ٣) (جـ ٣) (٢) سورة إبراهيم ١٠ (٣) سورة إبراهيم ١١

الخلاف في أمر هو لا يخالفه : *أَنْ يُبَدِّلْ كَلَامَ الْخُصُمِ عَلَى وِجْهِهِ : وَيَمْسِيهِ* على هيئةه ، ويحكيه كما هو ، فإذا قات للرجل : أنت من شأنك كيت وكيت ؟ قال : نعم أنا من شأنى كيت وكيت ولكن لا ضير على ، ولا بلزوى من أجل ذلك ما ظفت أنه يلزم . فارسل صوات الله عليهم كائهم قالوا : إن ما قات من آذا بشر مثلكم ، كفاقتكم ، لسنا ننسكير ذلك ولا نجهله ، ولكن ذلك لا يعنينا من أن يكون الله تعالى قد منَّ علينا وأكرمنا بالرسالة » .

مكذا يكون مقام النفي والاستثناء في مواضع الفوة داعماً ، لأن الأمر أمر إسكنار أوشك ، فإليكن الأديب مزدياً معناه على مستوى الفوة المزية لهذا الإسكنار ، وذلك الشك .

ولعلنا الآن قد اعرضا أيضاً أن موضع الاهتمام بالصفة أو بالمحض يكون حديث القصر منصباً عليه ، فإذا استدعي القائم العناية بالصفة كان القصر قصر موصوف على صفة ، وإذا استدعي القائم الاهتمام بالمحض كان القصر قصر صفة على موصوف ، أى أنه على كل الأمرين : يكون محل الاهتمام والعنابة هو المقصود عليه داعماً ، ولمل ذلك يرادف قول البلاغيين : إن للقصور عليه في طريق النفي والاستثناء ، هو ما بعد إلا .

وعن البيان أن النفي يكون بأحد أدوات النفي مثل: ليس ، وما ، وإن (أ) بكسر الميم وسكون التون ) وغيرها .

ومثل النفي : النهي مثل قول الشاعر :  
لا تشر الميد إلا والبعاصمه *إِنْ تَمْبَدِّلْ لِأَنْجَاسِ مَا كَيْدَ*  
والاستفهام مثل قول الشاعر :

هل الميد إلا أن تجود بأنفسِي على كل ماضي الشرطين صنفول<sup>(١)</sup>

(١) ماضي الشرطين : هو السيف ، والصنيف : الميلو .

وكذاك بالإيماء يكون إلا ، كما صفت الأمثلة  
ومثلها سوى ، مثل قول الشاعر :  
تذكرت من يهكى على فم أجد  
سوى السيف والرمح الديني<sup>(١)</sup> يا كيا

وقول أبي حلال العسكري :  
ولا عوب فيه غير أن ذوى الندى  
خاس إذا قيسوا به ولئام

و قبل أن نهى حديث مقامات استعمال أسلوب النفي والاستثناء عند الإمام عبد القاهر نوّه أن نعرض له حديثاً آخر من الإنشاء الأدبي بهذا الأسلوب يوجّه فيه نظر الأدباء إلى مراعاة أغراضهم الأدبية ، و مراعاة مست晦تهم من يلقون حاملاً الأدبي ، وقد تستطيع أن تستخلص منه أقسام هذا الأسلوب وبعض مقامات استخدامه .

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الأمور الأولى :

١ - «<sup>(٢)</sup> واعلم أنك إن حدثت إلى القاعول وللقبول فأخرتها جوينا إلى ما بعد « إلا » فإن الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي « إلا » منها ، فإذا قلت : ما ضرب إلا عرو زيداً ، كان الاختصاص في القاعول ، وكان النفي أنك قلت : إن الضارب عرو لا غيره ، وإن قلت : ما ضرب إلا زيداً عرو »

(١) نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة ( سهر ) ، وكانت مجيدان تقويم الرماح

(٢) دلالة الإعجاز ٣٦٤ .

كان الاختصاص في المعمول<sup>(١)</sup>، وكان المعنى أنك قلت : إن المضروب زيد لا من سواه ، وحكم المعمولين حكم الفاعل والمعمول فبما ذكرت ذلك ، تقول : لم يكتب إلا زيداً جية ، فيكون المعنى : أنه خص زيداً من بين الناس بكسوة الجبة ، فإن قلت : لم يكتب إلا جية زيداً ، كان المعنى : أنه خص الجبة من أصناف الكسوة ، وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المعمولين جاراً ومحوراً ، كقول السيد الحيرى :

لو خير النهر فرسانه ما اختار إلا منكم فارساً  
الاختصاص في (منكم) دون (فارساً) ، ولو قلت : ما اختار إلا فارساً  
منكم صار الاختصاص في (فارساً) .

٢ - «<sup>(٢)</sup> أعلم أن الذي ذكرناه من أنك تقول « ما ضرب إلا عرو زيداً » ففوق الفاعل والمعمول جهيناً بعد « إلا » ليس بأكثر البكلام ، وإنما الأكثرون أن تقدم المعمول على « إلا » نحو : ما ضرب زيداً إلا عرو ، حق لهم ذهبوا فيه - أعني في قوله : ما ضرب إلا عرو زيداً - إلى أنه على

(١) كاكى هنا تعلق طيف في الفرق بين الاختصاص في الفاعل والاختصاص في المعمول ، أتفقه بنصه لاختلاف ذكر الأفعال في الثنائي : يقول الساكت من ١٢٩ : « أعلم أنك إذا أردت قصر الفاعل على المعمول قلت : ما ضرب زيد إلا عرو أعلى منه لم يضرب غير عرو ، وإذا أردت قصر المعمول على الفاعل قلت : ما ضرب عرو إلا زيد ، على معنى لم يضربه غير زيد ، والفرق بين المتبين واضح ، وهو أن عرو أعلى الأول لا يعني أن يكون شارباً غير عرو ويتحقق في الأول . »

(٢) دلائل الإعجاز ٤٦٩ .

كلامين ، وأن زيداً متصوب بقول مصدر حتى كان المتكلم بذلك أباً لهم في أول أمره فقال : ما ضرب إلا عرو ، ثم قوله : من ضرب ؟ فقال : ضرب زيداً .

وَهُمْ نَا إِذَا تَأْمَلْتَ مِنِّي لطِيفٍ يُوجَبُ ذَلِكُ ، وَهُوَ أَنْكَ إِذَا قَلْتَ : مَا ضربَ زِيداً إِلا عرو ، كَانَ غَرِبَكَ أَنْ تَخْصُ عَرَّا بِضَرْبِ زِيدَ ، لَا بِالضَّرْبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ - وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، وَجَبَ أَنْ تَعْدِي الْقَلْمَ إِلَى الْفَعْولِ مِنْ قِيلَ أَنْ تَذَكَّرْ عَرَّا الَّذِي هُوَ الْفَاعِلُ ؛ لَأَنَّ السَّابِعَ لَا يَقْلُ عَنْكَ أَنْتَ اخْتَصَصْتَ بِالْقَلْمِ مَعْدِيَ ، حَتَّى تَكُونَ قَدْ بَدَأْتَ فَعْدِيَهُ ، أَعْفُ لَا يَقْلُمْ عَنْكَ أَنْكَ أَرْدَتَ أَنْ تَخْصُ عَرَّا بِضَرْبِ زِيدَ حَقَّ تَذَكُّرِهِ مَعْدِي إِلَى زِيدَ ، فَلَا إِذَا ذَكَرْتَهُ غَيْرَ مَعْدِي قَلْتَ : مَا ضربَ إِلا عرو ، فَلَمَّا الَّذِي يَقْعُ فِي نَفْسِهِ أَنْكَ أَرْدَتَ أَنْ تَزْمَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَحَدِ غَيْرِ عَرَوْ ضَرْبَ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنْنَا مَضْرُوبُ إِلَّا وَضَارِبُهُ عرو ، فَاعْرَفْنَاهُ أَصْلَافَ شَانِ الْقَدْمِ وَالْأَشْيَارِ .

٣٠ - (٣) وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ بِاِلْأَيْلَةِ ، كَانَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ مِنْ أَنَّ الْأَخْتَصَاصَ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ إِنْ لَمْ تَقْدِمْهُ ، وَفِي الْمَجْدِ إِنْ قَدَّمْتَ الْخَيْرَ .

#### دَوْلَمْ وَأَيْنَ :

أَتَقُولُ : ثُمَّاً زِيدَ إِلَّا قَائِمٌ ، فَيَكُونُ الْمَقِيْ : أَنْكَ اخْتَصَصْتَ الْقَيْمَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَسَاتِ الَّتِي يَقْوِمُ كَوْنُ زِيدَ عَلَيْهَا يَحْصُلُهُ صَفَّةُ لَهُ ، تَقُولُ : سَاقِمَ إِلَّا زِيدَ ، فَيَكُونُ الْمَقِيْ : أَنْكَ خَصَصْتَ زِيدَاً بِكَوْنِهِ مَوْصُوفًا بِالْقَيْمَ ، فَقَدْ قَصَرْتَ فِي الْأَوَّلِ الْمَوْصُوفَ مِنِّ الْصَّفَّةِ ، وَفِي الْثَّانِي الصَّفَّةَ عَلَى الْمَوْصُوفِ .

٤ - «<sup>(٣)</sup> واعلم أن قولنا في الخبر إذا آخر نحو ما زيد إلا قائم : أذك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي ينور كون زيد عليها ، ونحوت ما هذا القيام عنده ، فإذا نفي أذك نفيت عنه الأوصاف التي تتفاوت القيام نحو : أن يكون جالساً أو مضطجعاً أو متوكلاً أو ماشا كل ذلك ، ولم يرد أذك نفيت ما ليس من القيام بسبيل ، إذ لستنا نفي عنده بقولنا : ما هو إلا قائم : أن يكونأسود أو أبيض أو طويلاً أو قصيراً ، أو عالياً أو جاهلاً ، كما أنا إذا قلنا : ما قائم إلا زيد : لم ترد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نفي : ما قائم حوث نحن ومحضرتنا وما أشبه ذلك ». .

ويقول الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الأمر الثاني - أعني مراعاة مستقبل

المعلم الأدبي :

«<sup>(٤)</sup> أعلم أذك إذا قلت : ما جاءى إلا زيد ، احتمل أمرين :

أحدحها : أن تزيد اختصاص زيد بالمعنى ، وأنى نفني عن عداء ، وأن يكون كلاماً تقوله لأن المخاطب حاجة إلى أن يعلم أن زيداً ند جامك ، ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجرئ إليك غيره .

والثاني : أن يكون كلاماً تقوله ليعلم أن الجافي زيد لا غيره ، فمن ذلك قوله للرجل يدعى أذك قلت قوله ، ثم قلت خلافه : ما قلت اليوم إلا ما قلته أمس بمعينه ، ويقول : لم تزیداً ، وإنما رأيت فلاناً ، فنقول : بل لم أرأ إلا

(١) دلائل الإعجاز ٣٦٦ .

(٢) دلائل الإعجاز ٣٦٠ (بتصرف) .

زيداً، وعل ذلك قوله تعالى<sup>(١)</sup> : (ما قاتل لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربكم)، لأنه ينفي المني : أن لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن المني : أن لم أدع ما أمروني به إله أقوه لهيم وقلبت خلاهـ.

ومن ذلك ما جاء في الشعور من ذلك قوله :

قد علت سلي وجراتها شاطئ الفارس إلا<sup>(٢)</sup>  
المعنى : أنا الذي تطأ الفارس، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه انفرد  
بأن قطره وأنه لم يشرك فيه غيرهـ.

#### ومن عقول في تحليل حديث الإمام عبد القاهر عن الأمر الأول (مراجعة التراث الأدبي لـالسلام)

هذه نصوص إرشادية أدبية من الإمام عبد القاهر الجرجاني لن أردد من  
الأدباء أن يتحدث بأسلوب النفي والاستفهام متىًداً مني التصرـ، يوجه فيها  
الإمام النظر إلى طريقة استخدام هذا الأسلوبـ.

في المنس الأبرق<sup>(٣)</sup> : يتحدث الإمام عبد القاهر عن موقع المقصود عليه في هذا  
الأسلوبـ، وبين أنه هو ما بعد (إلا) ثم يستعرض الجهة النافيةـ، فيشير إلى  
الاختصاص في الفاعلـ، يعنى أن هذا الفاعل هو الذي أحدث الفعل ليس غيرـ،  
إذاً كانـ هو ما بعد إلا مثلـ : ما ضرب إلا هرو زيدـ، وإلى الاختصاص  
في المفعولـ، يعنى أنه هو الذي رفع عليه فعل الفاعل ليس غيرـ، مثلـ : ما ضرب  
إلا زيدـ هروـ، ذلكـ أن المفعول هو الذي وقع بعد إلاـ.

(١) سورة المائدة آية ١١٧ـ.

(٢) قال الآيتـ : إذا صرعت الرجل صرعة شديدة قلتـ : تطأهـ.

(٣) انظر ص ٤٨ من هذا الحديثـ.

ثم يبين أن هذا الحكم يجري في الجملة ذات المفعولين، وبفترط الأسئلة على ذلك، فالاختصاص في المقول الأول يكون في مثل: لم يكن الذي إلا زيداً جبهة، يعنى أن الذي خص زيداً دون الناس بكسوة الجبهة، والاختصاص في المقول الثاني يكون في مثل: لم يكن الذي زيداً إلا جبهة، يعنى أن الذي خص الجبهة دون أنواع التكسوة الأخرى لكتاحها زيداً.

ثم يسترد الإمام عبد القاهر بعض الأسئلة المقلّبات الفعل الأخرى مشيرًا إلى سر بران هذا الحكم عليهما أيضًا، فيقول عن بيت أنسيد الحبرى:

لو خبرت المثير فرسانه ما اختر إلا منك فارسا  
الاختصاص في (منكم)؛ ولو قلت: ما اختر إلا فارسًا منكم، صار  
الاختصاص في (فارسا).

فالفصل الثاني<sup>(١)</sup>: يوجه الإمام عبد القاهر ناشئي الأدباء إلى أنهم إذا جعلوا الاختصاص في الفاعل فإن عليهم أن يقدموا المقول مثل: ما ضرب زيداً إلا عرو، حتى يكونوا مع الاستعمال الأغلب الكبير، لأن تقديم المقول يشير من أول الأمر إلى هذا الاختصاص، ثم إنه يعتمد من أول الأمر أيضًا مقول هذا الفعل.

هذا يختلف ما إذا لم يقدموا المقول ويتقدوا مثلاً: ما ضرب إلا عزو زيداً فإنه قبل أن يصل ذهن السامع إلى استيعاب معنى (زيداً) يكون قد ثبت أنك تزعم أنه لم يكن من أحد غير عرو ضرب، وأنه ليس هنا مضرور إلا وضاربه عرو، وهذا هو الاستعمال الأقل في الكلام.

ولعل هذا هو ما دعا بعض النحاة إلى أن يقولوا: إن نحو: ما ضرب إلا عرو زيداً، على كلامين.

(١) انظر ص ٩٤ من هذا المختصر.

أولها : ما يزيد إلا عزوة .

ثانيهما : شرب عرو و زيداً .

فـ النـصـ الثـالـثـ : يـبـيـنـ الإـلـامـ عـبـدـ الـقـاهـرـ أـنـ شـأنـ الـجـلـةـ الـإـمـمـيـةـ هـوـ شـأنـ  
الـجـلـةـ الـعـلـمـيـةـ ، يـعـقـدـ أـنـ الـاخـتـصـاصـ يـكـوـنـ فـيـ الـخـلـرـ إـذـاـ لـمـ تـقـدـمـ ، مـثـلـ :  
ما زـيـدـ إـلـاـ قـائـمـ ، حـيـثـ يـكـوـنـ لـلـمـقـىـ - عـلـىـ حدـ تـبـيـرـ عـبـدـ الـقـاهـرـ - أـنـكـ  
اـخـتـصـصـتـ الـقـيـامـ مـنـ بـيـنـ الـأـوـصـافـ الـقـيـومـ كـوـنـ زـيـدـ عـلـيـهـ ، وـجـمـائـهـ  
صـفـةـ لـهـ .

كـاـنـ الـاخـتـصـاصـ يـكـوـنـ فـيـ الـبـيـداـنـ إـذـاـ قـدـمـتـ الـخـلـرـ ، وـأـوـقـتـ الـبـيـداـنـ  
بـعـدـ إـلـاـ ، مـثـلـ : مـاـقـائـمـ إـلـاـزـيدـ ، فـالـمـقـىـ حـيـثـذـ أـنـكـ قدـ اـخـتـصـصـتـ زـيـدـاـ يـكـوـنـهـ  
مـوـصـوـقاـ بـالـقـيـامـ دـوـنـ غـرـهـ .

فـ النـصـ رـاجـ <sup>(٢)</sup> : يـبـيـنـ الإـلـامـ عـبـدـ الـقـاهـرـ الـجـرـجـانـيـ إـلـىـ درـاسـةـ الـجـلـةـ  
الـإـمـمـيـةـ ، فـيـبـيـنـ أـنـ الـثـالـثـ : مـاـزـيـدـ إـلـاـ قـائـمـ ، وـالـذـيـ يـنـيـدـ - بـغـرـمـ الـقـمـرـ -  
أـنـ الـقـائـلـ قدـ خـصـصـ الـقـيـامـ مـنـ بـيـنـ الـأـوـصـافـ الـقـيـومـ كـوـنـ زـيـدـ عـلـيـهـ ،  
وـنـقـيـ كلـ مـاـسـوـاهـ ، إـنـسـاـ يـعـقـدـ يـقـنـ ماـعـداـ الـقـيـامـ ، فـقـ الـأـوـصـافـ الـقـيـومـ تـنـاقـشـ  
هـذـاـ الـقـيـامـ ، مـثـلـ : الـبـلـوـسـ ، وـالـأـضـطـجـاعـ ، وـالـإـنـكـاءـ ، وـمـاـشـاكـ ذـلـكـ ،  
وـلـيـسـ تـقـيـ جـمـيعـ الـصـفـاتـ الـأـخـرـىـ ، مـثـلـ : الـبـيـاضـ ، وـالـسـوـادـ ، وـالـطـوـلـ ،  
وـالـقـصـرـ ، وـالـعـلـمـ ، وـالـجـمـيلـ ، وـالـجـمـيلـ .

كـاـنـ الـثـالـثـ : مـاـقـائـمـ إـلـاـزـيدـ ، الـذـيـ يـعـقـدـ - بـغـرـمـ الـقـمـرـ - أـنـاـ قدـ خـصـصـناـ  
زـيـدـاـ بـالـقـيـامـ دـوـنـ غـرـهـ ، إـنـاـ يـعـقـدـ : مـاـقـائـمـ حـيـثـ نـحـنـ وـبـعـضـنـاـ إـلـاـزـيدـ ،  
وـلـيـسـ يـعـقـدـ أـنـ لـيـسـ فـيـ الـدـنـيـاـ قـائـمـ سـوـاهـ .

(١) انـظـرـ صـ٥٠ـ مـنـ هـذـاـ الـبـيـثـ . - (٢) انـظـرـ صـ٦١ـ مـنـ هـذـاـ الـبـيـثـ .

ويستنتج الخطاب الفزوي المتفوق سنة ٧٣٩هـ من هذا النص الرابع أن القصر ينقسم إلى قسمين وثيدين<sup>(١)</sup>: قصر حقيق، وقصر غير حقيق، وبصري الثاني منها سعد الدين التميازي المتفوق سنة ٧٩١هـ بالقصر الإضافي قال<sup>(٢)</sup>: « لأن تخصيص الشيء بالشيء، إما أن يكون بحسب الحقيقة ونفس الأمر، بأن لا يتتجاوزه إلى غيره أصلًا، وهو الحقيق، أو بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر، يألا يتتجاوزه إليه، وهو غير الحقيق، بل إضافي، لأن تخصيصه بالذكر ليس على الإطلاق، بل بالإضافة إلى معين آخر ». كقولك : ما زيد إلا فاتم، يعني أنه لا يتتجاوز القيام إلى القمود ومحوه، لا يعني أنه لا يتتجاوزه إلى صفة أخرى أصلًا».

ونحن بعد ذلك إذا نظرنا إلى تقسيم الفراء - من قبل - للقصر : صفة على موصوف، أو موصوفاً على صفة، وقارنا به هذا التقسيم ، نستطيع أن نقول : إن الإمام عبد القاهر يرشد الأدباء إلى أن قصر الموصوف على الصفة نحو : ما زيد إلا فاتم ، لا يراد ولا يقصد في الكلام على أنه قصر حقيق<sup>(٣)</sup> ، ذلك أنه ليس من المقبول أن يقصر الموصوف على صفة واحدة دون ما عداها، أو على حد تعبير عبد القاهر : « ليس المقصود أننا نعني ما ليس من القيام بسهولة ، إذ لستم تنتظرون منه أن يكون أسود أو أبيض ، أو طويلاً أو قصيراً أو عالماً أو جاماً ».

أما المثال الذي ذكره الإمام عبد القاهر في هذا النص الذي من قبيل قصر

(١) هذا التقسيم غير تقسيم الفراء ، فتقسيم الفراء منظور فيه إلى الطررين صفة أو موصوفاً ، وهذا التقسيم منظور فيه إلى خرض التككم .

(٢) للطربل ، ٤٠٤ (٣) حقيق .

المرنة على الموصوف قصرًا حتى يقال<sup>(١)</sup> ، أعني قوله: ما قائم إلا زيد ، فإني ألمع فيه  
ويف شرح عبد القاهر له ، وقوله: إنما نهى : ما قائم حيث نحن ومحضنا  
إلا زيد ، علامات للأسلوب الذي يقرر المفائق ، ومن هنا فإني أستنتاج أنه  
أغلب ما يكون ممتعلا في الأسس القيمية ، والأشاريب التقريرية التي تتعاقب  
بالمفائق وللغايات المستورة الثانية مثل قوله عن وجل<sup>(٢)</sup> ( وما من إله إلا الله )  
وقوله سبحانه<sup>(٣)</sup> : ( أللهم لا إله إلا هو رب العالمين ) ، وقوله عن وجل<sup>(٤)</sup> :  
( يؤتى الحكمة من يشاء ومن يرث الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ) وما يذكر  
إلا أولى الأدياب ، وقول الخضر لموسى عليهما وعلى آنبيائنا أفضـلـ الصلاة  
والسلام فيما رواه البخاري في باب ما ي stitching العالم إذا سئل أـيـ الناس أعلم فـكـلـ  
الـلـمـ إـلـاـ اللهـ<sup>(٥)</sup> : « يا موسى ما نقص على وعلتك من علم الله إلا كثرة هذا  
الصـفـورـ فيـ الـبـصـرـ » ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري أيضـاـ  
في باب صفة إيليس وجوهـهـ : «<sup>(٦)</sup> من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،  
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر في يوم مائة مـوـةـ كانت له عـدـلـ عـشـرـ  
رـقـابـ ، وكـفـيتـ لهـ مـائـةـ حـسـنـةـ ، وـجـعـتـ عـنـ مـائـةـ سـيـنـةـ ، وـكـانـتـ لهـ حرـزاـ منـ

(4) تحریقیاً اور ادعاٹیاً

(٢) سورة آل عمران ٢٤، وفي سورة طه يقول الله عز وجل عن نفسه أيضًا :  
 (إِنَّمَا يُطْكِمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) - آية ٩٨

٣٥٥ - سورة البقرة

(٤) سورة البقرة ٢٩٦ . و في سورة آل عمران - آية ٧ ( وما يذكر إلا أدلة الآيات )

(٥) فتح قبارى ج ٢١٨/١، وف

باب: بثقل الكلم - يقول الرضوان على الله عليه وسلم المستحبنا : (إنما ذاك عرق وليس بغيره ) .

الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل  
أكثـر من ذلك » .

وقد يكون هذا مقاماً ثالثاً لاستخدام أسلوب النفي والاستثناء عند  
عهد القاهر .

على أننا إذا أردنا أن نخرج هذين الأسلوبين إلى ميدان الفن الأدبي  
المصور — أعني أسلوب الموصوف على الصفة تصراً حقيقها ، وقصر الصفة  
على الموصوف تصراً حقيقها — أقول : إذا أردنا أن نخرج هذين الأسلوبين  
إلى ميدان الفن الأدبي المصور لأصحاب النقوس ومشاهيرها ، فإن علينا أن  
نسلك طريق الادعاء والبالغة ، وذلك طريق سلكه الإمام عبد القاهر نفسه  
حين قسم القصر إلى قسمين ونقيضين : قسم حقيق ، وقسم ادعائي .

وقد نرى أن هذك مقاماً رابعاً يستعمل فيه أسلوب النفي والاستثناء ، ذلك  
اللئام هو مقام المعراض ، يمـعـنـيـنـ أنـ يـاتـيـ أـسـلـوبـ القـصـرـ لـأـبـيـدـ عـهـدـهـ ،ـ ولـكـنـ  
ليـقـيـدـ أـمـرـاـ هـوـ مـقـضـاهـ ،ـ مـثـلـ قـوـلـ اللهـ سـبـعـهـ عـنـ أـهـلـ سـبـاـ<sup>(١)</sup> :ـ (ـ فـاعـرـضـواـ  
فـأـرـسـلـنـاـ عـلـيـهـمـ سـوـلـ الـفـرـمـ وـبـذـلـاسـمـ بـعـقـبـهـمـ جـنـهـنـ ذـوـ أـكـلـ خـطـ وـأـكـلـ  
وـشـيـهـ مـنـ سـدـرـ قـاـيلـ ،ـ ذـلـكـ جـزـيـاهـ بـمـاـ كـفـرـوـاـ وـهـلـ بـخـازـيـ إـلـاـ السـكـافـ)ـ ،ـ  
فـلـيـسـ الفـرـضـ مـنـ أـسـلـوبـ القـصـرـ هـنـاـ مـوـاـخـصـ السـكـافـ بـالـجـزـاءـ ،ـ ولـكـنـ  
الـفـرـضـ —ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ —ـ تـهـدـيـدـ كـفـارـ مـكـةـ وـالـفـرـيـضـ بـتـجـهـيـزـ الـقـوـيـةـ هـمـ ،ـ  
يـقـوـلـ الـإـلـمـاـنـ الرـعـشـيـ<sup>(٢)</sup> :ـ «ـ وـلـلـفـيـ أـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـبـلـوـاءـ لـأـيـسـلـهـ إـلـاـ الـكـافـرـ  
وـهـوـ الـمـقـابـ الـمـاجـلـ»ـ .

وهـذـاـ مـقـامـاتـ أـخـرـىـ سـتـعـرـضـ لـمـاـ بـعـدـ قـاـيلـ عـوـلـكـافـ آـنـرـنـاـ الـحـدـيـثـ عـنـ هـذـاـ  
الـلـفـامـ هـنـاـ خـلـالـ كـلـامـ الـإـلـمـاـنـ عبدـ القـاـهرـ لـأـنـهـ عـرـضـ لـهـ أـنـيـامـ الـحـدـيـثـ عـنـ (ـإـلـاـ)ـ .

(١) سورة سباء ١٧، ١٦.

(٢) السكلاف ٣٣ / ٤٨٥.

نُّمْ تَقُولُ فِي تَحْمِيلِ حَدِيثِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْفَاطِرِ عَنِ الْأَمْرِ الثَّانِي - أَعْنِي  
(مَوَاعِدُ الْخَاطِبِ بِالنَّصْرِ الْأَدْبِ)<sup>(١)</sup> :

إن الإمام عبد الفاطر يشير إلى أنه إذا كان المعرف في حوار الأدب :  
أو في الكلام الذي يقال أمام جمهور أن الخطاب يصنى إلى الأديب باعتماد فإن  
من الواجب أيضاً أن يصنى الأديب إلى مستمعيه ، ويقدر ما في داخل عقولهم  
كي يكون كلامه مطابقاً لافتراض حامض ، فهذه هي البلاغة .

مثال (ما جاءني إلزيم) يمكن أن تقوله خطاب في حاجة إلى أن يعلم  
أنه لم يجيء إليك فهو ، فأنت هنا تقيده اختصاص زيد بالجبي ، وتنفي الجبي  
عن عداء . كم يمكن أن تقوله خطاب ينافضك في مجلس زيد ، ويزعم أن الجبي  
لك غيره ، فأنت حينها تخاطبه بهذا المثال كأنك تقلب عليه اعتقاده .

ويوضح الإمام عبد الفاطر هذه المفولة الأخيرة — أعني فسحة حوار  
الخطاب بأسلوب التصر لنلب اعتقاده ورأيه — بتحليل الآية السكرية التي  
ورثت على إنسان عيسى عليه السلام يوم القيمة أثناه حوار الله له ، حيث يقول  
الله عن رسوله عليه السلام <sup>(٢)</sup> : (إِذَا قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ  
قَاتِلُ الْغَاصِبِينَ وَأَنِّي لِمَنِ اتَّهَمَنِي بِدُونِ اللَّهِ) !

ويقول عيسى عليه السلام في إجابة : (قَالَ سَبِّحْتَنِي مَا يَكُونُ لِي أَقُولُ  
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كَانَ قَلْبِهِ قَدْرُ عِلْمِهِ، تَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ  
إِنْكَ أَنْتَ عَلَمُ الْيَوْمِ) .

(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا آه رب وربكم) .

(١) انظر ص ٥١ من هذا الحديث .

(٢) انظر الآيتين في سورة المائدة ١١٥، ١١٦ .

يقول الإمام عبد الناشر في تعليل مقوله عيسى عليه السلام الأخيرة<sup>(١)</sup> :  
« ليس المعنى : أن لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ، ولكن المعنى : أن لم أدم  
ما أمرتني به أن أقوله لهم وقلت خلافه ». .

كما يورد الإمام عبد الناشر قول الشاعر :

قد عدت سلى وجراتها ما قطّر السارس إلا أنا

ويقول في تعليله<sup>(٢)</sup> : « المعنى : أنا الذي قطر الفارس ، وليس المعنى على أن  
الشاعر يريد أن يزعم أنه افرد بأن قطره ، وأنه لم يشرك فيه غيره ». .

#### تقسيمات الفسر عدد المتأخرین :

يستنتج أبو بقوب يوسف السكري من خلال تعليل الأستاذ الإمام أن  
القصر الذي اشتهرت تسمية بالقصر الإضافي ينقسم إلى قسمين : قصر إفراد ،  
وقصر قاب ، ويتبين من خلال كلامه<sup>(٣)</sup> أن قصر الإفراد يمكن أن يقال خطأ بـ  
يمتقد الشر كة حقيقة أو احتمالاً ، يمكن أن المثال : ما زيد إلا شاعر ، يمكن  
أن يقال لمن يعتقد شاعراً ومتيناً ، كما يمكن أن يقال لمن يتوهمه على أحد  
الوصفين دون ترجيح . .

كما أن المثال : ما شاعر إلا زيد ، يمكن أن يقال خطأ بـ يعتقد يكرأ وعمرأ  
شاعران مع زيد ، كما أنه يمكن أن يقال أيضاً خطأ بـ يتعود أن الشاعر أحد  
الرجلين زيد أو حمرو . .

(١) دلائل الاعجاز ٢٦٠ .

(٢) الموضع السابق ٢٦٠ / ٢٦١ ، هذه ، ويقال : قطر الفارس : أي صرعة  
صورية شديدة . .

(٣) راجع ص ١٢٥ من المتن . .

والأديب في هذا القصر يعني الشركة المختصة أو المزودة<sup>(١)</sup> لهذا من قصر الأفراد.

أما عن قصر التللب فإنه يقال خطأ يعتقد عكس ما هو مقرر عند التكلم مثل قولهنا : ما زيد إلا فاتح ، فإنه يقال أن يعتقد أنه قادر أو مفتليع . أو مثل قولهنا : ما فاتح إلا زيد ، فإنه يقال أن يعتقد أنه بكر لا زيد .

والأدب في هذا التisper يتطلب حكم السامع أو اعتقاده؟  
ويقتضي الخطيب إلى تحمل الإمام عبد الله الفارئ ، وتقديم الإمام السكاكي  
وزير الدين<sup>(2)</sup> في قصر القلب شرطاً هو تحقيق تنازع الصفتين<sup>(3)</sup> في قصر الموسوف

<sup>٤٢</sup>) انظر الاضحى ( ضمن شروح الفتاوى ) - ١٨٣ / ٢

(٣) قال ابن ميمون في (مواهب الفتح) (من شروح التخريج) ١٤٦/٢ - المراد بالاتفاق هنا اتفاق في نفس الأمر ، وقال سعد الدين القمي في حضر المأتم ص ١٣٥ (الطبعة الأولى) : أي اتفاق الوضعين حتى يكون المتفق في قولنا : ما زيد إلا قائم ، كونه قاعداً أو مقطعاً أو نحو ذلك مما ينافي القول . ولقد أحسن صاحب المفتاح في إهمال هذا الاعتراض لأن قوله : ما زيد إلا داعر عن اعتقاد أنه كتاب وليس بقاهر . اصر قلب على ما صرحت به في المفتاح مع عدم اتفاق القوى والكتابة .

ومثل هذا خارج عن أقسام التصر على ماذ كرمه المستف - أي الخطيب الفزوياني  
لا يقال هذا شرط المحسن ، أو المراد التناق في اعتقاد المخاطب ، لأنما تقول :  
أنا الأول : فلا دلالة فقط عليه . مع أنها لا نسلم عدم حسن قوله : ما زيد إلا ضاهر  
على اعتقاده كاتباً غيره خالص . وأنا الثاني : بلأن التناق ينبع اعتقاد المخاطب معلوم  
عاذ كرمه قد تشير إلى أن قسر القلب هو الذي يعتقد المخاطب فيه المسكن ، فيكون  
هذا الاعتراض صائباً .

على الصفة<sup>(١)</sup> ، يعمى أن اللقال : ما زيد إلا قائم ، لا يقال إلا إن يعتقد كون زيد قاعداً أو جالياً أو نحو ذلك مما يتحقق تناقض الصفتين<sup>(٢)</sup> ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ، ليكون إثبات الصفة<sup>(٣)</sup> حينئذ - على حد قوله - مشمراً بانتقام غيرها ومحنة لقلب الحكيم عند السامع .

كما أنه في قصر الإفراد - موصوفاً على صفة - بزيد<sup>(٤)</sup> اشتراط عدم تناقض الصفتين ، حتى تكون الصفة المتنية في قوله : ما زيد إلا شاعر كونه كاهياً أو منجيناً أو نحو ذلك ، لا كونه مثمناً<sup>(٥)</sup> لا يقول الشعر ، ليتصور اعتماد الخطاب اجتماعهما ، ذلك أن هذا النوع من التصر قد قصره الخطاب على قطع الشركة المتجهة .

أما الشركة للعرومة المحتلة - التي وضمتها السكاكي في قصر الإفراد - فقد جعلها الخطيب فيما برأسه أسماء قصر العبيدين ، وهو يقال مثل يعتقد النساوى والاحتىان والتزدد من غير تمييز ، فالخطاب في قوله : ما زيد إلا قائم من يعتقد أو يتزدد في انتصاف زيد بالقائم أو القمود من غير علم بهم من أحدهما .

(١) هذا الشرط في قصر الموصوف على المعرفة سفه ، لأن تناقض الانتصاف بالنسبة لقصر الصفة على الموصوف نادر .

(٢) يجب ملاحظة أن التناقض غير التناقض ، فالتناقض يتحقق بين صفات البياض والسوداد - شائلاً ، أما التناقض فيتتحقق بين صفات البياض وغير البياض .

(٣) قال ابن يعقوب في مواهب الفتاح ( ضمن شروح التلخيس ) - ٢ / ١٨٥ : « وفيه يحث ، لأنه إن أراد أن إثبات الشكك هو الشمر يعني غيرها فأدلة التصر مشتركة بذلك من غير حاجة للتناقض ، وإن أراد أن إثبات الخطاب هو الشمر فلا يتوقف أيضاً على تناقض ، بل يعني منه الشكك بغيره أو بعبارة » .

(٤) انظر الإشاح ( ضمن شروح التلخيس ) - ٢ / ١٨٦ .

(٥) الإشمام : وجдан الرجل غير شاعر ، يقال : أصحبه : أي وجدته غير شاعر .

ثم يقول الخطيب منها حديث هذا التقسيم<sup>(١)</sup> : « وقصر التعين أعم ، لأن كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الاطلاق ، لا يتحقق جواز انتصافه بما ولا امتناعه .

« وبهذا نعلم أن كل ما يصلح مثلا لقصر الإفراد أو لقصر القلب يصلح أن يكون مثلا لقصر التعين من غير عكس » .

ومن بعد هذا الحديث التوجيهي للإمام عبد القاهر - وما تمهه من حديث تقييمات المتأخرین لأسلوب القصر نقول :

القيمة الفنية لهذه التقسيمات من وجهة نظرنا :

إن الواقع المعرق للغة يرفض تقسيم أسلوب القصر إلى حقيق وإضاف ، وحديث الإمام عبد القاهر خير شاهد على تأييد هذا الواقع حيث يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٢)</sup> : « وأعلم أن قولنا في المثير إذا آخر نحو ما زيد إلا قائم ، إنك اختصست القيام من بين الأوصاف التي يتوجه كون زيد عليها ، وتفتيت ماعدا القيام عنه ، فإنما تجيئ بذلك تقييماته الأوصاف التي تتعارض القيام نحو : أن يكون جالسا أو مفطحا أو متلائما أو ما شاكل ذلك ، ولم ترد بذلك تقييمات ما ليس من القيام بسبيل ، إذ لستنا نتفق عليه بقولنا : ما هو إلا قائم ، أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو حاما أو جاهلا .

« كأننا إذا قلنا : ما قائم إلا زيد ، لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما تجيئ : ما قائم حيث نحن وبخاصة ، وما أشبه ذلك » .

(١) الإيضاح ج ٢ / ١٨٥

(٢) دلائل الإعجاز ٣٦٦

فأحرف الأنوى السادس بين التكلم والسلام يشير - كما يقول الإمام عبد القاهر - إلى أننا إذا قلنا : ما قائم إلا زيد ، لم ترد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما تزيد أنه ليس في حضرتنا قائم إلا زيد .

ولقد كان الأصوليون أكثر وعياً من البلاغيين عندما كانوا يلجنون في ذهن الأساليب إلى المعرفة الأنوية التي يسمونه عندم (العلم الضروري) ، والذي يشرحه الإمام الفزالي ، فيقول إنه<sup>(١)</sup> : « يحصل عن قرآن أحوال ورموز وإشارات وحركات من التكلم ، وتغيرات في وجهه ، وأمور معلومة من عادته ومقاصده ، وقرآن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس ، ولا ضبطها بوصف ، بل هي كالقرائن التي يعلم بها تحجّل المَحْيَى ، وَوَجَلِ الْوَجْل ، وجين الجوان ، وكما يعلم قصد المتكلّم إذا قال السلام عليكم : أنه يريد التحيّة أو الاستهزاء والمهُون ، ومن جهة القرآن : فعل للتّكلّم ، فإنه إذا قال على المسائدة : هات الماء ، فهم أنه يريد المساء العذب البارد ، دون الماء اللامع » .

من هنا أقول : للاحتجاج إلى تقييم القسر إلى حقيقة وإضاف ، لأن في ذلك إهدار المعرفة الأنوية ، أو العلم الضروري - كما يسميه الأصوليون ، وهو أحق أن يتمحّر .

ومن هنا أيضاً أقول : إن التقسيم اثنان بالقسر الإضاف ، والذي يحمل كل أسلوب قصر مراداً منه الرد على المخاطب لقلب اعتقاده ، أو لترشيد هذا الاعتقاد : بإفراد ما هو مزدوج فيه ، أو تمييز وتحديد ما هو محل شك وتردد فيه ، فيما أسماه المتأخرون : قصر قلب ، وقصر إفراد ، وتمييز . أقول : إن

(١) المستصفى ج ٢ / ١٥ .

هذا التقسيم يرفض الواقع الأدبي الأساليب ، ذلك أنه يمحى مقامات الكلام ويعصرها في هذه الثلاثة ، وفي ذلك خلاة لأي خط قواعد الفن الأدبي .  
إن مقامات الكلام لا تنتهي ، والأغراض الأدبية للأدباء متسعه باتساع أنواع التعبير ، فكيف قبل حصرها في هذه الثلاثة ؟  
يقول سعد بن ثاشر ( أحد شرفاء الدولة الروائية ) عقب عدم الحاجة ابن يوسف التقى قداره - في إحدى الروايات التاريخية -

سأغسل عرق العمار بالسيوف جالبا  
وأذهل عن داري وأجعل هدمها  
ويصفر في عين تلادى إذا انتلت  
فإن تهدموا بالشدر دارى فإنها  
أخرى غرات لا يربد على الذى  
إذا لم تردع مزعة هـ  
فيما زمام رشعـوابى مقدمةـ

(١) العار : كل شيء لائم به عيب .

(٢) ذهل فلان عن كذا : تركه على عهده ، أو نسيه لشلل ، وأعرض (بكسير العين) هو عمل للدح والائم من الإنسان ، يقول : أنا سأداري وأجعل هدمها حاجيا ووأقيا لمرضي من الماء الباقي إذ رأيتها دار هوان .

(٣) التلاذ : المال القديم ، وخصمه بالذكر لأن الناس تضيق به ، وهي بهذا الكلام على أنه كما ينتهي على قلبه ترك المدار والوطن خوفاً من الماء كذلك ينتهي في حينه إنفاق المال القديم عند إدراك المطلوب .

(٤) التبرات : الشدائد ، وبروى أخرى هزمات ، يصف نفسه بأنه ملازم الشدائدة  
مستورد إرباه لا يكتفى بقتله بل يقتله من نفاثة الأمور بل يكتفى بشجاعته عن غيره .

(٥) للام من - والزمام - ملتوحة ، لأنها لام استثناء ، وزمام : مستثنات بهم ،  
وهم حي من عيّم ، نسبوا إلى جدهم زمام بن مالك بن حنطة ، والتربيخ : التربية  
والتأهيل ، السكانف : الطقوس المختتمة .

إذاً ألقى بين عينيه عزمه ونكتب من ذكر المواتي جانها  
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم البهت صاحبها  
الشاهد في البيت الأخير حيث يقرر سعد بن ناشر حقيقة نفسه، إنه رجل  
جسور مقدم يخوض إلى اللوت السκثاث والجيوش المجرارة، إنه لا يستشير  
إلا نفسه، ولا يصادف إلا قائم سيفه.  
والثلاثان من قصر الصفة على اللوسوف، والقصر قصر إضافي يوحى بذلك  
مقام الأبيات.

لني بربك أيها القارئ: أي مخاطب من هانيك الأنواع الثلاثة التي  
ذكرها علساء البلاغة المتأخرة يسمع سعد بن ناشر، ويرى سعد أن يطلب  
اعتقاده أو يرشده حتى يصل به إلى طريق الأفراد أو التعميم - كايزرسون -  
ولا تخدعني الآن عن أن هذا القصر يمكن أن يكون قصراً حقيقة وليس  
إضافياً، فهذه التقسيمات كلها تقسيمات اعتبارية، والمتاخرون أنفسهم يملؤون  
ذلك جيداً، ويملأهون بهذه الاعتبارات، وهو إذاً أقرباً ممك تول  
السوق<sup>(١)</sup>: «إذا قلت: ما في الدار إلا زيد، وأردت لا غيره، وكان فيها  
غيره ونزلته منزلة المدحوم كان القصر حقيقة ادعائياً، وإن أردت لا عمرو،  
وكان فيها يكر وخلاد أيضاً كان إضافياً».

وقد يعتبر في الإضافي تلك المبالغة بأن يجعل ما يكون القصر بالإضافة إليه  
منزلة المدحوم، فإذا قلت: ما في الدار إلا زيد، يعني أن المحسوب في الدار  
مقصود على زيد لا ينبع ادراجه إلى عمرو، وإن كان حاصلاً على زيد وخالد، بذلك

(١) شروح التشخيص - ٢ / ١٧٤ - حلية المدحوم  
(٢ - بلاغة القصر)

قصر إضافي على وجہ الحقيقة ، فإذا جمل ما يكون القصر بالإضافة إليه وهو عمرو بن زة العدم كان قصرًا يضافها على وجہ المبالغة<sup>(١)</sup> .

**مثال آخر :**

يقول عمر بن حنبل الطوسي يدح أنها الفضل البكال من قصيدة :

وإلى الأئمـهـ بـكـالـ سـوـدـدـ عـلـ الـأـمـرـاءـ  
وـطـنـتـ بـالـوجـنـاءـ وـجـنـةـ مـهـمـ مـقـاـذـفـ الـأـكـنـافـ وـالـأـرـجـاـنـ  
كـيـاـ أـلـاحـظـ مـهـ فـأـقـ الـمـلـاـ فـلـكـاـ يـدـرـ كـوـاـكـبـ الـمـلـوـاءـ  
كـالـبـسـدـ غـيرـ دـوـامـ مـقـسـكـاـمـلاـ كـالـبـحـرـ غـيرـ هـزـوـبةـ وـصـفـاءـ  
بـالـفـضـلـ يـكـنـيـ دـهـوـ فـيـهـ كـامـنـ كـالـرـىـ يـكـنـ فـيـ زـلـالـ الـسـاءـ  
نـاـمـنـ إـذـاـ خـطـ السـكـيـابـ يـعـيـهـ أـهـدـىـ إـلـيـنـاـ الـوـشـيـ مـنـ صـنـاءـ  
لـمـ بـغـرـ كـفـكـلـ فـيـ الـبـيـاضـ مـوـهـمـ إـلـاـ بـجـلـتـ عـنـ يـثـرـ بـعـثـاءـ  
قـرـمـ يـدـاهـ وـقـلـهـ مـاـمـهـ فـيـ النـفـلـ وـالـإـعـطـاءـ إـلـاـ طـلـائـ<sup>(٢)</sup>  
شـاهـدـنـاـ أـيـضاـ فـيـ الـبـيـانـ الـأـخـيـرـينـ ،ـ وـوـاضـعـ فـيـ كـلـاـ أـسـلـوبـ الـقـصـرـ هـذـاـنـ

(١) هذه أربعة أسماء من أيام القمر ، فإذا قسمنا نوعي القمر المتحقق (المتحقق والادعى) إلى أسماء صفة على موصوف ، وموصف على صفة أصبح هذان أربعة أسماء القمر المتحقق ، وطبقاً لما ذكره المؤذرون من تقسيم القصر الإضافي إلى إفراد وطلب رباعين تكون أسماء القمر الإضافي ستة ، فإذا هررنا أن كل منها يأتي قصر صفة على موصوف ، وموصف على صفة كانت أسماء القمر الإضافي أثنا عشر فيما ، وكان مجموع أسماء القمر كله (المتحقق والإضافي) ستة عشر فيما

(٢) الوجهاء : ثانية الصلبة ، من الوجين وهي الأرض النابتة ، واليماء : الوادي القذر ومتناقض الأكتاف : يبتعد الأطراف .

(٣) الفرم : السيد ، والطائفي في الكلمة هو حاتم ، وفي النظم أبو تمام .

الشاعر عمر بن علي المطوعي يريد أن يصل بمندوسيه إلى حد السكوال في المعرفة  
التي يعده بها، وذلك بتصرّفه عليه، ورواجح أيضًا أن القمر إضافات.

يا من إذا خط الكتاب بيديه أهدى إلينا الوشى من صناء  
لم تجر كفك في البواسِ موقتاً إلا تجلت عن يديه يهضأه  
قرم يداء وقلبه ما مثماً في النظم والإعظام إلا الطائني  
أن فضل للمدوح وكرمه يصل به إلى حاتم، وإن أدبه ونظميه يصل به إلى  
آبي تمام، وما أبعد منه الثانية وما أكلها.

أقول إن ذلك أن نقل من هامة هذا الشعر، وتقول كما يقول للناخرون:  
إن هناك خطأ يرد عليه الشاعر ليصحح اعتقاده؟

لا يعقل أن يقول هذا لأن الخطاب هو للمدوح، ولو خاطبناه بذلك لتحول  
مسار الأمر إلى مالا يليق بمحدث الأدباء، فإنه البلاء الأدبي الذين يهدون  
الوشى من صناء.

ويعكّر أن تعدد مقامات الكلام من حاسة إلى مدح إلى غرّ إلى تحديد إلى  
تحديد إلى تقرير إلى تهويل إلى تهكم إلى بيان حال .. الخ.  
صحّ أن هناك بعض أساليب التصرّف يوحى مقامها بالرّاء على الخطاب  
مثل قول بشار.

يرزقنى في حب عهدة معاشر قلوبهم فيها خالقة قلبي  
فتلت دعوا قلبى وما اختار وارتفى  
في القلب لا بالعين يُعبر ذو الأب  
وما تبصر العين في موضع المسوى  
ولا تسمع الأذان إلا من القلب

و مثل قول الحسين بن علي للأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان لما أمهله على إعفافه جارية و تزوجها : « أهل بيده » فقد بلغنى كمالتك و تبرعك إيماني بأني تزوجت مولادي و تركت أكملاني من قريش ، فليس فوق رسول الله مهنتي في شرف ، ولا غاية في نسب ، وإنما كانت ملكت يحيى ، خرجت عن يديه بأمر الفتست فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارجمتها على سلة تبه صل الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام الخبسة ، ووضع عنا به النقصة فلأنه على أمرى مسلم إلا في أمر مأتم ، وإنما القبور قبور الجاهمة » .

ولكن هذا نوع واحد من الأساليب وليس كل الأنواع .  
إنما أعتبر ما ذكره الإمام عبد القاهر وأوئل إلى المتأخرين بهذا التقسيم  
من قبيل التحليل النفسي للأساليب .

يُؤكِّد ذلك ويُؤيده اختلاف المتأخرین أنفسهم حول تحمل الآلية الكوئیدة<sup>(٤)</sup> (وَسَمِعَ مُحَمَّدًا إِلَّا دَرْسُولَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ، أَفَإِنْ سَأَلَتْ أَوْ قُتِّلَ اقْتُلْتُمْ عَلَى أَعْتَابِكُمْ وَمَنْ يَقْتُلْنَ عَلَى تَعْبِيهِ فَلَنْ يَصْرُّ اللَّهُ شَيْئًا وَسِيَّرُكُمْ إِلَى الشَّاكِرِينَ) .

**فقد قال السكاكى** (٢) : « ومن الوارد في الفتن والغزو على قصر الأفراد قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول) ففيه عبد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى beyond عن الملائكة، نزل المخلوقون لاستقطامهم أن لا يبقى لهم مزنة العبددين خلا كه، وهو من إخراج السكلايم لا على مقتضي الظاهر .

وتبه الخطيب التزوبي فقال<sup>٣</sup> : « وقد ينزل المعلم منزلة الجهمول لا عبار مناسب ، فيتحمل له الثاني — أي طريق الحق والاستدلال — إفراطاً ، نحو :

(١) سورة آل عمران ١٤٤ - (٢) مفتاح المأمور ١٢٥

(٣) الإباض (ضمن هرود التلخيس) = ٢١٥ / ٢١٦

1. *—* *—* *—* *—* *—*

(وَمَا عَدَ إِلَّا رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ) أَيْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَعْدُهَا إِلَى التَّبَرِيِّ مِنَ الْمَلَائِكَ، تَزَلُّ اسْتَعْظَامُهُمْ هَلَّا كَيْفَ  
مَنْزَلَةُ إِنْسَاكَرَمِ إِلَاهٍ؟

وَأَيْدِيهَا سَمِّدَ الْهَرَبِينَ الْمُقْتَلَّاً فَقَالَ شَارِحًا كَلَامَ الْخَطَّابِ<sup>(١)</sup>: «فَالْخَاطِلُونَ  
وَمِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ عَالَمُونَ بِكُونَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَتَصُورًا عَلَى  
الرِّسَالَةِ غَيْرَ جَامِعٍ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالتَّبَرِيِّ مِنَ الْمَلَائِكَ، لِكُنْهِمْ لَا كَانُوا يَعْدُونَ  
هَلَّا كَيْفَ أَمْرًا عَظِيمًا، تَزَلُّ اسْتَعْظَامُهُمْ هَلَّا كَيْفَ مَنْزَلَةُ إِنْسَاكَرَمِ إِلَاهٍ، أَيِّ الْمَلَائِكَ،  
وَالْأَعْتَادِ الْمُنْسَبِ إِلَيْهِمْ بِعَظَمَتِهِمْ فَهُوَمُهُمْ، وَشَدَّةُ مَتَصُورِهِمْ  
عَلَى بَقَاءِ الْقَيْمَانِ عَلَيْهِ الصلَّةُ وَالسَّلَامُ فِيهَا يَدِيهِمْ، حَقَّ كَانُوهُمْ لَا يَعْتَدُونَ هَلَّا كَيْفَ  
بِالْبَالِ؟»

يَبْلُو رَأْيُ السَّبِيْكِ وَالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ وَالْمَصَاصَ أَنَّ الْأَيْدِيَ مِنْ قَبْلِ قَصْرِ الْقُلُوبِ  
لَا قَصْرُ الْإِنْفَرَادِ - ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي تَوْجِيهِ هَذَا الْقَصْرِ، فَقَالَ السَّبِيْكُ<sup>(٢)</sup>: «تَزَلُّ  
اسْتَعْظَامُهُمْ لَهُ عَلَى الْوَتْ تَزَلُّ مِنْ يَجْهَلُ رِسَالَتَهُ، لَأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ لَابِدُ مِنْ  
مَوْتِهِ، فَمَنْ أَسْتَيْدَ مَوْتَهُ فَكَانَهُ أَسْتَيْدَ رِسَالَتَهُ».

وَاعْتَدَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عَلَى تَحْلُولِ الزَّعْشَرِيِّ لِلْأَيْدِيَ فَقَالَ<sup>(٣)</sup>: «قَالَ صَاحِبُ  
السَّكَافَ: وَالْمَدْنَى: وَمَا عَدَ إِلَّا رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ، فَسَيَغْلِبُوا  
كَانُوا، وَكَانَ أَنْتَاهُمْ بِقَوْمٍ مُمْسِكِينَ بِدِينِهِمْ بِمَدْ خَلُومٍ فَمُلْيِمُكَمْ أَنْ تَمْسِكُوا

(١) الطَّوْلُ ٢١٨.

(٢) عِرْوَسُ الْأَفْرَاجِ - صَنْفُ هَرْرُوقُ التَّلْفِيقِ - ٢١٣/٢.

(٣) حَبْيَةُ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ عَلَى الطَّوْلِ ٢١٧/٢١٨ وَانْظُرُ السَّكَافَ - ٤٦٨/٤.

وبيه بعد خلوه ، لأن الترض من بعنة الرسل تلقيع الرسالة وإلزام المحبة ،  
لا وجوده بين أظهر قومه » (14) .

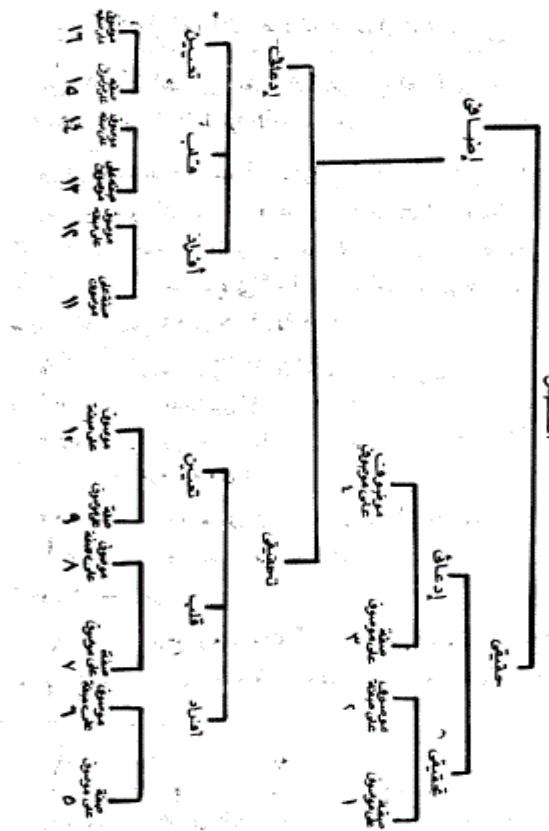
ثم عقب عليه بقوله<sup>(١)</sup>: «قبيل في تقريره إشعار بأن محمد القصر هو الوصف، أعني: قيد دخلت، وأنهم لم يعملا عدداً على السلام أسوة من قيمه من الرسل في مقام دينه، بوجوب التشكك به بعد خلوة» فالقصر قلب، وفيه طرف من الانكار، وقد كمل عارض عليه من الجهة الشرطية، أعني قوله تعالى: «أفإن مات أو قُتل انتقمتْ ملائكتِكَ».

أما المصاص فقال : « لا إله إلا الله ، والأقرب عندى الله قصر قلب » ، أي أنَّما أبعد إلا رسول ، لا إله إلا نزل انتظامهم جلاً كه منزلة دعوى أوليائه ، لأنَّ الياء بمعنى الله ، وكل شيء حالي إلا وجاه ، واعتقاد الألوهية ينافي اعتقاد

(١) حادثة السيد التبرير على الطول (٢٠٠٣)، وانظر السكاف ٢/٤٣٥.

(٢) تجربة تقانس سـ١ / ٢٨٧

### **أقسام التصرّف عند المتأخرين**



مِنَ الْكُفُورِ إِبْرَاهِيمَ أَيْسَرَةَ أُخْرَى حَوْلَ أَسْلُوبِ النَّفِيِّ وَالْإِسْتِنَاءِ :

يقِ الْأَنْ أَشَدُ إِلَى مُتْرَفِ الْكُفُورِ إِبْرَاهِيمَ أَيْسَرَةَ فِي حَدِيْهِ عَنِ النَّفِيِّ وَالْإِسْتِنَاءِ النَّفِيِّ ذَكَرْنَا طَرْفَهَا الْأَوَّلُ مِنْ قَبْلِهِ .

وَخَلَقَهُ مَا قَدَّمْنَا فِيهَا أَنَّهُ حَادِلٌ - أَوْ لَا - أَنْ يَخْرُجَ هَذَا الْأَسْلُوبُ مِنْ دَائِرَةِ الْقُصْرِ، وَاسْكُنْ لَهَا وَجْدَ حَمَاؤُلِهِ قَدْ نَشَّاتِ إِزَادَ ضَنْطَ مَعَانِي الْمَصْوَصِ الْقَرَآَنِيَّةِ عَلَيْهِ تَرَاجِمُ مُشَيرًا إِلَى أَنَّ هَذَا الْأَسْلُوبَ الَّذِي يَؤْدِي مَعَنِ الْقُصْرِ يَأْتِي لَهُ أَكْبَدَ نَفِيٍّ سَابِقٍ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْهُ أَغْلَبَ مَا يَكُونُ مُسْبِقًا بِالْأَسْلُوبِ النَّفِيِّ، وَقَدْ سَاقَ فِي ذَلِكَ بِعْضَ الْأَمْثَالِ الْقَرَآَنِيَّةَ<sup>(١)</sup> :

«مِثْلُ قَوْلِهِ سَبِيعَانَهُ : (أَوْ لَمْ يَفْكِرُوا مَا يَصْحِبُهُمْ

مِنْ جَنَّةٍ أَنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مِنِّيْنَ)»

«وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَمَا مَنَّ السَّوْءَ إِنْ أَنَا)» سُورَةُ الْأَعْرَافِ<sup>(٢)</sup>

إِلَّا نَذِيرٌ وَبِشِيرٌ لِّقَوْمٍ يَوْمَنُونَ)

«فَنَدَقَ نَفِيَ سَبِيعَانَهُ وَتَسَاءَلَ فِي الْأَيَّةِ الْأَوَّلِ أَنْ «بِهِ جَنَّةٌ، أَوْ بِهِارَادَ أَدْقَنَ» أَكَدَ هَذَا النَّفِيُّ الَّذِي يَسْتَفِدُ مِنْ كَلَامِ سَابِقٍ، وَقِيَ الْأَيَّةِ الثَّانِيَّةِ أَكَدَ نَفِيَ أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ مَسَهُ سَوْءٌ».

بَلْ ذَهَبَ فِي شُرُحِ قَوْلِهِ سَبِيعَانَهُ<sup>(٣)</sup> (وَمَا مَنَّهُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَاتَ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ) إِلَى وَجْدَ نَفِيٍّ مَلْحُوظٍ فِي سَيَّاقِ الْسَّكَلَامِ حِيثُ كَالَّا<sup>(٤)</sup> : «وَقَدْ يَكُونُ

(١) انْظُرْ أَسْرَارَ الْقَنْةِ ١٩٣ ، ١٩٤

(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : الْأَيَّةُ الْأَوَّلِ ١٨٤ ، وَالثَّانِيَّةُ ١٨٨

(٣) سُورَةُ الْأَيَّةِ ١٤٤

(٤) مِنْ أَسْرَارِ الْقَنْةِ ١٩٤ / ١٩٥

المعنى المنفي الذي يؤكّد استعمال (النفي مع لا) مفهوماً من محور الكلام وسياقه وأدّاعي له، وهو ما يسمى بالطرف المنفي، في قوله تعالى : ( وما بعد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) : يقرّ المفسرون أن الآية قد نزلت بعد غزوة أحد التي انهزم فيها المسلمون وتحذّلوا حين أشيع بينهم أن النبي قد قُتل، وشق عليهم أن يتصوّروا إمكان موته أو قتله لتوهمهم أنّه قدرة خارقة لا تكون لبشر ولا يظهر بها إلا مقت ، فأراد سبحانه أن يخلع هذا الوهم من أذهانهم وأن يردم إلى الصواب ، فتفق عنده صفات الملك أو مدار مخلده من كونه ملكاً له من الندرة والسلطان ما ليس في مكانت البشر . وكانت الوسيلة لنفي مثل هذه الفكرة هو ذلك الأسلوب الذي عبر عنه البلاغيون بقولهم : القصر بالنفي مع الاستثناء .

وتحت إذ تؤيده فيما يزعم من دلالة أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء على تأكيد النفي ، تمحظ على هذا القول بأسرى :

أولها : أن هذا القول مسجوق به من الأمامين عبد القاهر الجرجاني ، والرازي ، يقول الإمام الرازي — الذي تلخص كلام الإمام عبد القاهر في كتابه نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز عن القصر بأسلوب النفي والاستثناء :<sup>(١)</sup> « ألم أنها — أي هذه الطريقة : طريقة النفي والاستثناء بأصل الوضع تؤيد نفي الشرير ... والذى يدل على أنها موضوعة في الأصل لنفي الشرير أنه لا يصح أن يقال : ما زيد إلا قائم لا قاعد ... وليس السبب فهو ، إلا أن قوله : ما زيد إلا قائم يقيّد أنك نفيت عنه كل صفة تناقض القيام فويدرج فيه نفي المقصود فإذا قلت بهذه : لا قاعد ، كان تكراراً ، وهو غير جائز ، لأن « لا » الماء

(١) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ١٥٤ ، ١٥٥

موشومة لأن يدق بها ما أوجب الملاول، لا لأن يعاد نفي مانعه أولاً».

ويقول الإمام عبد القاهر في شرح قوله سبحانه<sup>(١)</sup> (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن أبدهوا أهله ربي وربكم)<sup>(٢)</sup>: «ليس المقصود: أن لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن الذي: أن لم أدع ما أمرتني به أن أقول لهم، وقلت خلافه».

فأرجوكم: أن لا تؤذون بعثة أغلبية سبق هذا الأسلوب بأسلوب نفي «وبدلنا على ذلك كثرة وروءة في الأساليب الفصيحة مسبوقة بالآيات، خاصة في مقام الأساليب العالية والأساليب التقريرية التي تتعلق بالحقائق والتأكيد المستقرة الثابتة الذي أشرنا إليها من قبل، وضررنا له الأمثال في حيتها».

ومن الأمثلة أيضاً قوله سبحانه<sup>(٣)</sup> «إنا كل شيء خلقناه بقدر، وما أمرنا إلا واحدة كلاماً بالنهض»، وقوله عز وجل<sup>(٤)</sup>: «وعده مفatum الذي لا يعلمه إلا هو»، وقول الفاروق عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا همّ رجل فقط إلا لزم قلبه أربع خصال: فقر لا يدرك غناء، وهم لا يتفقى مداده، وشلل لا ينقد مداده وأهل لا يبلغ مبتاه».

«وقول النبوي: «إنا راحقون في مقالة العذاب» وشقاق في قوله بعد قال:

«لا يطيب الموى ولا يحبن الحبيب لصبة إلا بخس خصال

بساع الأذى، وعدل نفعهم وعذاب وهره، ومقابل

(١) سورة المائدة الآية ١١٧

(٢) دلائل الإعجاز ٢٦٠

(٣) سورة الفرق الآيات ٤٩ ، ٥٠

(٤) سورة الانعام الآية ٥٩

## الفصل الثاني

### القصر بطريق «إنما»

يمكن هنا قبل أن نبدأ حديث القصر بهذا الطريق أن نوجز أم ما قدمناه عنه من خلال حديث الأصوليين والنحاة، وذلك فيما يلي:

أم ما قدمناه في حديث الأصوليين<sup>(١)</sup>

١ - ذكر محققو الأصوليين أن (إنما) تقييد النصر بالمنطوق وضمةً متقدمةً أى تقييداً على سبيل الماء كيده - الإثبات والنفي عامة واحدة، وهي مركبة من (إنما) بمعنى (لما) كيده و (إنما) الرازاده (لما) كيده أيضاً، وهذا التركيب أفاد شيئاً جديداً هو معنى الحصر.

٢ - ذهب بعض الأصوليين إلى إفادة (إنما) معنى القصر من خلال تحطيمها إلى جزأيها (إن، وما)، لكن هذا الفرق من الملمات أقسام قسمين:

(أ) قسم يرى أن لفظ (إنما) يقييد الإثبات، ولفظ (لما) يقييد النفي، ومن هنا يكون مفهومها التركيبى النفي والاستثناء، وهذا هو معنى القصر.

(ب) وقسم آخر يرى أن لفظ (إنما) يقييد الماء كيده، ولفظ (لما) الرازاده عليهما يقييد الماء كيده أيضاً وليس معنى التصريح امتنادهم إلا أن كيدها على تأكيد.

٣ - ذهب ابن عطية إلى أن (إنما) لفظ لا يفارق المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويكون للحصر بجاز، ويحتاج في هذا إلى قريبة.

(١) راجع حديث الشأة المذكورة لأسلوب القصر، وأصحابه من الدراسات الذين طافوا هذا البحث.

أُم ما قدمناه في حديث النعامة<sup>(١)</sup>:

١ - ذكر الكثيرون أن لفظ (إِنَّا) يستعمل بمعنى النفي والإيماء، واحتجوا بقول الترمذى:

أَنَا الْذَّانِدُ الْحَامِي الْفَمَارِ إِنَّا يَدْعُونَ مِنْ أَهْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِنْهُمْ  
قالوا: معناه: ما يدْعُونَ مِنْ أَهْسَابِهِمْ إِلَّا أَنَا أَوْ مِنْهُمْ.

٢ - ذكر البصريون أن لفظ (إِنَّا) يستعمل في الاقتصر على الشيء، فضى رجل اسمه يقول: زيد شجاع وكريم وراقيل وعالم، فتفوّل: إِنَّا هو شجاع، أى ليست له من هذه الصفات الثلاث غير الشجاعة.

وتسهّل (إِنَّا) أيضاً في رد الشيء إلى صاحبه، إذا وصف بصفات لا تليق به، كقوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْفَقَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) وقوله<sup>(٢)</sup>: (إِنَّا أَنَا بَشَرٌ مُّثْكِنٌ)، وهذا راجح إلى معنى الاقتصر.

٣ - ذكر أبو حيان أن لفظ (إِنَّا) لا تدل على المفسر بالوضع، كما أن المفسر لا يفهم من أخواتها التي كتبت بها، فالفارق بين لعل فيما قاتم، ولعل ما زيد قاتم، فكذلكت إن زيداً قاتم، وإنما زيد قاتم، وإذا زيد قاتم، يفهم من سياق الكلام، لا أن (إِنَّا) دلت عليه.

وبعد: فَإِذَا قُلَّ لِلْبَلَاغُونَ؟

٤ - انتكاساً جمورو البلاغيون على حديث عتيق الأصوليين، وقالوا: إن

(١) راجع جذور البحث البلاغي لأسلوب التفسير في هذا البحث، خاصة حديث ابن السيد البطليوسى في كتاب الافتضاب الذى عللناه من قبل.

(٢) سورة النساء الآية ١٧١

(٣) سورة الكهف الآية ١١٠

(إيام) متضمنة لدى النق والإنها ، واستند الإمام عبد القاهر في شرح هذا التضمن على حديث أبي علي الفارسي ، وأبي إسحاق الزجاج ، فقال ناقلاً حديث الفارسي<sup>(١)</sup> : « قال الشيخ أبو علي في الشيرازيات : يقول الناس من المحسوبين في حمو قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : (قل إيمانكم حرم رب الفواحش ما علمكم منها وما بطن) أن لله في : ما حرم رب إلا الفواحش . »  
قال — أى أبو علي — وأصبحت ما يدل على صحة قوله في هذا ، وهو قول الفرزدق :

أنا الذي أندل على الفمار ، وإنما يدافع عن أصحابهم أنا أو مثل  
« فليس ينكر هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفيّاً ، فهو كان المراد به الإيجاب لم يستقيم . ألا ترى أنك لا تقول : يدافع أنا ، ولا يقاتل أنا ، وإنما تقول : يدافع وأقاتل ، إلا أن المعنى لسا كان : ما يدافع إلا أنا<sup>(٣)</sup> ، فذلك الضمير كأنه تصله مع النفي إذا ألحنت منه (إلا) حلا على المعنى »<sup>(٤)</sup> .  
نعم ناقلاً حديث أبي إسحاق الزجاج<sup>(٥)</sup> : « وقاوا أبو إسحاق الزجاج : في قوله تعالى<sup>(٦)</sup> : (إيمانكم حرم ربكم لآية وآدم) النصب في الميّة هو القراءة ،

(١) دلائل الإعجاز ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية :

(٣) لما كان مقصود الشاعر الافتخار بنفسه جعل ضمير ذلك الكلام مقصوراً عليه — كما أوضحتنا من قبل أن مناط الاتهام يكون هو للتصور عليه صفة كان أو موصوفاً .  
(٤) كلام أبي إسحاق الزجاج — الآتي يمد — هو بقية حديث أبي علي كما صرخ بذلك الإمام عبد القاهر — ولذلك فصلنا عنه حيث رأينا انتاج الإمام به ، فأحبينا أن نوضح هذا الانتاج .

(٥) دلائل الإعجاز ، ٢٥٣ .

(٦) سورة النحل الآية :

١١٥

ويموز (إنما حرم عليكم) — أى بالبناء لفاعل — قال أبو إسحاق : والذى اختره أن تكون (ما) هي التي تمنع (إن) من العمل ؛ ويكون المعنى : محرم عليكم إلا الميزة ، لأن (إنما) تأدى إيماناً لما يذكر بهداها وتفيداً لساواه .

ونحن من خلال حديث النقل الشارح لمدى تضمن (إنما) معيون النفي والاستثناء نستنتج أية ثلاثة دلالاتها على القسر :

أولاً : قول أبي إسحاق الزجاج : إنما تأدى إيماناً لما يذكر بهداها وتفيداً لساواه .

ثانياً : مقالة الفرسون في قوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميزة) بحسب القيمة من أن الميزة : ما حرم عليكم إلا الميزة ؛ وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميزة ، لأن مصادر التصرير فيها ، والقراءة الثانية يرفع الميزة على اعتبار فعل (إن) والاسم الموصول (ما) اسمها بهذه ، وجملة (حرم) وفالميزة الضمير المستعار لا فعل لها من الإعراب صفة الموصول ؛ والميزة : يشير إن مرفوع وللمعنى : إن الذي حرمه الله عليكم هو الميزة ، وقد أفادت بهذه القراءة القسر بطرق تعریف الطرفين (اسم الموصول - والميزة) لا بطريق إنما كافراة الأولى التي اختارها أبو إسحاق ونصب فيها الميزة مفهولاً به للقبل الذي ظاهر ضمير مستتر أيضاً ، و (ما) كفت إن من العمل .

فتطابق هاتين القراءتين في إفاده التصرير هو وجه الاستدلال ، ووجه أئمـة المذهب أيضاً .

ثالثاً : صحة انفصال الضمير مع (إنما) إذا أريد جملة متصورة عليه ، كي ينبع مع (ما وإلا) عدد إرادة ذلك ، فنقول (إنما يسافر أنا) كما تقول (ما يسافر إلا أنا) ، والدليل على صحة هذا الاستعمال قول الفرزدق :

أنا الذي أندى الحمار وإنما يدافع عن أصحابهم أنا أو مثل

إذ لو كان المراد الإيجاب لم يستقول، لأنك لا تقول : يدافع أنا ، وإنما تقول :  
دافع ، ولكن لما كان المدى ( ما يدّافع إلا أنا ) فصل الضمير كي يفصل مع  
التفى والاستثناء ليتأتى له ما قصد ، وهو تخصيص المدافع ، لا المدافع عنه ، إذ  
لو قال : وإنما دافع عن أصحابهم إصار المدى ( أنه يدافع عن أصحابهم لاعن  
 أصحاب غيرهم ) وليس ذلك بقصد لما فيه من قصور المدح ، والقائم مُواهمة ،  
إذ هو في معرض التفاصير وعد الماء<sup>(١)</sup> .

٢ - لما كان حديث الإمام عبد القاهر يوم أن فيه انتكاس على زائري  
بعض الأصوليين التحاليف الذي يقول إن (إن) تفيد الإيجاب ، و (ما) تفيد  
التفى فيكون مجموعهما هو جموع التفى والإيجابات . أقول : لما كان حديث  
الإمام عبد القاهر قد يوم ذلك رأى المتأخرُون أن يباعدوا بين كلام الإمام  
و هذا المفهم ، فذكر سعد الدين التفتازاني أنه لا يجوز أن يتوجه الإيجاب  
والتفى إلى الجملة معاً ، لأن هذا يؤدي إلى التناقض ، كما أنه لا يجوز أن تكون  
(ما) ذاتية ويتجه التفى المذكور بعدها لأن ذلك خلاف الواقع في الأسلوب  
مثل قوله سبحانه (إنما حرم على سكين المية) حيث لا يعقل أن يكون المعنى  
(ما حرم على سكين المية) فمعنى أن يكون مقصود التضمن إثبات المذكور من  
مضمون الجملة وتفى ما سواه<sup>(٢)</sup> .

(١) قال في المطول ٢٦٣ « ولا يجوز ان يقول إنه... أنتكأس الضمير... محول على  
الضرورة ، إلا انه يمكن بمحض أن يقول : وإنما دافع عن أصحابهم أنا ، على أن (أنا)  
تآكيد ، ولا يجوز أن يكون (ما) موصولة اسم إن ، وإنما بغيرها ، أي أن المدى يدّافع  
أنا ، لأن قوله : أنا الذي أندى - دليل على أن الفرض : الإثبات عن التكبير يصدر  
القول والمدانة عنه .

(٢) انظر للطويل ٤٢

كما ذكر السيد الشريف أنه يلزم على ما ذكره الأصوليون اجتماع حرفين لها صدر الكلام (إن) التي للإثبات ، و (ما) - المسقطة - التي هي النفي ، وذلك باطل<sup>(١)</sup> :

والحق أن كلام الأصوليين - كما أفاد ابن هشام<sup>(٢)</sup> - يبيح على مقدمتين بالطريق بإجماع النحوين ، إذ ليست (إن) للإثبات ، وإنما هي لتوكييد الكلام إثباتاً أو نفيها .

وليست (ما) النفي بل هي بمنزلتها في إخواتها (لوتنا ولعلنا ولستنا وكأنما) .

وذلك أصرب أبو حسان عن رأيه في كلام الأصوليين فقال إنه<sup>(٣)</sup> : (قول ركيك فاسد صادر عن غير حارف بال نحو) .

٣ - جاء السكاكي فوافق الإمام عبد القاهر على ما قال ، ثم مال إلى أن ينفع برأي الأصوليين التحايل الآخر الذي يقول : إن (إن) تقييد التأكيد ، ولنفط (ما) الزائدة تقييد التأكيد أيضاً ، ومن هنا يأتي معنى القسر ، ولذلك عززه بالنقل على لسان عالم نحوه فاضل هو على بن عيسى الريسي ، يقول السكاكي<sup>(٤)</sup> : « ويدركون بذلك وجهاً لطيفاً يستدل إلى على بن عيسى الريسي وإن كان من أكابر أئمة النحو بینداد ، وهو إن كلمة (إن) لما كانت تقييد إثباتات لأسيد المسند إليه ، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ، لا النافية على ما يطلقه من لا وقوف له بعلم النحو - شاعت تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القسر ،

(١) حافظته على المطول ٢٦٢

(٢) مني المبيب ج ١ / ٣٥٩

(٣) البحر المحيط ج ١ / ٦١

(٤) مفتاح اللغوم ١٣٦

لأن قصر الصفة على الوصف ، وبالمعنى ، ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد ،  
الاتراك متى قلت لخاطب بزبد الجنى الواقع بين زيد وعمر : زيد جاء لاعزو  
يكون قوله : زيد جاء إثباتاً للجني ، لزيد صريحاً ، قوله لا عزو ، إثباتاً  
للهجى لزيد ضحناً .

ولم يدرك الإمام السكاكي أن الإمام الكندي - أحد حماله علم الأصول -  
قد تuib هذا ارأى فقال متهكماً<sup>(١)</sup> : «إن كان له لرأى أن المحصر فيه تأكيد  
على تأكيد ظن أن كل ما وقع كذلك يفيض المحصر» .

وردة السبك كلام الكندي في أفعال أفعال الحديث عن أدلة إفادة (إنما)  
معنى المحصر :<sup>(٢)</sup> «ومنها : أن (إن) للتأكيد و(ما) كذلك ظافع تأكيدان  
فأفاد المحصر ، فالماء السكاكي ، ثم اعترض عليه فقال : «ويرد عليه أنه لو كان  
اجتماع تأكيدين للمحصر لكن قوله : إن زيداً لفاظ يفيض المحصر» .

ولتكن سعد الدين الفقازاني أجاب عن السكاكي فقال :<sup>(٣)</sup> «ويجب أن  
يعلم أن هذه مناسبة ذكرت لوضع (إنما) مقصداً معنى (ما ولا) فلا يلزم  
اطرادها حق يكون كل كلام فيه تأكيد على تأكيد مقيداً فالصواب مثل إن  
زيداً لفاظ» .

ثم ذكر مناسبة أخرى فقال<sup>(٤)</sup> : «وقد يغدر على تضمنه معنى (ما ولا)

(١) نفع الباري ج ١ / ١٤

(٢) عروس الآثار ( ضمن شروح التلخيص ) ج ٢ / ١٩٣

(٣) المطــول ٢١٤

(٤) المرجع السابق ٢١٣

(٥) بلاغة المحصر

يُعَمَّل الصفة الواقمة بهذه على ما صرَّ به بعض النَّهَا نَحْنُ : إِنَّا قَاتِمُ أَبْوَالِكَ ،  
مُثْلَ مَا قَاتِمَ إِلَّا أَبْوَالَكَ .

ع — أضاف السبكي وجهاً رابعاً لدلالة (إِنَّا) على القصر<sup>(١)</sup> هو احتياج  
مضمون النص النفي والإنتبات الناشئ عن «إِنَّا» ، وقد ضرب على ذلك عدة  
أمثلة فرآنية منها قوله مز وجل<sup>(٢)</sup> (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين  
قل إِنَّا عَلِمْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) حيث بين أنفسنا إذا تأملنا مضامون جملة القصر (قل إِنَّا عَلِمْتُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ) مقدّس كريراً قول أبي إسحاق الزجاج الذي قدّمه من قبل «إِنَّا :  
نَأْتَى لِيَهُمْ مَا يَذَكُرُ بِمَدْحَا وَنَفْيِ مَا سَوَاءٌ » يجد أن هذا المضامون يتعلّق إلى  
(لا علم عندى بذلك ، إِنَّا عَلِمْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ) وإذا تأملنا قليلاً يجد أن هذا المضامون  
هو الإجابة الطافية للسؤال للطروح في الآية السابقة .

ومنها قوله سبحانه<sup>(٣)</sup> : (قَالُوا لَا تُوحِّدُونَ قَدْ جَاهَلْنَا فَأَكْثَرْنَا  
بِمَا تَمَدَّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) قال إِنَّا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ) ، حيث إن  
من يتأمل في جملة القصر (قال إِنَّا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ) يجد أن مضامونها : لا يأتِيكم به  
إِنَّا إِنَّا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ ، من هنا كان لا بد أن تكون (إِنَّا) للحصر .

ومنها قوله تعالى<sup>(٤)</sup> : (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَهَدُوهَا قَلْ إِنَّا أَبْيَعُ  
مَا يَوْحِي إِلَيْنَا مِنْ رِزْقٍ ) لا يستقيم المعنى إلا بالحصر ، ذلك أن المعنى : وإذا لم

(١) انظر عروس الأفراح ( ضمن شرح التلخيس ) ج ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤

(٢) سورة الملك الآيات ٤٥ ، ٤٦

(٣) سورة هود الآيات ٣٣ ، ٣٤

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٠ ، ٣١

ثُلُومٍ بِأَيْدِيهِ قَالُوا هَلَا إِجْمَعُنَا أَنْتَمَا مِنْ عِنْدِنَا فَقُلْ لَسْتُ بِعَفْرَانٍ لَهَا إِنَّمَا أَتَتْهُ مَا بِوْحِيٍ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى (١) : ( وَإِنْ تُولُوا فَإِنَّا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ ) إِذْ لَمْ تَكُنْ لِلْحُصُرْ كَانَتْ بِهِنْزَةٍ إِنْ تُولُوا فَعْلَمُكُمُ الْبَلَاغُ - لَأَنَّهَا تَصِيرُ تَأْكِيدَةً كَيْدَيْهَا - وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَلَاغَ تُولُوا أَمْ لَا ، وَضَلَّا عَنْ هَذَا فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِلْحُصُرْ لِتَرْتَبَ عَلَى تَوْلِيهِمْ تَقْرِيْبًا غَيْرَ الْبَلَاغِ مَا قَدْ يَقُولُهُ تَسْبِيْهَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

هـ - يقُولُ أَنْ شَوْلُ : إِنَّا لَمْ نَجِدْ صَدِيقًا لِرَأْيِ ابْنِ عَطِيَّةٍ وَلَا لِرَأْيِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ فِي ( إِنَّمَا ) عِنْدَ جَمِيعِ الْبَلَاغَةِ ، بَلْ عَلَى الْمَكْسِ مِنْ ذَلِكَ وَجَدَنَا أَبْوَحِيَّانَ يَدَعُونَ نَفْسَهُ ، وَيَمْتَرُّ بِأَنَّ الْحُصُرْ مَسْقَادٌ مِنْ ( إِنَّمَا ) لِأَمْنِ السَّهَّانِ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، حَوْثٌ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ سَبِيْحَانَهُ (٢) ( إِنَّمَا الصِّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالسَّكِينِ وَالْمَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْأَوْلَانِيَّةِ تَوْلِيهِمْ وَفِي الرَّقَابِ وَالْمَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيْضَةٌ مِنْ اللَّهِ ) (٣) : « وَلَفَظَةً ( إِنَّمَا ) إِنْ كَانَتْ وَضَمَّتْ لِلْحُصُرْ فَالْحُصُرْ مَسْقَادٌ مِنْ لَفْظَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَوَضَّعْ لِلْحُصُرْ فَالْحُصُرْ مَسْقَادٌ مِنْ الْأَوْصَافِ ، إِذْ مَنَاطُ الْحُكْمِ بِالْوَصْفِ يَقْتَضِي التَّطْلِيلَ بِهِ ، وَالْتَّدْلِيلُ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي الْأَقْتَصَارِ عَلَيْهِ » .

وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ (٤) : ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بِأَيْمَانِهِ مِنَ السَّهَّانِ فَظَلَّوْا فِيهِ يَعْرُجُونَ

(١) سورة آل هُرَيْنَ الآية : ٤٠

(٢) سورة التوبه الآية : ٦٠

(٣) البقر المحيط ج ٥ / ٥٧

(٤) سورة الحجر الآية : ١٥

قالوا إِنَّا سَكَرْتُ أَبْصَارَنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْجُورُونَ<sup>(١)</sup> : «... وَجَاءَ لِفَظُ (إِنَّا) مَشْرُورًا بِالْحَسْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا تَسْكِيرًا لِلأَبْصَارِ».

وف قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَقْتَدُنَا بِمَنْ إِذَا هُوَ إِلَهٌ وَرَبُّهُ فَإِنَّهُمْ فَارِهُونَ) : «... وَلَا يَهُنَّ مِنَ الْخَادِمِينَ، وَاسْتَعْزَمُ النَّاسُ مِنْ اتَّخِذَ آلهَهُ أَخْيَرَ تَعْالَى أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، كَمَا قَالَ وَلَمْ يُكْرِهْ إِلَهٌ وَاحِدٌ بِأَدَاءِ الْحَسْرِ وَبِأَنَّهُ كَيْدٌ بِالْوَحْدَةِ»<sup>(٣)</sup>.

كاوجدنا الإمام الطاوف صاحب الأكابر في علم التفسير ببيان أن التصر  
بِإِنَّا مَطْرُدٌ ، يقول الإمام الطاوف بعد أن شرح كثيرون من الآياته وبين فيها  
الحصر<sup>(٤)</sup> : «وعلى هذا نفس فإنه مطرد» ، ثم يجادل عن هذا الأطراط فيقول:  
«فَإِنْ قُلْتَ لَمْ يَطْرُدْ فِي نَحْرٍ»<sup>(٥)</sup> : (إِنَّا لَؤْمُونَنَّ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّ  
تَوْبِيهِمْ) <sup>(٦)</sup> الآية ، ونحو (إِنَّ الْأَمْرَالِ بِالْأَيَّاتِ) و (إِنَّ الرِّبَّا فِي النِّسْيَةِ)  
لثبوته في التفاضل .

« قلت : أَمَا الْآيَةُ ، فَلَمْ يَرَادْ بِهَا : إِنَّا لَؤْمُونَنَّ الْكَافِلِينَ بِالْإِيمَانِ فَيُسْتَهْمِمُ  
الْحَسْرُ إِذْنُ .

« وأَمَا الْثَّانِيَةُ : فَلَيْسَ عَدَمُ الْأَطْرَادِ فِيهَا رَاجِيًّا إِلَى اتَّخِذَاهُ (إِنَّا) الْحَسْرُ أَوْ  
عَدْمُهُ ، بَلْ إِلَى تَحْصِيصِ عَمُومِ الْوَاقِعِ بِمَدِحِهِ بِتَحْصِيصِ مَا .

(١) البُشْرُ الْحَسْرِ ج ٥ / ٤٤٨

(٢) سورة النحل الآية : ٥١

(٣) البُشْرُ الْحَسْرِ ج ٥ / ٤٠١

(٤) الْأَكْبَرُ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ ١٦٣

(٥) الوضعُ السَّابِقُ

(٦) سورة الأنفال الآية : ٤

« واعلم أن خبر الجلة الأسمدة الواقعه بعد ([إما]) إذا كان جاراً ومحبروراً متعلقاً بالخبر الحقيقي مخدوعاً ، فيختلف في الحكم للاختلاف في تقديره كنهذه الصورة ، إذ يضمهم بجمل تقدير ([إنما الأحوال) صحبيه بالنيات ، وبضمهم كاملاً بالنيات فوسكون الخلاف على القول بالعصر في جهة ، لاق حقيقته ، فتفيده لهذا » .

مذاقات حول ([إما]) مع بعض المحدثين :

الزبيري

١ — مع الزميل الفاضل الدكتور محمد الأمين الخضرى :

كتاب الدكتور محمد الأمين الخضرى - المدرس في كلية الآدلة العربية بالقاهرة - مقالاً في حلية هذه السكينة - المدد الرابع ١٩٨٦ ، بعنوان « حوار حول أساليب الفسر »<sup>(١)</sup> يخصها منه - الآن - إعلانه عدم اطراح ([إما]) في إفاده معنى الفسر مستنداً إلى عدة أدلة رنانة في هيئتها ومقارنتها : خاتمة باحثة إذا نظر إليها بعزيزان البحث العلمي الدقيق .

وهذه الأدلة هي :<sup>(٢)</sup> —

- ١ — إن القول باطراد الفسر بها لم يقل به ابن عطية من الأصوليين وأبو حيان الأندلسي من النحاة .
- ٢ — إن الشأن أن « التقدير » أضف من « [إما] » في إفاده معنى الفسر ، ونم هذا إذا اجتمعت معه أولى إفادتها لهذا المعنى ، كاف قول المعنى بعد عصى الدولة عند قدوته عليه بشهراز<sup>(٣)</sup> :

(١) انظر الفصال من ٢٧٧ إلى ٣١٨ في هذه المجلة .

(٢) ٢٨٦ — ٢٨٩

(٣) انظر المديون ٥٨٦

أبا شجاع بفادرس عزد لا      دولة فدا خبرو شهناها  
أساميهـا لم تزده معرفة      وإنما للة ذكرناها  
تقود ممتحن الكلام لنا      كا تمود السحاب عقلاها  
هو النبیس الذى مواهـه      نفس أمواله وأستها

٣ - إن القول باطراـد الضرر بها يؤدى إلى الإخلال بقاعدة قرورها الإمام عبد القاهر هي وجوب تأثير التصور عليه منها ويتتحقق هذا الإخلال في نحو الأئمة الآتية<sup>(١)</sup> :

(أ) قوله : إنما قـت ، مـنـاه لـيـقـام ، فـهـو حـمـر لـلـقـمـل ، وـلـيـسـ الأـخـيـرـ ، فـإـنـ الـأـخـيـرـ هـوـ الـفـاعـلـ ، وـهـوـ الـضـيـرـ ، وـلـوـ قـصـدـ حـمـرـهـ لـفـصلـ الضـيـرـ مـثـلـ : مـاـقـامـ إـلـاـ أـنـاـ .

(ب) قوله صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : إـنـما يـأـكـلـ كـلـ آـلـ مـعـدـ مـنـ هـذـاـنـاسـالـ ، الـرـادـ : لـيـسـ لـهـمـ فـيـ إـلـاـ أـكـلـ ، لـاـ أـنـهـ لـيـأـكـلـونـ إـلـاـ مـنـ هـذـاـنـاسـالـ . كـاـنـتـهـيـهـ التـوـاعـدـ .

(ج) قوله تعالى : (إنـما يـرـيدـ الشـيـطـانـ أـنـ يـوـقـعـ يـنـسـكـمـ الـمـدـاـوـةـ وـالـبـنـضـاءـ فـالـغـرـ وـالـبـيـسـ)<sup>(٢)</sup> ، فإنـ الـرـادـ : ماـيـرـيدـ إـلـاـ أـنـ يـوـقـعـ الـمـدـاـوـةـ فـالـغـرـ وـالـبـيـسـ ، وـمـقـنـيـهـ الـفـوـادـدـ : أـنـ يـسـكـونـ الـرـادـ : ماـيـرـيدـ أـنـ يـوـقـعـ الـمـدـاـوـةـ إـلـاـ فـيـهـماـ .

(د) قوله تعالى : (أـوـ قـوـلـواـ إـنـماـ أـشـرـكـ آـبـاؤـنـاـ مـنـ قـبـلـ)<sup>(٣)</sup> ، فإنـ المـعـنىـ :

(١) نـذـلـنـاـ أـلـيـشـةـ مـنـ كـتـابـ تـجـرـيدـ الـأـنـبـاـيـ عـلـىـ عـنـصـرـ السـمـدـ قـرـيـادةـ الـإـيـشـاحـ جـ ١ / ٢٩١ ، وـانـظـرـ أـيـضاـ عـرـوـسـ الـأـفـرـاجـ جـ ٢ / ٢٣٣

(٢) سـوـرـةـ الـسـالـدـةـ الـآـيـةـ : ٩١

(٣) سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ الـآـيـةـ : ١٧٣

لَمْ يَقُعْ إِلَّا أَنْ أَشْرَكَ آبَاؤُبَا مِنْ قَبْلِهِ ، وَمَقْتُصِي الْفَوَادِ : مَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا إِلَّا مِنْ  
قَبْلِهِ ، أَيْ لَمْ يَشْرُكُوكُوا مِنْ بَعْدِنَا بِلَمْ يَقُلُوكُوا .

(هـ) قوله تعالى : (يَا قَوْمَ إِنَّمَا فَقِيمُكُمْ بِهِ<sup>(١)</sup> ، مَقْتُصِي الْفَوَادِ : إِنَّ الْعِنْ مَا فَقِيمُ  
إِلَّا بِهِ ، وَلَيْسَ لِلرَّادِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْبِحُ فِيهِ قَصْرُ الْفَلَبِ ، وَلَا تَصْرُ الأَفْرَادُ لِأَنَّهُم  
لَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَ أَهْمَمَ نَذْوَارَهُ وَبِنِيرَهُ ، وَلَا أَنَّهُمْ نَذْوَارَ بَغْرِهِ نَفْطَهُ ، فَهُمْ  
أَنْ يَكُونُ الْمَفْعِلُ : لَمْ يَقُعْ إِلَّا أَسْكَمَ فَقِيمُكُمْ بِهِ<sup>(٢)</sup> .

(وـ) قوله تعالى : (وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كَنْ فَيَكُونُ<sup>(٣)</sup> ، يَلْزَمُ  
عَلَى الْفَوَادِ أَنْ يَسْكُونَ التَّقْدِيرَ : مَا يَقُولُ لَهُ إِلَّا كَنْ ، وَلَيْسَ لِلْعِنِ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا  
الْمَفْعِلُ : لَا يَقْعُدُ شَيْءٌ إِلَّا قَوْلُهُ كَنْ .

(زـ) قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ<sup>(٤)</sup> ، فَالْمَفْعِلُ عَلَى النَّفَاعَةِ :  
مَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ ، وَهَذَا الْعِنْ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا لِسَكْنَهِ لِيُسَرُّ الرَّادِ ،  
بَلِ الْمَرَادُ : مَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ إِلَّا إِنَّهُ بَدْلُهُ أَنَّهُ جَوَابُ الْقَوْلِمِ فَأَتَتْنَا بِهِ تَعْدِنَا إِنْ كَنْتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ،

٤ - هَذَاكُمْ مِنْ فَصْبِحِ الْأَسَالِبِ مَا وَرَدَتْ فِيهِ (إِنَّمَا) مَفِيدَةُ لِتَأْكِيدِ وَشَبَرِ  
مَفِيدَةُ لِلْقَصْرِ دُونَ أَنْ يَسْكُونَ هَذَاكُمْ مَانِعُ بَلَاغِ كَالْقَدْرِمِ مَثَلًا ، خَمْرُ قَوْلِ عَلَى  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ - فِي أَحَدِي رِسَالَتِهِ لِمَوَاهِبِهِ : « فَإِنَّمَا إِكْتَنَارَكَ الْحِبَاجَ فِي عَيْنَانِ  
وَقَلَاتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عَيْنَانَ حِيثُ كَانَ الدَّصْرُ لَكَ » وَخَرَائِمَ حِيثُ كَانَ النَّصْرَهُ .

(١) سورة طه الآية : ٩٠

(٢) سورة البقرة الآية : ١١٧

(٣) سورة هود الآية : ٣٣

وقول للشاعر يحيى سيف الدولة في عبد له مات لحزن عليه<sup>(١)</sup> :  
تسلل به كسر في أبيك فإذَا... بكت فكان الضحك بعد قريب  
ونحن في سبيل الرد على هذه الأداة نقول : —

أما عن الدليل الأول :

فإننا سبق أن قررنا أن جمور البلايغرين لم يعتقد برأى ابن عطية ولا برأى  
أبي حيان في القول بعدم اطراد إفاداة « إنما » لمعنى التصر على عدم  
الباحث المحدث قد أعاد بكلام أبي حيان واعتمد عليه ، فإن باحثاً محدثاً آخر  
ناقضه في ذيجه مذاقة شعده بها .

وخلال صيتها<sup>(٢)</sup> :

- ١ - إن قواص أبي حيان عدم اطراد إفاداة ( إنما ) لمعنى التصر على عدم  
إفاداة أخوات ( إنـ ) لمعنى التصر عند إلحاد ( ما ) السكافة بها قواص عجيب ،  
ذلك أن جمجم الملاع نصواعل أن المصر خاص بين المكفوفة بما ، أو يأخذها  
« إنـ » المتوجه عند البعض ، وأن « إنما » أفادت المصر ودللت عليه لأنها  
متضمنة معنى ( ما وإلا ) ، ولا يوجد هذا التضمن في أخواتها المكفوفة بما .
- ٢ - إن كلامه بأن الشهاد هو الذي يحدد إفادتها معنى التصر من عدمه  
شيء لم تفرق النصوص على ما يقتضيه ، بل كل موضع وردت فيه ( إنما ) و( ما )  
فيها زائدة كافية أفادت المصر .

(١) ديوان الثاني ٣٤٤

(٢) انظر ( إنـ واستعمالاتها في القرآن الكريم ) الدكتور نزيه عبد الحميد السيد

٤ - أن الإمام عبد القاهر عندما ذكر أن انفعام (ما) فالزائدة إلى (إن) القلآن كيد يحدث معنى القصر (الإيات رالف) كان كأنه يصدقه، الغيب ورد على أبي حياء، يقول الإمام عبد القاهر رحمة الله<sup>(١)</sup>: «ليس بهميد أن يظن القلآن أنه ليس في انفعام (ما) إلى (إن)» فالزائدة أكثـر من أنها تبطل عمليها حق ترى التحريرين لا يزيدون في أكثر كلامهم على أنها كافية، ومكانتها ها هنا بزيل هذا القلآن وبطيئه، وذلك أنك ترى أنك لو قلت: ماجاءني زيد، وإن عروج جاءني، لم يعقل منه أنك أردت أن الجاني عرو ولا زيد، بل يسكون دخول (إن) كائناً، الذي لا يحتاج إليه، ووجدت المفعى ينبو عنه»، أي أن معنى النصر ظاهر واضح من (إنما) وليس من السياق.

٥ - إن أحاجيان لم يجد بدأ من التغول بإفادتها لانصراف آيات قرآنية كبيرة وقد أوردنا طرفاً منها من قوله، فلابد من إشارة، فهي لافتة من بطلها.

#### وأما عن الفاصل الثاني:

وهو قوله: إن التقديم أضفت منها في إضافة «من القصر»، فذلك أمر فيه خلاف بين الملايين، يقول البهانى في تحريره على اختصار المعاى لسعد الدين الفقازانى<sup>(٢)</sup>: «واختلف في «التقديم» و«إنما»، أي إذا اجتمعا في أسلوب قصر، إلى أيهما يسدد القصر، فذهب الشارح، أي سعد الدين، إلى أنه يسدد إلى «التقديم» لأنه أقوى، ومكسن السيد لأن «إنما» أقوى».

(١) دلائل الأعجاز ٢٧١، ٢٧٢

(٢) تحرير البهانى ج ١ ص ٢٨٥

على أن سعد الدين التغمازى قد ذكر في كتابه لطوف أن «إنسا» أقوى<sup>(١)</sup>.

وعل هذا فالنصر في أبيات المتنى يعني مؤيداً لكلام السعد (الشارح) – كما يقول صاحب التجريد، بينما تضى نصوص أخرى التقدير فيها مجرد الاعتقام – مثلاً – والنصر منسوب إلى «إنسا» مؤيداً كلام السيد.

وأما من الدليل الثالث:

وهو أن القول بتأثر النصر بها يعود إلى الإخلال بقاعدة قررها الإمام مهد القاهر في وجوب تأثير التصور عليه منها – كا في الأئمة التي ذكرها السعك متزضاً بها على الفرزويي، فإني أرى في ذلك مغالطة كبيرة للإمام عبد القاهر، ذلك أن الإمام وهو يتحدث عن موقع التصور عليه مع «إنسا» – يلقيات – ربطه بفرض الكلام وممنه، ومن ثم فلا يحسب عليه استنتاج الفرزويي ومن تابه من المتأخرین بأن موقع التصور عليه مع «إنسا» هو المؤخر دائمًا.

والسعك نفسه صاحب هذه الأئمة لم يجرؤ أن يقول: إن هذا مذهب الإمام عبد القاهر، وهو من نظره مطلقاً خديجه من موقع التصور عليه مع «إنسا» فتجده يقول<sup>(٢)</sup>: «قد عرف بما سبق أن ضابط التصور عليه أن يكون بعد «إلا» سواء كانت مقدمة أو متأخرة، وأما «إنسا» فضابط التصور عليه أن يكون متأخرًا، فنقول في معنى «ما قام إلا زيد، إنسا قام زيد»، وفي معنى «ما ضربت إلا زيداً: إنسا ضربت زيداً»، وفي معنى «ما غلنت زيداً إلا قاتلاً، إنسا غلنت زيداً قاتلاً وهذا هو الشهود».

(١) الطـول ٢١٧

(٢) مرسى الأنراح - ضمن عروض التلخيص ٢٤ من ٢٣٢ ، ٢٣٣

وَنَوْدٌ — الْآنِ إِلَى الْإِمَامِ عَبْدِالْقَاهِرِ لِلْمُعْرِفِ كَيْفَ حَدَّدَ مِنْ جَلَالِ غَرْضِ الْكَلَامِ وَمَعْنَاهُ مَوْقِعِ الْمَفْسُورِ عَلَيْهِ فِي جَاهِ الْقُوَّةِ سَوَاءً فِي ذَلِكَ أَكَانَ الْمَعْرِفَ إِنَّمَا أَوْ مَا وَإِلَّا فَنَاهٍ يَقُولُ<sup>(١)</sup> : قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِ الْمَلَائِكَةِ )<sup>(٢)</sup> .

فَتَقْدِيمُ اسْمِ اللَّهِ عَنْ وَجْلِ مَعْنَى ، خَلَافُ مَا يَكُونُ لَوْ أُخْرَ ، إِنَّمَا يُبَيِّنُ لَكَ ذَلِكَ إِذَا اعْتَبَرْتَ الْمَلَائِكَةَ فِي ( مَا وَإِلَّا ) وَحَقْنَاتُ الْفَرْقِ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ : مَا يَخْرُبُ زَيْدًا إِلَّا هُرْوَ ، وَبَيْنَ قَوْلِكَ : مَا يَخْرُبُ هُرْوَ إِلَّا زَيْدًا .

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُما : أَنَّكَ إِذَا قَلْتَ : مَا يَخْرُبُ زَيْدًا إِلَّا هُرْوَ ، فَقَدَّمْتَ الْمَنْصُوبَ كَانَ الْفَرْضُ : بَيْانُ الصَّارِبِ مَنْ هُوَ ؟ وَالْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ هُرْوَ خَاصَّةٌ دُونَ غَيْرِهِ .  
وَإِذَا قَلْتَ : مَا يَخْرُبُ هُرْوَ إِلَّا زَيْدًا ، فَقَدَّمْتَ الْمَفْوَعَ ، كَانَ الْفَرْضُ : بَيْانُ الْمَفْرُوضِ مَنْ هُوَ ؟ وَالْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ زَيْدٌ خَاصَّةٌ دُونَ غَيْرِهِ .  
وَإِذَا قَدْ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْتَبِرْ بِهِ الْآيَةِ .

وَإِذَا اعْتَبَرْتَهَا عَلِتَ أَنْ تَقْدِيمَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ أَنَّ الْفَرْضَ أَنَّ بَيْنَ الْخَاطِشَوْنَ مَنْ هُمْ ؟ وَيَخْبُرُ بِأَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةَ دُونَ غَيْرِهِمْ .

وَلَوْ أُخْرَ ذَكْرُ اسْمِ اللَّهِ وَقَدْمُ الْمَلَائِكَةِ ، فَقُوْلُكَ : إِنَّمَا يَخْشَى الْمَلَائِكَةُ اسْمَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآيَةُ ، وَاصْرَارُ الْفَرْضِ بَيْانُ الْمَخْشَى مِنْ هُوَ ؟ وَالْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَجُبْ حِينَئِذٍ أَنْ تَكُونَ الْمُخْشَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَقْصُورَةً عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَأَنَّ يَكُونُوا مَخْصُوصِينَ بِهَا . كَمَا هُوَ الْفَرْضُ فِي الْآيَةِ ، بِلْ كَانَ

(١) دلائل الاعجاز ٣٦٤ ، ٣٦٢ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

يُسْكُونُ لِلَّهِ أَنَّ أَغْرِيَ الطَّمَاءَ يَخْشُونَ إِلَهَ تَمَالٍ أَيْضًا، إِلَّا أَنْهُمْ مَعَ خَشْبِهِمُ الْهُنْدِ  
تَمَالٍ يَخْشُونَ مَعَهُ خُورَهُ، وَالْمَاءُ لَا يَخْشُونَ غَيْرَ إِلَهِ تَمَالٍ.

وَهُذَا اللَّمْعُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ كَقُولَةٍ تَمَالٍ؛  
(وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا إِلَهٌ) <sup>(١)</sup> فَلَيْسَ هُوَ التَّرْضِ فِي الْآيَةِ، وَلَا الْفَظُّ بِعَوْنَى  
لَهُ أَبْغَةٌ، وَمِنْ أَجَازَ حَمْلَهَا عَلَيْهِ كَانَ قَدْ أَبْطَلَ فَاتِنَةَ الْقَدْرِ؛ وَسُوْرَى بَنْ قَوْهُ  
تَمَالٍ : (إِنَّمَا يَخْشُى إِلَهٌ مِّنْ هَبَادِهِ الْمَاءَ)، وَبَيْنَ أَنْ يَقُولَ : إِنَّمَا يَخْشُى الْمَاءَ  
إِلَهٌ، وَإِذَا سُوْرَى بِيَدِهِمَا لِزْمَهُ أَنْ يَسْوِيَ بَيْنَ قُولَتَاهُ مَا ضَرَبَ زِيدًا إِلَّا هُمْ وَبَيْنَ  
مَا ضَرَبَ هُرُو إِلَّا زِيدًا، وَذَلِكَ مَا لَا شَبَهَ فِي امْتِنَاعِهِ.

عَلَى أَنَّ الْإِمامَ عَبْدَ الْقَاهِرَ يَدْرِكَ جَيْهًا مَا ذَرَ كَرْهُ السُّبْكِ مِنْ مُذَهَّبِ الْرِّجَاجِ  
— بِدَلْوَلِ مَا أُورَدَهُ فِي أُولَئِكَ الْحَدِيثَيْنِ مِنْ إِنَّمَا — وَمَا يَدْرِيَنَا أَنَّهُ كَانَ يَشَيرُ بِالْمَصْنَعِ  
الَّذِي ذَكَرَنَا هُدًى لِهَذَا الْمُذَهَّبِ.

بَقِيَ أَنْ نَقُولَ لِلْزَمِيلِ النَّاضِلِ الدَّكْتُورِ عَمَدَ الْأَمِينِ الْخَضْرَى : إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ  
فَاحِدَةٌ وَلَا تَخْتَوِي عَلَى كُسْرٍ مُذَهَّبٍ لِلْأَخْرَيْنِ الَّذِي يَكَادُ يَكُونُ مُطْرَدًا لِأَنَّهُ يَخْتَلِفُ  
أَيْضًا . وَلَعِلَّ مَا يُشَهِّدُ لِذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ يَوْمٍ أَنْ قَالَهَا السُّبْكُ تَنَاقَلُهَا  
السُّكَّبُ دُونَ إِضَافَةِ مِثَالٍ وَاحِدٍ عَلَيْهَا .

#### وَأَمَّا مِنَ الدَّلِيلِ الرَّابِعِ :

وَهُوَ قَوْهُ : إِنْ هَذَاكَ مِنْ خَصِيبِ الْأَسَالِيْبِ مَا وَرَدَتْ فِيهِ (إِنَّمَا) مَنِيَّدَةُ الْأَنَّا كَوْدَ  
وَغَيْرُ مَنِيَّدَةٍ لِقَصْرِ دُونِ أَنَّهُ يَكُونُ هَذَاكَ مَانِعٌ بِلَاغِيٍّ كَالْقَدْرِ مَثَلًا — نَحْوَ قَوْلِ  
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فِي أَحَدِي رِسَالَتِهِ — لِمَارِيَةَ بِنْ أَبِي سَفَافَتِهِ  
رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَيْمَهُ : « فَإِنَّمَا إِكْفَارُكُ الْمُجَاجُ فِي هَيَانٍ وَقَتْلَهُ، فَإِنَّكَ أَنَّمَا  
تَصْرِيْتُ عَيْنَاهُ حِثْ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلَهُ حِثْ كَانَ النَّصْرُ لَهُ ». <sup>(٢)</sup>

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ الْآيَةُ ٣٩

وقول للغزني يعزى سيف الدولة في ميدانه مات غازون عليه :  
تسلل بفسكتور في أبيك فإيما بكيت فسكان الصحن بعد قريب

فإن قول علي بن أبي طالب يشهد القصر ، والباحث نفسه يمترأ بذلك إلا أنه يرى أن هذا النصر يخالف ما ذكره الإمام عبد القاهر من حيث التصريح مع إجماع الأئمة للنقى ، وذلك ما أردته عليه ، وذلك أن الإمام عبد القاهر يقرر في حدثه أن (إيما) تجاء م «لا» الماء ، وهذه الأخيرة وأيما «لا» الماء ماء من أدوات النقى قبل أن تكون عاطفة ، والماء متقوذ بعد عبد القاهر أيضا على أنه إنما اجتمع «إيما» مع «لا» الماء ، كان القصر لإيما لأنها أقوى (١) .

ومن هنا فإني أقر أن التصريح بالنقى في الجملة الثانية لا يتعارض مع القصر وإنما في الجملة الأولى ، وسنورد كلام الإمام عبد القاهر في حينه عند الحديث عن مجامعة طريق المطفط الطريق آخر من طريق القصر .

هذا عن قول علي بن أبي طالب .

أما عن قول أبي الطيب المتنبي فإيما ذكر القاريء بما قلناه من قبل ، وهو أن (ما) أزيداته الكافية فقط هي التي إذا تحققت : (إن) تشهد معنى القصر ، أما (ما) التي في بيت المتنبي فمعنى اسم مبهم بعنزة ضمير الشأن في التنتيم ، وفي أن الجملة بهذه مقدرة له ومحبب بها عنه (٢) ، ولذلك كان تفسير البيت - كما ذكر أبو البقاء المكربلي ، واعترف بذلك الباحث (٣) : « تسلل في مصيبيتك وتسل

(١) تحرير البناء ج ١ ص ٢٨٥

(٢) راجع مني المطلب عن كتب الإمام باب لابن هشام ج ١ ص ٣٠٧

(٣) انظر ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء ١/٤٤ ، وأنظر مقال الباحث في الجملة ٢٨٥

عنه وأذكُر مصيبيك يا يويك ، فإنك بكت لفقدكها ، ثم ضحكت بعد ذلك بزمان قريب ، كذلك حزنك لأجل هذه المصيبة سوذهب عن قريب .

٢ - مع الدكتور إبراهيم أنيس في حديثه عن أسلوب «إنما» :

وقد تنقلنا ملاحظة الدكتور محمد الخضرى عن «إنما» فتقول على بن أبي طالب السابعة ذكره - أعنف منه التصریح مع «إنما» بالمعنى - إلى الدكتور إبراهيم أنيس ، الذي أظن أنه كان الأصل في هذه الملاحظة ، حيث ذكر سيادته أن (إنما) تعمّل لنا كيد الإثبات ، ولكن مع إفادتها لمعنى القصر .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس في مقارنة بين أسلوب «إنما» و «ما ولا» «الآن كيد مع «إنما» توكيد الإثبات ، ومع «المعنى ولا» تأكيد المعنى»<sup>(١)</sup> . كما يقول في مقارنة عملية بينهما من واقع النصوص القرآنية : «... فإذا فارنا بين الأسلوبين في قوله تعالى»<sup>(٢)</sup> :

٣ - ألم يفكروا ما يصاحبهم من جهة إن هو إلا نذير مبين»<sup>(٣)</sup> .

٤ - «قل إنما الملم عذ الله وإنما أنا نذير مبين»<sup>(٤)</sup> .

«الأسلوب الأول أسلوب نقى ، في حين أن الأسلوب الآخر أسلوب تقرير وإثبات . فقوله تعالى (أن هو إلا نذير مبين) يراد به توكيده نقى ما قبله من أن

(١) من أسرار اللغة ١٩٥

(٢) المرجع السابق ١٩٥ ، ١٩٤

(٣) سورة الأحراف الآية : ١٨٤

(٤) سورة الكهف الآية : ٣٦

بهُجنة ، فتلقى المفهُوم السايك مرةً أخرى بطريق غير مباشر ، وأسلوب مهابٍ ، وفي هذا ما فيه من البلاهة وحسن القول .

« وليس المراد الأساسي في الآية الأولى إثبات أنه نذير مبين ، كذلك ليس المراد الأساسي بقوله : ( وما محمد إلا رسول ) <sup>(١)</sup> إثبات الرسالة الحمد ، لكن المراد في مثل هذا الأسلوب هو فن شىء » .

« أما التعبير بإيما فهو تعبير إثبات يكاد قوله تعالى على لسان نوح : ( وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَسَكِينٌ نَذِيرٌ مَبِينٌ ) <sup>(٢)</sup> ، ذيর أن الأسلوب بإيما يفيد مع الإثبات قصر مهمة النبي على أداء رسالة معينة يوحى بها إليه ، فهو بقوله : ( إِنَّمَا نَذِيرٌ مَبِينٌ ) يقرر حقيقة مهمته ويؤكددها في أذهان قومه من اعتراض بهذه المهمة وتغريها » .

وفي اعتقادى أن ما قاله الدكتور محمد الأمين الخضرى يصلح أن يقانى الدكتور إبراهيم أنيس : إن الإمام عبد القاهر قد أجاز الجم بين النفي وإنما ، وكما أجاز أن يقديم النفي ونأتي ( إنما ) لوقكده ، أجاز أن تقدم ( إنما ) ونأتي النفي ليؤكدها .

وإذا كان الإمام عبد القاهر قد مثل للنفي المتأخر بمثل قول الله عن وجل : ( فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مَذْكُورٌ أَسْتَ عَلَيْهِ بِسَمْطِر ) <sup>(٣)</sup> ، فإنما مثل للنفي المقدم بمثل الآية السكريبة ( ولكن انتصر بعد ذلك فأولئك ماعليهم من سبيل ، إنما

(١) سورة آل عمران الآية : ١٤٤

(٢) سورة هود الآية : ٢٥

(٣) سورة النازية الآية : ٢٢ ، ٢١

السبيل على الذين يظلون الناس ويبنون في الأرض بغير الحق، أو تلك لم يم عذاب  
 أليم<sup>(١)</sup> ، وقول النبي يمدح أباً على هارون بن عبد العزير الأوداجي  
 السكاكب<sup>(٢)</sup> :

أبدأت شيئاً ليس يُعرف بهؤه  
 وأعدهت حق أفسر الإبهام  
 فالغفر من تقصيره بك نا كب  
 والحمد من أن يستزاد براء<sup>(٣)</sup>  
 فإذا سللت فلا لأنك محروم  
 وإذا كفحت وشت بك الألام<sup>(٤)</sup>  
 الشاً كربن على الإله ثمام<sup>(٥)</sup>  
 وإذا مدحت فلا لفسك رب فضة  
 يتنى الخصيب وبعمر الدمام<sup>(٦)</sup>  
 لم تحك تلك السحاب وإنما حكت به فقصيبها الرضاء<sup>(٧)</sup>

على أننا يجب أن نذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الآية التي ذكرها تشهد  
 بما كهد الإنبيات - أعنى قوله سبحانه<sup>(٨)</sup> (قل إنما الهم عند الله وإنما أنا نذير

(١) سورة الشورى الآية : ٤١ ، ٤٢

(٢) ديوان النبي - شرح ناصف البازجي ص ١٤٧

(٣) المدى : إن المفتر قد أدركك غزوته وجري بك حتى لا يتوقف ولا يعدل إلى  
 التقصير ، والحمد برئ من أن تستزيده لأنك لم يترك من نفسه بقية إلا بذلك إيماناً ،

(٤) المدى : إذا سألك السائل فلا لأنك تحرجه إلى السؤال ولكن لكي تعلم  
 تفاصيل حاجته أو لكي يتعرف بسؤالك ، وإذا استتر بالحجاب فإن كرمك لا يخفى  
 على السائلين فملأة مواهبك عليه فليس دونك .

(٥) الشاً كربن لك يمرون لأنك مستطضم على الشكر أيضاً .

(٦) الخصيب : الأرض الخصبة ، والد أيام : البحر .

(٧) الرضاء : عرق الحمى ، والمدى : إن السحاب لما رأت جردة أصابتها الحمى  
 حسدأتك لما يتصب منها هو عرق هذه الحمى .

(٨) سورة لآلئ الآية : ٢٦

مبين ) هي لذا كيد الحق ، ذلك أن الحق القهوم من قوله عن دجل ( قل إنما أعلم عند الله ) بذكره الإثبات المذكور ، يعني أن العلم عند الله لا ينافي ، فلما أنا ذاير مبيّن .

اللُّكْنَ يَقِنُ أَنَّ ذَكْرَ الْمَرْحُومِ الدَّكْتُورِ إِبْرَاهِيمَ أَيْمَسِ : إِنَّ الْإِمامَ الرَّازِيَ قدْ مَعْدَنَ حَصْلَانِيَ كَذَا يَهُ ( نَهَايَةُ الْإِبْجَازِ فِي دراسَةِ الْإِبْجَازِ ) فَرَقَ تَهُ بَيْنَ أَسَالِيبِ الْقُصُرِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي الْمُفْعَلِ ، وَهُوَ : أَسْلُوبُ الْقُصُرِ بِإِنَّمَا ، وَأَسْلُوبُ الْقُصُرِ بِالْمُطْفَلِ بِلَا ، وَأَسْلُوبُ الْقُصُرِ بِالْمُفْعَلِ وَالْمُسْتَنْدَةِ ، وَأَنْصَحُ حَمَّا فَاللهُ سَيِّدُهُنَّهُ بِأَسْلُوبِ أَقْرَبِ إِلَى الدِّقَّةِ .

يقول الإمام الرازى<sup>(١)</sup> : « الفصل الخامس في فائدة ( إنما ) وذكر المبارات التي تقرب فائدتها منها » ، ووجه الفرق بينهما : فائدة هذا المحرف — أي إنما — : تخصيص الحكم بالذكور .

ويستعمل في هذا التخصيص عبارات ثلاثة :

الأولى : جاءني زيد لا هرو .

الثانية : إنما جاءني زيد .

الثالثة : ما جاءني إلا زيد .

و معناها متقاربة .

(١) نهَايَةُ الْإِبْجَازِ ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) بِلَادَةُ الْقُصُرِ .

« والفرق بين المبارتين الأوليين : ألم قولك : [إما جاءني زيد ، بقال عمه  
إيهاب الفعل وبنهه عن غيره دفعة واحدة .

« وليس الأمر كذلك في جاءني زيد لا عمرو ، إنما قوله : إذا لم يكن  
شيء في أنه جاء ، جاء ، وأنه ليس هناك جائين ، وإنما الشبيه في أن ذلك يأتي  
الواحد زيد أو عمرو ، فنقول : جاءني زيد لا عمرو ، أي ذلك الواحد الذي  
عرفت أنه جاءني فهو زيد لا عمرو ، فإذا كان الأولى ليست على نفي الشريك ،  
بل على إثبات التفصيص ، وأما نفي الشريك فيعلم منه على طريق الازم .

« وهذا بعده هو المفهوم من قولك : [إما جاءني زيد ، لأنه إذا عرف أنه  
جاءك إنسان واحد فقط ، ثم ظن أن ذلك يأتي عمرو ، فنقول : [إما جاءني  
زيد ، ويكون غرضك تفصيص ذلك الجين بزيد ، وليس الغرض مطلق  
نفي الشريك .

« وأما إذا قلت : ما جاءني إلا زيد ، فاعلم أنها بأصل الوضع تقييد نفي  
الشريك ، ولكنها قد تناول مقام « إما » في إعادة التفصيص مثل قولك للرجل  
الذي يرجح أنك قلت قوله ثم قلت بخلافه : ما قلت الآن إلا ما قلته قبل . وعليه  
قوله تعالى (١) : (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) ليس المعنى أن لم أزد على  
ما أمرتني به شيئاً ، ولكن المعنى : لم أمنع ما أمرتني به أن أقوله لهم .

« والذى يدل على أنها موضوعة في الأصل لنفي الشريك أنه لا يصح أن  
يقال : ما زيد إلا قائم لا قاعد ، ويصبح أن يقال : إنما زيد قائم لا قاعد .

« وليس السبب فيه إلا أن قولك : ما زيد إلا قائم ، يقيد أنك ثقفت عنه

(١) سورة المائدۃ الآية : ١١٧

كل صفة تناقض القيام في درج فيه التي القعود ، فإذا قلت بهذه : لا فاعد ، كان تكراراً ، وهو غير جائز ، لأن « لا » العاطفة موضوعة لأن ينفي بها ما أوجب للأول ، لأن يعاد نفيها في الأول .

« وأما صيغة « إنما » فهي باصل وضمنها تدل على اختصاص الحكم بالذى كور وأما نفي الشركه وليس ذلك نفس مفهومها . بل لازماً من لوازمه . وليس حال ما يدل عليه النفي بوضعه كحال ما يدل عليه بطريق الازووم ، فإن قوله : زيد هو الجائى ، يقىدنا أن « هذا الجين » لم يكن من غيره ، ثم لا يعن ذلك من أن تجئه فيه بلا العاطفة حتى تقول زيد هو الجائى لا عرو .

« فثبتت أن قوله : وإنما جاءى إلا زيد : دلائله على نفي التشيريك أقوى من دلائله على إثبات التخصيص .

« وأن قوله : إنما جاءى زيد : دلائله على إثبات الاختصاص أقوى من دلائله على نفي التشيريك » .

### ٣ - مع الدكتور عبد القادر حسين :

درس الدكتور عبد القادر حسين أثر الإمام عبد القاهر في البحث البلاغى دراسة شاملة ضمن ما درس من الملة فى مجتمع المجتمع (أثر القمة فى البحث البلاغى ) ، ولكن نذكر عنه بعض المفهومات التي تتجلى بعدها - وإن كل جرود كثيرة - كايقول للشىء العربي .

وها نحن نحملها فيها على : — ظان - يعاده أن الإمام عبد القاهر نقل حدديث كل من أبي علي الفارسى

وأبي إسحاق الزجاج لبيانهما في الرأى فقال :<sup>(١)</sup> « وَهُدِّيَتْهُ - أَيُّ الْإِمَامُ  
مُهَدِّدُ الظَّاهِرِ - مِنَ الظَّاهِرِ بِسَبِيلِهِ بِقُولِ النَّهَا - وَمِنْهُمْ أَبُو عَلِيِّ الْفَارُسِ ،  
وَأَبُو إِسْحَاقِ الْزَّجَاجِ فِي جَمْلِ (إِنَّمَا) بِعِنْدَهُ (مَا وَإِلَّا) فِيهِاَنْتُمْ فِي ذَلِكَ »

ولكن المفوتة أن الإمام مهد الظاهر نقل حديث أبي علی ، وفي حسنة حديث  
أبي إسحاق الزجاج ، كأنه أرضعها من قبل ، ليدين موافقته على كلامهما  
وكلام النساء الذين لم يقفوا في التفسير ، ولهم خذلان ذلك ذريعة  
لإيضاح الفرق بين (إنما) و (ما و إلا) .

يقول الإمام مهد الظاهر بعد نقل كلام حديق الإمام أبي علی الفارسي ،  
وأبي إسحاق الزجاج<sup>(٢)</sup> : « أَعْلَمُ أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَنْدَلُّوا هَذَا الَّذِي كَوَبَّدُوهُ لَكُمْ  
فَلَيَنْهَا بِهِنْدَكَ أَنَّ الْمَدِّي فِي هَذَا هُوَ الْمَدِّي بِعِنْدِهِ ، وَأَنْ سَبِيلَهُمْ سَبِيلُ الْأَفْقَادِينَ  
بِوَضْعَانِ لَمْقَى وَاحِدَ .

« وَفَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي الشَّيْءِ مِنْهُ الشَّوْءِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِلشَّيْءِ  
عَلَى الْأَطْلَاقِ .

« بَيْنَ لَكَ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُنَّ سَوَاءً : أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ بِصَلْحٍ فِيهِ (مَا وَإِلَّا)  
بِصَلْحٍ فِيهِ (إِنَّمَا) ، أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَا تَصْلِحُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَسَاءلُ :<sup>(٣)</sup> (وَمَا مِنْ إِلَهٍ  
إِلَّا اللَّهُ) وَلَا فِي نَحْوِ قَوْلِنَا : مَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ ذَلِكَ ، إِذْ لَوْ قَلْتَ : إِنَّمَا مِنْ  
إِلَهٍ أَنَّمَا أَحَدٌ وَهُوَ يَقُولُ ذَلِكَ : قَلْتَ مَا لَا يَكُونُ لِهِ مِنْيِ .

(١) أثر النهاة في البحث البلاغي ٣٨٤ ، ٣٨٥

(٢) دلائل الإعجاز ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٣) سورة آل عمران : ٦٤

« فإن قلت: إن سبب ذلك أن (أحداً) لا يقع إلا في النفي وما يعبر بغيره  
النفي من النهي والاستثناء ، وأن « من » المزددة في (ما من الله إلا الله) ،  
كذلك لا تكون إلا في النفي « قوله: نفي هذا كفاية . فإنه اعتراف بأن ليس  
سواء، لأنهم ما لو كانوا سواء لسكنى بذلك أن يكون في (إنما) من النفي مثل  
ما يكون في (ما ولا) . »

« وكما وجدت (إنما) لاتصالح فيها ذكرنا أبعد (ما ولا) لاتصالح في ضرب  
من الكلام قد صلحت فيه (إنما) ، وذلك في مثل قوله: إنما هو درهم لا دينار ،  
لو قلت: ما هو إلا درهم لا دينار، لم يكن شيئاً . »

« وإذا قد كان بهذه الجملة أحدهم حين جملوا (إنما) في معنى (ما ولا) لم يعنوا  
أن المفهوم واحد على الإطلاق . وأن يسقطوا الفرق ، فإن أبين ذلك أمرها  
وما هو أصل في كل واحد منها يعون الله وتوفيقه . »

٤ - علن سيادته أن الدكتور إبراهيم أبليس قد فرّوقَ جديداً بين (إنما)  
و (ما ولا) فقال بعد بيان جهد عبد القاهر في التفريق بينهما<sup>(١)</sup> : « ورغم هذا  
الاستئناف بالحقيقة لبيان الفروق بين التصرير وإغفاله، فالقصر بما ولا، فإن عبد القاهر  
باتساعها لم يطلق الباب في وجه الدارسين ، بل هدام إلى إضافة بعض الفروق:  
ف تمام — يقصد الدكتور إبراهيم أبليس — يضيفون إلى فروعه فرعاً آخر ،  
فالقصر تأكيد للكلام ، غير أن التأكيد مع (إنما) تأكيد للإثبات ، ومع  
النفي والاستثناء تأكيد النفي ، وشهان ما بين التأكيدتين ، ومن الواجب التصل  
بين هذين التوسيعين من التأكيد » .

(١) أثر الاستئناف في البحث البلاغي ٣٨٥

وقد ناقشنا مقوله الدكعور إبراهيم أليس من قبل ، وبينا مصدرها ، ومانها من جديد عارلا يحملنا — الآن — في حاجة إلى تكرار ذلك .

— على سيادته — متابعاً الدكعور إبراهيم أليس — أن البلاغيين يسوقون بين (إنما) و (ما و إلا) في إفاده منف التفسير ، فقال — نافلاً منه<sup>(١)</sup> : « وعندئذ ندرك أن القصر بالمعنى مع الاستثناء ، لا بمعنى القصور وإنما ، وأن ما قاله البلاغيون من تساوى الآباء بين فيه كثيرون من التحيز ، وذلك لأن بالأسلوب الأول (المعنى والاستثناء) أسهل في تبيين أن الأسلوب الآخر (القصر وإنما) أسلوب تقرير وإثبات » .

ولست في حاجة إلى أن نشرح هذه المقوله — بعد ما تصدّينا لها من قبل — وأيتها من مجاذتها الحقيقة ما عليه رأى البلاغيون .

والآن :

### هل إنما (التفع) تفيد المصر مثل (إنما) بالكسر ؟

أجباب الزخري على هذا التوالي بالإيجاب ، وذلك صدّه حدّيده عن الآية الكريمة (قل إنما يوحى إلى أنا الحكم إله واحد)<sup>(٢)</sup> حيث قال<sup>(٣)</sup> : « إنما تصرّ الحكم على الشيء أو تصرّ الشيء على حكم ، كقولك : إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد » وقد اجتمع المتألقان في هذه الآية لأن (إنما يوحى إلى) مع

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي ٣٨٦ ، وانتظر أسرار اللغة ١٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٨ .

(٣) السكاف ج ٢ ص ٥٨٦ .

فأعلمه بمنزلة إنساً بقُوم زيد؛ وـ (أنا الممسك به واحد) بمنزلة إنساً زيد فائضاً، وفائدة اجتماعهما : الدلالة هل أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصود على استئثار الله بالوحدانية .

واعتبره أبو حيyan - كلاماته - فقال<sup>(١)</sup> : « وأما جمله (إنا) المقروحة المهزة مثل مكسورتها يدل على القصر فلا نعلم الخلاف إلا في (إنا) بالكسر، وأما بالفتح فحرف مصدرى ينسبك منه مع ما يمددها مصدر، فالجملة يمددها ليست جملة مستقلة ، ولو كانت (إنا) دالة على المحصر لزم أن يقال : إنا لم يوح اليه شيء إلا التوحيد ، وذلك لا يصح المحصر فيه إذ قد أوحى اليه أشياء غير التوحيد » .

ولتكن كثيراً من الملايين أبدوا الرغب في وردوا على اعتراض أبي حيyan ، منهم الصبيان في حاشيته على شرح الأشموني حيث قال<sup>(٢)</sup> : « وأعلم أن (إنا) بالكسر و (إنا) بالفتح يفيدان المحصر ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : (قل إنا يوح إلى أنا الممسك به واحد) أي ما يوح إلى الاقصر الإله على الواحدة .

فالحصر الأول : من قصر الصفة على الموصوف قصر قلب ، تزول المخاطبون المشركون منزلة من اعتقاد إيماء ، الاشتراك إلى نبيها صلى الله عليه وسلم حيث أصرروا عليه .

والثانى : من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب أيضاً ، والإيمان به منهالة في الرد ، والا فجرد ثبوت الوحدة ناف للتمدد .

(١) البحر المحيط ج ٦ ص ٣٤٤

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ١ ص ٢٨٣

وَالامْرَاضُ عَلَى إِفَادَةٍ (إِنَّا) الْحَسْرَ يَفْوَانُه مِنَ الْأَوَيْلِ بِالصَّدْرِ مَدْفُوعٌ  
بِأَنَّ الْحَسْرَ مِنَ الْفَحْظِ الْمُصْرَحُ بِهِ وَلَا يُبَشِّرُ لِوَاتِهِ بِالْأَوَيْلِ كَفَوَاتِ الْفَاءِ كَيْدَ  
لَأَنَّهُ أَسْرَ تَقْدِيرِيٍّ ۝

وَمِنْهُ إِنْ هَشَامٌ فِي كَعَابَةِ مَقْنِيِ الْأَيْمَبِ حِيثُ قَالَ (١) : « أَنَّ النَّتِيْجَةَ الشَّدِيدَةَ  
الْمُونَ » عَلَى وَجْهِينَ : —

أَحَدُهَا : أَنْ تَكُونَ حِرْفُ تُوكِيدٍ ، تَنْصَبُ الْأَسْمَاءُ وَتَرْفُمُ الْخَيْرَ ، وَالْأَصْحَاحُ  
أَنَّهَا تَرْفُعُ عَنِ إِنَّ السَّكُونَةَ ، وَمِنْ هَذَا مَعْنَى الْمُزَخْشِرِيِّ أَنْ يَدْعُ أَنَّ (أَنَّا-أَنَّا)  
يَقْبَحُ تَفْهِي الْحَسْرَ كَيْنَاءَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ إِنَّا يُوحِي إِلَيْنَا  
إِلْهَكَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ، فَالْأُولَى تَقْسِيرُ الصَّفَةِ عَلَى الْمُوصَوفِ ، وَالثَّانِيَةُ بِالْمُكَسِّنِ .

وَقُولُ إِنْ حَمَانٌ : هَذَا شَيْءٌ اتَّفَرَدَ بِهِ وَلَا يُرَفِّعُ الْفَرْزِلَ بِذَلِكَ إِلَّا فِي إِنَّا  
بِالْكَسْرِ ، مَرْدُودٌ بِمَا ذَكَرْتُ .

وَقَوْلُهُ : إِنْ دَعَوْيِي الْحَسْرُ هُنَا بِالْأَطْلَةِ لَا تَفْصَلُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُوحِي إِلَيْهِ خَيْرُ التَّوْحِيدِ ،  
مَرْدُودٌ أَيْضًا بِأَنَّهُ قَصْرٌ مَقْتَدِيٌّ (٢) ، إِذَا اخْتَطَابَ مَعَ النَّشْرِ كَيْنَ ، فَالْمُنْتَهَىُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ  
فِي أَسْرِ الرِّبْوَيْةِ إِلَّا التَّوْحِيدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا كُوْنُ ، وَيَسِّنُ ذَلِكَ قَصْرٌ قَلْبٌ ، لِقَلْبٍ امْتَهَنَادٌ  
الْمُخَاطِبُ ، وَالْأَغَاذِيَ يَقُولُ هُوَ فِي نَحْوِ (وَمَا عَمِدَ إِلَّا رَسُولٌ) ؟ فَإِنْ مَا فَلَقَ  
وَالْأَلْهَسْرُ قَطْمَانٌ ، وَلِبْسَتْ صَفَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَمْحُصَرَةً فِي الرِّسَالَةِ ،  
وَلِكُنْ لَا اسْتَهْنَمُوا حَوْتَهُ بِبُيُولُوكَيْنَمْ أَبْتَعَا لِهِ الْبَقَاءُ الْفَدَائِمُ ، بِقَاءُ الْحَسْرِ  
بِامْتِهَارِ ذَلِكَ ، وَيَسِّنُ قَصْرُ افْرَادٍ ۝ .

(١) مِنْهُ الْقَلْبُ ۚ ۱ ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) أَيْ قَصْرٌ إِنْفَاقٌ .

وَرَدَ صاحبِ كِتَابِ الْجَنِيِّ الدَّائِيِّ كَلَامَ ابْنِ هَشَامٍ تَقَالُ<sup>(١)</sup> : « وَالْحَمْرُ هُنَا  
بِأَعْتَارِ الْقَامِ وَهُوَ خَطَابُ الْمُشْرِكِينَ وَالْوَحْيُ لِأَيِّهِ فِي حَقِّهِمْ أَدْلًا هُوَ  
الْتَّوْحِيدُ » .

أَمَّا السُّبْكِيُّ فَقَدْ حَرَصَ وَهُوَ يَرْدُ عَلَى أَبِي حِيَانَ أَنْ يَبْيَثْ مِيشَانَ فِيهِ الْخَاطِلِ ،  
جِئِتْ قَالَ مَعْقِبًا عَلَى النَّصِّ الَّذِي تَقَدَّمَ مِنَ الرَّغْبَشِرِيِّ<sup>(٢)</sup> : « هَذَا كَرِيمٌ فِي أَنْ  
(أَنَّهُ) بِالْفَتْحِ لِلْحَمْرِ ، وَبِهِ صَرَحَ الْقَنْوَخُ فِي كِتَابِ الْأَقْصَى الْقَرِيبِ ، وَتَقَدَّمَ  
الظَّهِيرَ أَيْضًا ، وَأَنَّهُ يَقَالُ : إِنَّ كُلَّ مَا أَوْجَبَ أَنِّي (بِالسَّكْتَرِ) لِلْحَمْرِ أَوْجَبَ  
أَنِّي (أَنَّهُ) بِالْفَتْحِ لِلْحَمْرِ .

« وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَالشِّيْخُ أَبُو حِيَانَ رَدَ عَلَى الرَّغْبَشِرِيِّ مَازِدًا ، مِنْ أَنْ أَنَّ الْفَوْحَةَ  
لِلْحَمْرِ ، وَقَالَ : يَلْزَمُ الْمُحْسَنُ الْوَحْيَ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ .

« وَأَجِيبُ عَنْهُ يَأْنِهِ حَسْرٌ بِمَازِيِّ بِاعْتَهَارِ الْقَامِ .

« قَلْتَ : وَجْوَابٌ آخَرٌ : وَهُوَ أَنْ هَذَا لَازِمٌ سَوَاءَ كَانَتْ (أَنَّهُ) الْفَوْحَةُ  
لِلْحَمْرِ أَمْ لَا ، لَأَنَّ هَذَا الْإِلَازَمَ جَاءَ مِنْ [أَنَّهُ] ، وَقَلْتَ : إِنَّمَا يَوْحِي إِلَيْهِ وَحْدَانِيَّةُ  
اللهِ تَعَالَى لِرِزْمِ ذَلِكَ .

« وَإِنَّمَا الَّذِي أَوْقَعَ الشِّيْخَ فِي هَذَا السُّؤَالِ قَوْلُ الرَّغْبَشِرِيِّ : وَفَالْمَدَةُ أَجْتَاهِمْهَا  
الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ مَقْصُودٌ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ، فَأَنَّهُمْ أَنْ هَذَا الْفَصْرُ شَأْ مِنْ  
كُونِهِمَا مَعًا لِلْحَمْرِ ، وَلَيْسَ - كَمَا قَالَ ، ظَلِيقَامُلَّ » .

(١) الْجَنِيُّ الدَّائِيُّ مِنْ ٣٩٦

(٢) عِرْوَسُ الْأَفْرَاجِ - مِنْ هَرْوَحِ الْمَلْقَبِيِّ - جِ ٢ صِ ٤٢٠٣ - ٤٢٠٤

وبعد :

فهل تقييد (إنما) بالفتح هذا المحصر باطراد؟

أجاب عني ذلك بعض الباحثين المحدثين عملياً من خلال حصر أسلوبها في القرآن الكريم فقال<sup>(١)</sup>: «من تأمل النصوص القرآنية التي جاءت فيها (إنما) الفتوحة المعنوية تبيّن له أنها لا تقييد الفصر في كل موضع، بل تارة تقييد الفصر، وتارة أخرى لا تقييده».

واستخدام (إنما) وسيلة لقصر فقرات القرآن قابلة وسياق الكلام الذي وقعت فيه (إنما) هو الذي يحدد ويبيّن ما إذا كان يراد منها الفصر في هذه الآية أم لا؟

مقامات استخدام أسلوب (إنما) عند عبد القاهر :

يقول الإمام عبد القاهر في الحديث عن مقامات استخدام (إنما) :

«أعلم أن موضع (إنما) على أن تجيء بغير لايجهه المخاطب ولا يدفع سببه، أو تناهى بنزل منه المزالة».

تفسير ذلك :

١ - «أنك تقول للرجل : إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القدح»،

(١) «إنما» واستعمالاتها في القرآن الكريم ص ١٧١

(٢) دلائل الإعجاز ٢٥٤ ، ٢٥٥

لأنه لا يجهل ذلك ، ويدهم صحته ، ولما كان ابن يعلمه ويقر به ، إلا أنك ت يريد  
أن تفهمه للذى يجب عليه من حق الأخ وحمة الصاحب .

ومثله قول الآخر :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالَّذِي وَالْأَبُو الْفَالَّ مَلِئَ أَحْقَى مِنْ وَاصِلَ الْأَوْلَادَ  
« لم يرد أن يعلم كافوراً أباه والد» ولا ذلك مما يحتج كافور نيه إلى الأعلام ،  
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ، ليتفق عليه استدعاء ما يوجهه ، كونه  
يعززه الوالد ، ومثل ذلك قوله : إنما يجعل من يخشى الفتول ، وذلك أن من  
العلوم الثابت في النحو : أن من لم يخشع الفتول لم يجعل :

« ومثله من التنزيل قوله تعالى (إنما يستوجب الذنب بسمون)<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى  
(إنما تغدر من أتبع الذكر وخشى الرحمن بالذنب)<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى (إنما أنت  
منذر من يخشاها)<sup>(٣)</sup> ، كل ذلك تذكرة بأمر ثابت معلوم ، وذلك أن كل حاقد  
يعلم أنه لا ينكرون استجابة إلا من يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه ، وأن  
من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب .

وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ، ويكون له تأثير إذا كان مع  
من يؤمن بالله وبكتابه ، ويصدق باليمث والساعنة ، فأما الكافر الجاهل فالإنذار  
وترى الإنذار منه واحد .

فهذا مثال ما أظير فيه خبر بأمر يعلمه الخطاطب ولا يذكره بحال .

(١) سورة الأنعام آية ٣٦

(٢) سورة يس الآية ١١

(٣) سورة النازعات الآية ٤

٤ - وأما مثال ما ينزل هذه المزارة فنكتوه :

[أنا مصعب شهاب من أني تجلت عن وجهه الشفاف]

أدعن في كون المدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم لاجماع على عادة  
الشرفاء إذا مدحوا : أن يدموا في الأوصاف التي يذكرون بها المدحرين أنها  
تابعة لهم ، وأنهم قد شربوا بها ، وأنهم لم يصغوا إلا بالملووم الظاهر الذي  
لا يدفعه أحد .

كما قال :

وتنذلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد

وكما قال البهترى :

لاأدمع لأنى الملاه فضيلة حتى يلها إلية عيده

ومثله قوله : إنما هوأسد ، وإنما هو نار ، وإنما هو سيف صارم : إذا  
أخذناها (إنما) جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا يذكر ، ولا يدفع  
ولا ينفي .

« ومن الطيف في ذلك <sup>(١)</sup> قول قيس بن حبيب :

الا أنها الناهي فزيارة بيد ما أجدت لزوج ، إنما أنت حالم

ومن ذلك : قوله تعالى حكاية عن اليهود : ( وإذا قيل لهم لا تقدروا في

(١) دلائل الإعجاز ٢٧٤

الأرض، قالوا: إنما نحن مصلحون<sup>(١)</sup> دخلت (إنما) لغد على أنهم حين أدعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذقته أمرًا ظاهرًا معلوماً، وفلاك أكذب الأمر في تكذيبهم، والرد عليهم، فجمع بين (الآ) الذي هو للفتبية وبين (إن) الذي هو للتفاكيه، فقوله: (الآ إنهم مفسدون ولكن لا يشرون)<sup>(٢)</sup>.

٣ — كايقول الإمام عبد القاهر أيضًا<sup>(٣)</sup>: « ثم أعلم أنك إذا استقررت وجدتها أقوى ماتكون وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعبير بأمر هو مقضاه ، نحو : أنا نعلم أن ليس الفرض من قوله تعالى : (إنما يقدّر أقوى الآيات)<sup>(٤)</sup> أن يعلم السامعون ظاهر معناه ، ولكن أن يذم السκفار ، وأن يقال : إنهم من فرط المناد ومن غلبة الموى عليهم في حكم من ليس بيدي عقل ، وأسكن إن علمتم منهم في أن يتظروا وبيذكروا كذلك كنْتُمْ كمن طمع في ذلك من غير أولى الآيات .

« وكذلك قوله : (إنما أنت متذر من يخشىها)<sup>(٥)</sup> وقوله من أسمه (إنما تذذر الذين يخشون ربهم بالذنب)<sup>(٦)</sup> للدفع على أن من لم تسكن له هذه الخشية فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل ، فاللانذار منه كلام إنذار .

« ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أرُقْ محبتها إنما العبد مارزقا

(١) سورة البقرة الآية : ١١ (٢) سورة البقرة الآية : ١٢

(٣) دلائل الأعجاز ٢٧٤ - ٢٧٣

(٤) سورة الرعد الآية : ١٩ ، سورة الزمر الآية : ٩

(٥) سورة النازعات الآية : ٦ (٦) سورة فاطر الآية : ١٨

«الفرس» : أَنْ يَهْمِلُكَ مِنْ طَرِيقِ التَّعْرِيفِ أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَنْصُحُ نَفْسَهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ  
يَنْهَا لَهُ أَنْ يَقْطُعَ الْطَّاعِمَ مِنْ وَصْلَاهَا، وَيَوْسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا إِسْمَافٌ .

«وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : إِنَّا بِمَذْرِ الشَّاقِ مِنْ عَشَقٍ»

«يَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ يَنْهَا المَاعِشُ أَنْ يَلْوَمَ مَنْ يَلْوَمُهُ فِي عَشَقِهِ، وَأَنَّهُ يَنْهَا أَنْ  
لَا يَسْكُنَ ذَلِكَ مَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كُنْهَ الْبَوْيِ فِي الْمَشْقِ، وَلَوْ كَانَ أَبْقَى بِالْعِرْفِ  
مَاهُورٌ فِي هَذِهِ فَسْلُرَةٍ .

وقوله :

ما أَنْتَ بِالْبَبِ الضَّمِيرِ إِنَّمَا أَنْجِحُ الْأَمْوَارَ بِقَوْةِ الْأَسْبَابِ  
فَالْيَوْمَ حَاجَنَا إِلَيْكَ ، إِنَّمَا يَدْعُ الطَّيِّبَ لِسَاعَةِ الْأَوْسَابِ

«يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : إِنَّهُ يَنْهَا أَنْ أَنْجِحَ فِي أَمْرٍ حِينَ جَمِيلُكَ  
الْبَبِ فِيهِ .

«وَيَقُولُ فِي الثَّانِي : إِنَّا قَدْ وَضَمَّنَا الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ، وَطَلَبَنَا الْأَمْرَ مِنْ جَهَتِهِ  
حِينَ اسْقَمَنَا بِكَ فِيهَا هَرَضَ مِنَ الْحَاجَةِ، وَعَوْلَنَا عَلَى أَهْلِكَ، كَمَا أَنَّ مَنْ عَوَلَ  
عَلَى الطَّيِّبِ فِيهَا يَهْرَضُ لَهُ مِنَ الْأَسْقَمِ كَمَا قَدْ أَصَابَ بِالْمَغْوِلِ مَوْضِعَهُ، وَطَلَبَ  
الشَّيْءَ مِنْ مَعْدَنِهِ .

«ثُمَّ إِنَّ الْمَجْبُ فِي أَنَّ هَذَا التَّعْرِيفُ الَّذِي ذُكِرْتَ لَكَ لَا يَحْصُلُ مِنْ دُونِ (إِنَّا)  
فَلَوْ قُلْتَ : يَعْدِكُ أَوْلُو الْأَبَابِ ، لَمْ يَدْلِ مَلِ مَادِلَ عَلَيْهِ فِي الْأَبَابِ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ  
لَمْ يَتَنَاهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَيْسَ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ (إِنَّا) وَالْأَبَابُ فِي ذَلِكَ : أَنْ هَذَا

التريض إنما وقع لأن كان من شأن (إنا) أن تضمن الكلام مفهومي النقى من بعد الإثبات ، والتصريح بامتناع التذكير من لا يعقل ، وإذا أستقلت من الكلام فظيل : يذكر ألوى الألباب ، كان مجرد وصف لأولى الألباب بأنهم يذكرون ولم يكن فيه مفهومي نقى للتذكير من ليس منهم ، وحال أن يقع تبرير بشىء ليس له في الكلام ذكر ، ولا فيه دليل عليه .

« فالتمريض بمثل هذا - أعني بأن يقول : يذكر ألوى الألباب ، بإسقاط (إنا) يتم إذن - إن رقم - يمدح إنسان بالقيقة ، وأنه فعل مأمول ، وتبه لما قوله له أقوله ، ولحسن تميزه ، كما يقال : كذلك يفعل المأمول ، وعندنا يفعل الكرم ، وهذا موضع فيه دقة وغموض ، وهو ما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه يذهب أن يتعرف سببه ، وببحث عن حقيقة الأمر فيه » .

هذه ثلاثة مقامات عرضها الإمام عبد القاهر في استخدام (إنا) .

وأول ما يجب أن نتحدث عنه بعد قراءة المقام الأول هو معارضته هذا المقام المقام العام الذى أشار السكاكي إلى استخدام أساليب التصر فيه ، وقد وافقنا عليه من قبل - في ظروف مدينة - ، وأعتبر فاء قاعدة عامة تمنع دخول أساليب أخرى تقييد النقى والإثبات إلى دائرة أساليب التصر المست المشورة في كتاب البلاغة .

ويجدر هنا أن نذكره مرة أخرى ليبيان مازريده ، يقول السكاكي (١) : « وهذه الطرق تتفق من وجه ، وهو أن المخاطب منها يلزم أن يكون حاكماً مشوباً بصواب وخطأ ، وأنت تطلب منها تحقيق صوابه وتقي خطاها » .

ثم نقول :

وأصل الإمام عبد التاين نفسه أدرك ذلك فأمسح يقول<sup>(٢)</sup> : « إن قيل : مضيت في كلامك كله على أن (إنما) الخبر لا يفهم الخطاب ، ولا يكون ذكرك له لأن تفهده إياه ، وإنما لزاماً في كثيرون من السكلام والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمراً قد غلط فيه بالحقيقة ، واحتياج إلى معرفته كمثل قوله : إنما جاءني زيد لأهزو . »

« وبرأها كذلك تدور في السكتب ~~ف~~ كشفت من معان غير معلومة ودلالة القلم منها على مالا يعلم . »

« قول : إنما يجيء في الكلام من نحو : إنما جاء زيد لأعمرو ، فإنه وإن كان يكون إعلاماً لأمر لا يعلمه السامع فإنه لا بد مع ذلك من أن يدعي هناك فضل اكتشاف وظموه في أن الأمر كذلك ذكر . »

« وقد قسمت في أول ما اخترت النول فيها ، فقلت :

« إنما يجيء » للخبر لا يفهمه السامع ولا يذكر صحفه .

« أو لما تنزل هذه المرة . »

« وأنا ما ذكرت من أنها تجيء في السكتب دلالة القلم على مالا يعلمه ، فإنك : إذا تأملت مواصفها وجدتها في الأمر الأكثري قد جاءت لأمر قد وقع العلم عوجه وشيء يدل عليه ، مثال ذلك : أن صاحب السكتب قال (في باب كان) : إنما قلت : كان زيد : فقد أبدأت بما هو معروف عنده ، مثله عندك ، وإنما ينذر

(٢) دلالة الاعجاز ، ٣٦٩ ، ٤٧٠

الخبر ، فإذا قلت : حليبا ، فقد أعلمه مثل ما أعلمت ، وإذا قلت : كان حليبا : فإذا  
يتنظر أن تعرّفه صاحب الصفة .

«وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَرْدَدًا عَنْ غَيْرِ خَبْرٍ وَلَا خَيْرٌ مِنْ  
غَيْرِ مَرْدَدٍ » ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّكَ إِذَا قَلْتَ : كَانَ زَبَد ، فَالْحُجَّةُ طَبٌ يَتَنَظَّرُ الْخَبْرُ ،  
وَإِذَا قَلْتَ : كَانَ حَلِيْبًا : أَنَّهُ يَتَنَظَّرُ الْأَسْمَاءُ ، فَلَمْ يَقُمْ أَدْنَى بَعْدِ {إِنَّا} {إِلَّا} ، كَانَ  
مَعْلُومًا لِلْسَّامِعِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَوَّلْ إِلَيْهِ » .

«... فَإِنْ رَأَيْتَهَا قَدْ دَخَلَتْ عَلَى كَلَامِهِ إِلَعْلَامَ بَشِّيْهِ لَمْ يَعْلَمْ  
السَّامِعُ ، فَلَأْنَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ سَاعِدٌ مَعَهُ ، رَبِّ الشَّيْءَوْنَ بَحِيثُتِ يَاتِمِ الْعِلْمِ بِهِ عَنْ كُشْبَ » .  
وَأَظْلَكَكَ مَعِيْ - الْأَنَّ - فَإِنْ هَذَا إِرْدَرْدَهُ مَزِيلٌ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ حَمَاجَ إِلَى  
إِلَى مِنْ يَتَنَزَّهُ مِنَ الْأَخْرَاجِ الْيَالِيَّنِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ .

من أجل هذا أستاذنه في أن أتقدم باقتراح إلينه أتمل أن يقبله « هو : أَنْ  
تَقُولُ : إِنْ يَأْتِي لِبِيَانِ الْحَالِ ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً إِلَعْلَامَ السَّامِعَ بَشِّيْهِ لَمْ  
يَعْلَمْهُ ، أَمْ إِبْلَاغَهُ بَشِّيْهِ بِعِلْمِهِ .

وَقَدْ أَرَى فِي قَوْلِ اللَّهِ سَيِّدِنَا : (بِأَيْهَا الَّذِينَ آتَيْنَا الْحُجْرَ وَالْيَمْرَ وَالْأَنْصَابَ  
وَالْأَذْلَامَ رِجْسَ مِنْ عَلَى الشَّيْطَانِ فَاجْتَنَبُوهُ لَعْلَكُمْ تَفَلَّهُونَ<sup>(١)</sup> ، إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ  
أَنْ يَوْقِمْ بِيَنْبَكُمُ الْمَدَاوَةُ وَالْبَقْضَاءُ فِي الْحُجْرِ وَالْيَمْرِ وَيَصْدِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الْمَصَالَةِ  
فَهُمْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ<sup>(٢)</sup> ، وَأَطْبِعُوا اللهُ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَاحْتَرِوا فَإِنْ تَوْلِيْعُمْ

(١) سورة النادرة ، الآيات ٩٠ - ٩٢

(٢) الاستئهام هنا يعنى التَّنْبِيَّ ، وَيَنْبَأُ اجْتَهَلَهُ بِعِدَّهُ عَلَى الْأَسْمَاءِ يَقِيدُ تَأْكِيدَ النَّهْيِ ،  
وَذَلِكَ مَالُ الْأَرْجُنْسَرِيِّ عَنْ هَذَا الْأَسْتَهْمَامِ إِنَّهُ مِنْ أَلْيَخِ مَا يَنْهَا بِهِ . (راجع السَّكَشَاف  
ج ١ / ٦٤٢)

فأعلموا أنما على رسولنا البلاع للبين) مثلاً يجمع ما أقوله الآراء، وما يقوله الإمام عبد الله هر، وأسأوضح ذلك في السطور الآتية :

تهافت هذه الآيات بالمؤمنين أن يتهموا عن الشهوات والعادات التي كان الشيطان يلبسها عليهم لإثبات عصر الجاهلية، وتحذر من الخمر والبيرة والأنصاف والأذلال خاصة، وتبين لهم أنها جحيناً من عمل الشيطان .

يقول الإمام القرطبي عن الشيطان<sup>(١)</sup> : « هو الذي عمل مباديء هذه الأمور بنفسه حتى أخذني به فيها ». .

والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، فهى تختبر المقل أى تقطنه وتستره .

وقيل : إنها سميت خمراً لأنها تركت حتى أدركت ، كايفال : اختبر المجنى أى بلغ إدراكه .

وقيل : إنها سميت خمراً لأنها تحالفت المقل ، وهذه قوله : دخلت في خمار الناس ، أى اخطلت بهم .

والميسر : قار المرء بالأذلال ، أى بالقداح .

كأنوا يشترون الجزر ويضر بون بسهامهم ، فمن شرج سمه أحد نصبه من اللحم ، ولا يكون عليه من اللحم شيئاً ، ومن بيته سمه آخرًا كان عليه ثمن الجزر كله ، ولا يكون له من اللحم شيئاً<sup>(٢)</sup> .

يقول الإمام ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> : « كل شيء فيه ذار من زود وشطرين »

(١) تفسير القرطبي ج ٣ / ٢٢٨٥ (طبعة الشعب) .

(٢) المرجع السابق ج ١ / ٨٦٥

(٣) المرجع السابق ج ١ / ٨٦٠

فهو الميسر ، حق لسر الصبيان بالجلوز والكماب ، إلا ما أبىع من الرهائن في الخيل والقرعة في إفراز الحقائق .

أما الأنصاب فهم الأصنام ، وقد كانت محل دوى القراء عند المربي لليسر وغيره من أنواع التهو أو القربي .

روى أن قبيلتين من الأنصار شربوا الخمر وانشروا نبأ بضمهم بعض <sup>(١)</sup> ، فلما صحو رأى بعضهم في وجهه بعض آثار ماء الخمر ، وكانوا إنذرة ليس في قلوبهم شفاعة ، فجعل بعضهم يقول : لو كان أخي في رحمةً ماء الخمر في هذا خدثت بينهم الشفاعة فأنزل الله سبحانه ( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداورة والبغضاء ... الآية ) .

وقال أبو مبشر <sup>(٢)</sup> : نزلت بسبب حمر بن الخطاب رضي الله عنه فناده ذكر لأخيه صلى الله عليه وسلم عيوب الخمر ، وما ينزل بالناس من أجلها ودعا الله في عمرهما وقال : اللهم بين لنا في الخمر بيننا شفاعة فنزلت هذه الآيات ، فقال عمر : انتهيا أنتهيا .

ومن بعد ذلك إذا أجلينا النظر في الآية الأولى وجدنا إعلام الله لنا بمكانته في الخمر والميسر والأنصاب والأزارق بأنها رجس من عمل الشيطان وأن علينا أن نجتنبها ، وهذا شيء لم نعلمه من قبل .

أما الآية الثانية فهي تحدثنا عن الآثار الضارة الناجمة عن شرب الخمر وأسباب

(١) المراجع السابق ج ٣ / ٢٢٨٩

(٢) المراجع السابق ج ٣ / ٢٢٨٣

لليسر . . . إلخ ، وهذه أمور قد اضجعت ، وأصبح المجتمع الإنجليزي يورقها ،  
بل ونوه الله بها في حادثة وقت قيل ذلك .

يروى الترمذى عن علی بن أبي طالب - رضي الله عنهما قال<sup>(١)</sup> : صنع  
لها عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وستانا من الغر ، فأتيت الغر منها ،  
وحضرت الصلاة قدموني ، فقرأت : قل يا أيها السكافرون لا أحد مانعكمون ،  
وتحن نجد مانعكمون . قال : فأنزل الله تعالى<sup>(٢)</sup> : ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا  
الصلوة وأتم سکارى حتى تملوا ما تقولون ) . — قال أبو عيسى : هذه حديث  
حسن صحيح .

أما الآية الثالثة فإن الكلام فيها وإن كان أبداً إعلاماً لامعاً لم  
يعلمه ، فإنه - كما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني - « الدليل عليه حاضر ،  
والشيء بحثت يقع العلم به من كثيب » .

والقصر بعد ذلك في الآية الأولى : قصر موصوف على صفة ، أى قصر الغر  
والميسر والأنصاب والأزلام - وهي ذات يصح أن تُنسب إليها الصفة -  
أعني لفظ درجس - الذي يصح أن يكون معنى قاءً بهذه الظروف المقدمة .  
وفي الآية الثانية قصر صفة على موصوف ، أى قصر ، لكن إرادة الشيطان  
إيقاع المداورة والبغضاء بين المؤمنين - وهذه صفة أى معنى يصح أن يوصف به  
حال المؤمنين الملائين للغدر والميسر ، الذي يصلح أيضاً أن يكون موصوفاً .  
أما الآية الثالثة فهي من باب قصر الموصوف - وهو للرسول - على الصفة  
وهي الإبلاغ ، والأمر فيها لا يحتاج إلى إيضاح .

(١) تفسير الترمذى ج ٢ / ١٧٧٠

(٢) سورة النساء ٣٤

وقد انتوسع في دائرة بيان الخطاقي هذه وتدخل فيها تبرير الخطاقي بما يشعر بإفادة المدح مثل قول الشهيدة عائشة رضوان الله عليها<sup>(١)</sup>: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجم التفاق<sup>(٢)</sup>، وارتدى العرب، وكان للشوفون كالقنم الشاردة، في الظهرة الظاهرة، فقبل أبي ما لو خملة الجبال لها منها...»، وكانت إذا نظرت إلى عمر عادت أنه إنما خلق للإسلام، فشككوا في ذلك وأخذوا نسخة وحده، قد أعد للأمور آخرها».

وقد ندخل في هذا المجال قول كثيرون من عبد الرحمن — وإن كان عمل نقد :

الإِنْجَاءُ لِلَّيلِ عَصَا خَيْرَ زَادَةِ إِذَا غَزَّوْهَا بِالْأَكْفَافِ ثَلَاثَينِ

و عمل النقد — كما قال بشار لما سمع هذا البيت : قاتل الله أبا صخر أبا يزعم أنها عصاً ويعتذر بأنها خيراتة ، ولو قال : غصامخ ، أو عصا زبد ، لكان قد هبّتها مع ذكر المصاص ، هلا قال كما قلت :

وَدَعْبِيَا، الْمَاجِرُ مِنْ فَعَدَةِ كَانَ حَدِيثَنَا تَغْرِيْجَةَ الْجَسَانِ  
إِذَا قَاتَتْ لَحَاجَتَنَا ثَنَثَنَ كَانَ حَظَّاهَا مِنْ خَيْرَ زَادَ

ومن هذا القبيل أيضاً قول إسحاق بن إسحاق بن إبراهيم الوصل : وصف رجل رجلاً فقال : كان والله سحراً سهلاً ، كأنما بيده وبين القلوب نسب ، أو بيده وبين الحياة سبب ، إنما هو عيادة مربوض ، وتحفة قادم ، وواسطة مقد .

(١) زهر الأدب ج ١ / ٣٧

(٢) نعم : ندا

وقد يدخل في هذه الدائرة أيضاً أسلوب القسر المقرر للحقائق بما يشعر بإغادة الإنكار مثل قول عرب الخطاب رضى الله عنه بعد موت رسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم : « ما مات ، وارجعنه الله فلهمطم أيدي الناقفين وأدجلهم ، بهمنون لرسول الله سبّ الله عليه وسلم الموت ، وإنما وادعه ربكم واعدو موسى ، وهو يأهلكم » .

ومن هذا القبيل أيضاً قول محمود الوراق ، وإن كان هذا الإنكار يشعر باللوم والتأنيب والمحاب :

أرأى إذا ما ازدلت مالاً وثروة  
وخيراً إلى خير تزيّنت في الشر  
فكيف يشكّر الله إن كبرت إيماناً  
أقوم مقام الشكر له بالكفر  
بأي اعتذار أو بآية حجّة  
يقول الذي يدرى من الأمر ما أدرى  
لماذا كان وجه العذير ليس بيده فإن اطراح العذر خير من العذير

وقد تستأنن الإمام عبد القاهر مرة أخرى وتشغل التعريض في دائرة شورى الحقائق أيضاً مرض القلم والمجلة ، أو النصح والإرشاد ، أو اللوم والمحاب ، أو اللدح ... ، وأهل ما بين الدائرة هذا الأمر شرحة السائق لهذا التعريض ، وتنويعها في الأمثلة إلى ما ذكرنا ، وترجم إلى نصه الذي تقدمناه<sup>(١)</sup> — إن شئت — لتفيد ذكره .

٢٧

على أن هكذا دائرة أخرى لا استعمال (إنما) هي دائرة رد الإنكار ، وقد أو ما إليها الرأى في المقارنة التي عقدتها بين (مالا) و (إنما) ، وأشرنا

(١) راجع ص ١٠٩ من هذا البحث .

إليها فجأة سبق ، وهي قوله<sup>(١)</sup> : « ثبت أن قولنا : ماجاء في إلا زيد : دلائله على نفي التشريك أقوى من دلائله على إثبات التخصيص ، وأن قوله : إنما جاء في زيد : دلائله على إثبات الاختصاص أقوى من دلائله على نفي التشريك ». .

ودائرة ردة الانسكار هذه تعم في الترتيب بعد الدائرة السابقة ، بل وتوشك أن تحدث تماشياً معها ، ذلك أن رد الانسكار قد يزول بأدلة نفيه مما يستدعي أن تعلو نبرة بيان الحال السابقة شيئاً طفيفاً لتصبح نوعاً من رد الانسكار — كما قال المتأخرون من علماء البلاغة — وتحتل هذه الدرجة بعثلاً قول الله عن دجل في سورة النحل<sup>(٢)</sup> (إن تولوا فإنما عليك البلاغ للذين ) وقول أبي بقير الخريجي « وقد كان أعود نعم<sup>(٣)</sup> » :

قالت : أهذا في عداة لقيتها يا الرجال الصورة المعسان  
فأجيبتها : نفسي فدأوك إنما أذى وعوق في الموى سيان

وقول ابن الرومي :

لمرك ما للدنيا بدار إقامة إذا زال عن عين بصير عطاها  
وكيف بقاء الناس فيها وإنما ينال بأسباب الفداء بقاها  
وقد تعلو درجة الانسكار فتعلو منها درجة الرد كاف مثل حديث الله —  
في سورة النحل أيضاً — من مذكرى البمث والرد عليهم ، حيث يقول الله عن

(١) نهاية الإيجاز ١٥٥

(٢) سورة النحل : ٨٢

(٣) رقيق إن هذه الآيات البخيل بن أحمد — انظر زهر الأداب ج ١ ١٦٤

وَجْلٌ<sup>(١)</sup> (وَأَتَسْمُوا بِاللهِ جَهَنَّمَ لَا يَعْرِفُهُمْ أَهُدُونَ مَنْ يَحْوِيْنَ ، بِلِ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا هُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيْ وَلِيْلَةِ الْقِرْبَاءِ كُفَّارُوا أَنَّمَا كَانُوا كَاذِبِينَ ، إِنَّمَا قُولُوا لَشَيْءٍ ، إِذَا أُبَدِّلَنَاهُ أَنْ تَوَلَّهُ كُنْ فَيَكُونُ ) .

وَكَافِ حَدِيثَهُ سَبْعَانَهُ عَنْ اِحْمَادِ كَرْبَلَى الْوَاحِدَيْنِ وَالْوَدَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا<sup>(٢)</sup> (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُلُوا إِلَيْنِنَانِي ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، غَلَبَى فَارِسَيْنَ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَأَ ، أَنْهِيَ اللَّهُ تَعَالَى فَوْنَ ) .

وَكَافِ حَدِيثَهُ سَبْعَانَهُ أَيْضًا عَنْ الْأَنْجَانِ السَّكَادِيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ عَدُوَّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ مِنْ مَلْكِ بَشَرِيْ ، وَالْوَدَ عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup> (وَلَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ بِكَوْنِيْنَ : إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ، إِنَّمَا الَّذِي يَلْعَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيْنَ ، وَهَذَا إِنَّمَا عَرَفَ مَبِينٌ ، إِنَّمَا الَّذِينَ لَا يَقْوِمُونَ بِإِيمَانِ اللَّهِ لَا يَرْدِيْهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يَعْذَابْ أَلَمْ ، إِنَّمَا يَغْرِي السَّكَادِيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَرْدِيْهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يَعْذَابْ أَلَامِ ) .

عَلَى أَنْ احْتِاجَ الْقَامُ لِغُوكَيدَ مَضْمُونُ جَلَّ القُصْرِ قَدْ يَسْتَدِعُ مِنَ التَّكْلِيمِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ بِإِغْرِيْقَانَ وَالْمُنْقَنِ وَالْأَسْتَنْتَانَ مَا ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْهَ سَبْعَانَهُ فِي سُورَةِ الْأَنْسَاءِ<sup>(٤)</sup> : (لَا أَهُلُّ لِكِتَابٍ لَا نَتَلَوْا فِي دِيْنِنَا ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا لَمْنَ ، إِنَّمَا لِشِيعَيْنِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّهُ أَقْتَلَاهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَهُ مَأْمَنَوا

(١) سُورَةُ النَّحْشُولِ : ٣٨ - ٤٠

(٢) سُورَةُ النَّحْشُولِ : ٥١ - ٥٢

(٣) سُورَةُ النَّحْشُولِ : ١٠٣ - ١٠٥

(٤) سُورَةُ الْأَنْسَاءِ : ٣٧٦

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَقُولُوا مُلْكَةً، إِنَّهُمْ لَسْكُنَاءُ أَيْمَانَ اللَّهِ وَاحِدٍ، سَبِيعَةٌ ٤٤  
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؛ وَكُفُّ بِاللَّهِ وَكُفُّوا.

وقـ سورة الأـ هـ رـافـ (١) : ( يـأـلـوـكـ عـنـ السـاعـةـ أـيـانـ مـرـسـاـهـ ؟ـ قـلـ إـنـاـ  
عـلـمـاـعـنـدـرـبـيـ ،ـ لـأـجـلـلـهـ لـوـقـتـهـ إـلـاـ هـوـ ،ـ نـفـلـتـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ،ـ لـأـنـأـنـكـ  
إـلـاـ بـنـتـهـ ،ـ يـأـلـوـكـ كـأـنـكـ حـقـ عـنـهـ ،ـ قـلـ إـنـاـعـلـمـاـعـنـدـهـ ،ـ وـلـكـ أـكـثـرـ  
الـنـاسـ لـأـعـلـمـوـنـ )ـ .ـ

## الفصل الثالث

### القصر بطريق المطعف

يضم هذا الطريق ثلاثة أحرف هي : لا ، بل ، لكن .

ولأنقول - كأقال المسوق<sup>(١)</sup> - إنه أقوى الطرق في إفاده معنى القصر ولكن نقول : إنه أوضح الطرق في هذه الإفادة ، ومرة ذلك إلى ما ذكره من أن هذا الطريق الأصل فيه التصریح بالطرفين : المتثبت والمنفي ، مختلف عدوه ، فإن القصر يصح فيه يكون بالمتثبت فقط ، أما المنفي فإنه يمكن مفهوماً خدمـاً .

وقد اعتقدت أن أكثر ما يكون مستعملًا في خطاب غير العرب ، ذلك أن العرب يملكون إشارات الكلام قبل عباراته ، بل إن العرب قد يمدون بعض الكلام ورعاً بعض الجل من أحاديثهم إذا دل الدليل عليهما ، وكثير النحو مليئة بالشوادر على ذلك .

ولعل هذا هو السر في أن هذا الأسلوب لم يستخدمه القرآن الكريم - إذا استثنينا «لكن»؛ لأنه حدث إلى العرب<sup>(٢)</sup> ، كما لم يستخدمه شعراء الفصاحة في الجاهلية والإسلام إلا في القليل النادر .

(١) حاشية المسوق - ضمن شروح التلخيس - ج ٢ / ١٨٦

(٢) أى في أول الأمر ، ولا ينسى هذا من طالية القرآن ، كأن من دخل في الإسلام من العجم وتعلم اللغة العربية صار عرباً - كما يقول علام الأجناس - ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب العرب للثلاث : أئمه عربي ، وللقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة ، في الجنة عربي .

ولقد تحدث الإمام عبد القاهر عن هذا الطريق من خلال حدبه عن (إنما) وقد انفرد (لا) أكبر وأشهر أخواتها بهذا الحديث.  
ونستطيع أن نوجز حديثه عنها في النقاط التالية : —

أولاً : كثافة القصر بها :

القصر يتم بها على مراحلتين : مرحلة الإثبات ثم مرحلة النفي .

وهي في هذا المجال تشبه (إنما) ، لكنها تختلف عنها في أن (إنما) تؤدي كلام المتنين — الإثبات والنفي — دفة واحدة ، كما أن جملة (إنما) يظهر فيها الإثبات أكثر من النفي ، بخلاف جملة (لا) التي يظهر فيها الإثبات والنفي على قدم المساواة .

يقول الإمام عبد القاهر في حديثه عن إفادته (إنما) معنى الإثبات والنفي<sup>(١)</sup> : « أعلم أنها ... أى إنما ... تقييد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره ، فإذا ثلت : إنما جاءني زيد : عقل ، إذ أنت بأمرت أن تدعى أن يكون الجاني غيره ، فمعنى الكلام معها : شبيه بالمعنى في قوله : جاءني زيد لا عمرو ، إلا أن لها مزية ، وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفة واحدة ، وفي حال واحدة ، وليس كذلك الأمر في : جاءني زيد لا عمرو ، فإنك تعقلها في حالتين . »

ومزية ثانية : وهي أنها تجعل الأمر ظاهراً في أن الجاني زيد ، ولا يكون هذا الظهور إذا جملت الكلام به (لا) ، فقلت : جاءني زيد لا عمرو .

(١) دلائل الإعجاز ٢٥٨

ثانية : موضوعها :

أنها موضوعة لأن تتفق عن الثنائي ما وجب للأول ، أو بعبارة أخرى : أنها تأتي لتأكيد تقي الشيء الذي سبق تقيه بطريق ضيق ، فإذا قلت : جاءني زيد لا عمرو ، فقد ثفت به (لا) عمري ، عمرو ، وهو متقوم من قوله (جاءني زيد) لكن العلاقة عليه ليست صريحة ، بل هي ضدية .

وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر (١) : « نعم أعلم أن قولنا في (لا) الماظنة إنها تتفق عن الثنائي ما وجب للأول ، ليس للراهن به أنها تتفق عن الثنائي أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل إنها تتفق أن يكون الفعل الذي قلت : إنه كان من الأول قد كان من الثنائي دون الأول .

الإرجى أن ليس المقصود قوله : جاءني زيد لا عمرو ، أنه لم يسكن من عمري شيء ، بل ذلك مثل ما كان من زيد ، حتى كأنه عكس قوله : جاءني زيد وعمرو ، بل المقصود أن الجانبي هو زيد لا عمرو » .

ثالثاً : أنواع القسر التي تستعمل فيها (بعضهن المتأخر) أو بعبارة أخرى :

ستamatna hadha al-maa'ad :

تستعمل في القسر الذي يحاجه الخطيب : قسر التهين ، وهو ما يسكون فيه المخاطب متذداً بين حصول أمرتين ، فهو بين النكلم أحدهما له ، كما تستعمل في قسر القلب الذي يعتقد فيه المخاطب عكس ما عند النكلم .

(١) دلائل الإيجاز ٢٥٨ / ٢٥٩

ونحن في سبيل بيان هذا الأمر من حديث الإمام عبد القاهر نستعرض نصه الذي نقلواه — في ثانها — ثم نصله بثام توجيهه للمثال : جاءني زيد لاعرو ، لي سيكون مرة من قيل قصر التعبين ، وأخرى من قبيل قصر القلب ، فنقول<sup>(١)</sup> : « ثم أعلم أن قولنا في ( لا ) الماظنة : إنها تتفى عن الثاني ما وجب للأول ، ليس المراد به أنها تتفى عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل أنها تتفى أن يكون الفعل الذي قلت : إنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول . »

الإثرى أن ليس المعنى في قوله : جاءني زيد لاعرو ، أنه لم يكن من عرو ومحبو إياك مثل ما كان من زيد ، حتى كأنه عكس قوله : جاءني زيد وعرو بل المعنى : أن الجانى هو زيد لا عرو ، فهو كلام تقوله من يقطف في الفعل : قد كان من هذا ، فيتعمم أنه كان من ذئب .

والبركحة : أنه لا شبهة في أن ليس هبنا جائوان ، وأنه ليس إلا جاء واحد .  
« وإنما الشبهة في أن ذلك الجانى زيد أم عرو ، فأنت تتحقق على المخاطب بقولك : جاءني زيد لاعرو ، أنه زيد وليس بعرو . »

ونسخة أخرى : وهي أنك لا تقول : جاءني زيد لاعرو ، حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان محب إياك من جاء ، إلا أنه ظن أنه كان من عرو ، فأعلمه أنه لم يكن من عرو ، ولكن من زيد » .

---

(١) الموضع السابق .

رأيما : موقع المصور عليه معها :

موقع المصور عليه معها هو المقابل لما يدها، يؤكد ذلك الإمام عبد القاهر من خلال حديثه عن موقع المصور عليه في طريق (إنما) والذى يغير تبئراً المدعى فيقول<sup>(١)</sup> : « إنك تقول : إنما هذا لك ، فيكون الاختصاص في (لك) بدلالة أنك تقول : إنما هذا لك لا انبرك ، وتقول : إنما لك هذا ، فيكون الاختصاص في (هذا) بدلالة أنك تقول : إنما لك هذا لا ذلك .

« والاختصاص يسكون أبداً في الذي إذا جئت بلا الماءفة كان المطف عليه » .

خامساً : جواز اجتماعها مع إنما :

من النص السابق نستطيع أن نقول : إن الإمام عبد القاهر يرى أن طريق التصر (المطف) أقوى من طريق القصر « وإنما » بدلالة إنماه لها . وامل ذلك راجع إلى ما فيه من زيادة الوضوح بالنص على الثبت والتفصي

لكتابنا يجب أن نعذرك على أنفسنا الجرأة في استنتاج إفادة الإمام عبد القاهر بدلالة إنما على القصر فنقول : إنه يرى أيضاً عدم حسن وجود<sup>(٢)</sup> القصر بطريق

(١) دلائل الإعجاز ٤٦٥

(٢) يرى السكاكى إمتياز وجود « لا » مع « إنما » مع « إنما » - وليس عدم الحسن فقط - إذا كان الوصف بجملة القصر عيناً بالوصف ، وهذه عبارته : « إذا جاست « لا » الماءفة (إنما) جاستها بشرط ، وهو أن لا يكون الوصف بعد (إنما) ما في نفسه

**المعنى** - أعني بطرق (لا) مع ([إعا]) إذا كان الوصف يحمله القصر مختصاً بالوصوف<sup>(2)</sup>، يقول الإمام عبد القاهر<sup>(3)</sup>: «وما يجب أن يعلم: أنه إذا كان فعل بعدها - أي بعد إعا - فعلاً لا يصح إلا من المذكور - أي منها - ولا يكون من غيره، كائناً ذكر الذي يعلم أنه لا يسكون إلا من أولى الألباب، لم يحسن المعنى به (لا) فيه، كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور، وبصريح من غيره».

«قد يرى هنا أن لا يحسن أن يقول : إنما يقصد كون الأئمّة لا إله إلا هؤلاء ، كما يحسن أن يقول : إنما يعيي «زيد لا عزيز» .

اختصاص بال موضوع للذكور كقوله عن إسمه ([إعا يستجيب الدين يسمون]) - سورة الأنعام : ٣ - فإن كل عاقل يعلم أنه لا يمكن استجابة إلا من يسمع ويدل ، وقوله ([إعا أنت منذر من يخشاها]) - سورة النازعات : ٤ - فلا يخفى على أحد من يهمشك أن الانذار ([إعا يسكن إنذار]) وسيكون له ثانية إذا كان مع من يزوره باهث والقيمة وأهوالها وبخش عقابها ، وتولهم ([إعا يجعل من يخشى الموت]) فرركوز في المقول أن من لم يخش الموت لم يجعل . وإذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعماله (الناظمة) . ولا تقل : ([إعا يجعل من يخشى الفتور لا من أيامه]) ، مفتاح العالم ١٢٧

سادساً : عدم جواز الجماعها مع (ما وإلا) :

من النص الآتي ترى أن الإمام عبد القاهر يرفض مع التوجيه الرابع أن تأتي  
 (لا) مع (ما وإلا) فيقول<sup>(١)</sup> : « ليس من كلام الناس أن يقولوا : مازيد  
 إلا قائم لا يقاعد ، فإن ذلك إنما يجوز من حيث أنت إذا قلت : مازيد إلا قائم ،  
 فقد نفيت عنه كل صفة تباقى القائم ، وصررت كأنك قلت : (ليس هو بقاعد ،  
 ولا مضطجع ولا متوكّل ) وهذا حق لاتندع صفة يخرج بها من القائم .

فإذا قلت من بعد ذلك (الياقون) كنت قد نفيت بلا العائدة شيئاً قد بدأ  
 نفيه ، وهي موضوعة لأن تتفق بها ما بدأت فأوجبته ، لأن تقييد بها النفي  
 في شيء قد نفيه .

سابعاً : شروط استعمالها في إفادتها من الفصل :

من توجيه الإمام عبد القاهر عدم جواز جعل (لا) في سياق (ما وإلا)  
 وجواز ذلك مع (إنما) نستطيع أن نتبين شرطين لما في هذا الباب – أعني  
 باب استعمالها في الفصل :

أما أولهما : فهو لا يسبقها نفي .

وأما ثانها : فهو أن تهاط مفرداً .

ومن الشروط أيضاً لا يكون ما بعدها داخلاً في حروم سابقها ، يقول الإمام  
 عبد القاهر – متابعاً حديث توجيه عدم جواز جعل (لا) في سياق (ما وإلا) :

« ومن ثم لم يجز أن تقول : ماجاءنى أحد لا زيد : على أن تعمد إلى بعض مدخل  
في التقى بمجموع أحد ،<sup>(1)</sup> فتفقىءه على المخصوص ، بل كان الواجب إذا أردت  
ذلك أن تقول : ماجاءنى أحد ولا زيد ، فتبيني بالوارد من قبل (لا) حق تخرج  
بذلك عن أن تكون عاطلة ، فاعرف ذلك ».

أى أن الإمام عبد القاهر يقول : إنه إذا كان ولا بد من الآياتان : (لا) فإنه يجب الاتيان بالواو ، لتسكون هي الماءنة وليس « لا » .

وذلك إنك إذا قلت : ماجاءني إلا زيد : فقد ثفيت أن يــكون قد جاءك أحد غيره ، فإذا قلت : لا عــرو ، كــدت قد طــلبت أن تــتفق بلا المــاحظة شيئاً قد تــقدمت فــثفيته . وذلك — كما عــرفــتك — خــروجــ بها عن المــعنى الذي وضــعت له إلى خلاة .

«فَإِنْ قَيْلَ : فَإِنَّكَ إِذَا قَلْتَ : إِنَّمَا جَاءَنِي زَيْدٌ : فَقَدْ ثُبُوتَ فِيهِ أَيْضًا أَنْ يَكُونُ  
الجَنِيُّ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ . فَسَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَحْمُزَ فِيهِ أَيْضًا أَنْ يَعْطُفَ بِلَا  
فَقَوْلٍ : إِنَّمَا جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عِصْرُو .»

(١) دلائل الإعجاز ٢٦٧

(٢) المراجع السابق ٢٦٧ / ٢٦٨

«قول : إن الذى قلته من أنت إذا قلت : (إعا جاءنى زيد) فقد نفيت فيه  
أيضاً الجنى عن غيره ، غير مسلم لك على حقيقته .

وذلك : أنه ليس ملك إلا قوله : جاءنى زيد ، وهو كلام – كاتراه –  
مثبت ، ليس فيه ذى أبها ، كما كان في قوله : ماجانى إلا زيد ، وإنما ذكر ذلك  
و之势 يذكر على زيد ، فجوابه الجانى ، وذلك وإن أوجب انتفاء الجنى عن غيره ،  
فليس بوجيه من أجل أن كان ذلك إعمال نقى فشى ، وإنما أوجبه من حيث  
كان الجنى ، الذى أخبرت به مجيراً عنه وصا ، إذا كان زيد لم يكن لديه

«والذى أبىثناه أن تدق بلا الماءفة الفعل عن شى ، وقد نفيته عنه انتفاء» .

ثامناً : جواز اجتماعها مع طريق القسر: ضمير الفصل، والتعريف بأى الجنسية:

يشير الإمام عبد القاهر إلى أنه لامانع – حيث الأمر كما سبق أن أوضح  
من شرط استعمال (لا) في هذا الباب - من أن تأتي (لا) الماءفة في سياق  
طريق القسر بضمير الفصل ، أو بتعريف ركفي الاستداد – أو أحدهما – بالـ  
الجنسية ، فيقول<sup>(١)</sup> : «إنا نقول من قوله : زيد هو الجانى ، أن هذا المى ، لم  
يسكن من غيره ، ثم لا ينفع ذلك من أن تجيئ فيه ، «بلا» الماءفة ، فيقول :  
زيد هو الجانى لا عمرو ، لأننا لم نقول ماقولناه من انتفاء الجنى عن غيره بتفن  
أو تفناه على شيء ، ولكن بأنه لما كان الجنى المقصود مجيراً واحداً ، كان  
النص على زيد بأنه قائله وإنما له نفيه له عن غيره ، ولكن من طريق المقول ،  
لام من طريق أن كان في الكلام نقى ، كما كان نعم<sup>(٢)</sup> ، فافرقه» .

(١) دلائل الإعجاز ٤٦٩

(٢) أى في طريق (ما وإلا)

ويوضح ذلك وبوكده ويدفع عنه طريق الاعتراض قوله: «فإن قوله: فلذلك إذا قلت: ماجاءنى إلا زيد، ولم يسكن غرضك أن تبني أن يكون قد جاء منه واحد آخر، كان الخ». أيضًا مجحوماً واحداً.

«قول : إنه وإن كان واحداً ، فذلك إنما يثبت أن زيداً الفاعل له ، لأن  
نفيت الجني عن كل من سوى زيد ، كاتتصنف إذا أردت أن تبني أن يكون قد  
خاتمه به جاء آخر .

« وإذا كان كذلك كأن ماقيلناه ، من أنك إن جئت به لا » العاطفة ،  
فقلت : ما جاءني إلا زيد لا عمرو . كفت قد نفيت الفعل عن شيء ، قد نفيته عنه  
مرة صحيحة ثانية — كأن قلنا ، فاعرفه » .

ومن نونك هذا - من طريق الواقع الأدبي - يقول أبي تمام حبيب  
ابن أوس الطائي :

وإن رأيت الوسم في خلق الفق  
هو الوسم لاما كان في الشمر والجلد<sup>(٣)</sup>

جواز اجتماعها مع الفقدم : --

أما عن طريق القصر بالتقديم فلم يتحدث الإمام عبد القاهر عن أجياع

(٤) دلائل الاصحاح ٢٦٨

(٢) قال أبو عبيدة ممعر بن المنقي : سمعت أبي عمرو بن الملا ، ورجل يقول : إنما  
الشعر كلامكم - أى كلامكم . والواوسم هو السكي ، وجمعة مواسم ، قال الشاعر عن  
فضل الشعور :

ویا در الاف قول پسری فنتندی ه خود رف آوجه و مواسم

«لا» الماءة منه ، والذى أشار إلى ذلك هو رائد البلاغة المتأخرة الشيخ أبو بقير يوسف بن أبي بكر محمد بن حل السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ م رحمة الله حيث أجاز اجتماعها<sup>(٤)</sup> ، وتكون «لا» هنا مؤكدة لاتفاق الطرفين من طريق القسر - تمامًا - كا هو الحال في طريقه<sup>(٥)</sup> .

وفي اعتقادى أن هذا الأمر ليس على إطلاقه أياً، بل بشرط لا يضطرر  
الصياغة المأفوءة التي يجب أن يتضمن معناها؟ فإن حدث اضطراب في الصياغة  
كان طرق القصر هو ما يتضمن به المأفوء، ولذلك ثانوي دلالة التقدير على التعمير  
في قول المأفوء المدروجه: —

وأحاديثك لا ترجسنا **ربك لا يحيي** **لأنك لا تشراب** (٢)

النضر بـ «لا غير»، «ليس غير»، «ليس إلا»:

ذكر السكاكي أن الأديب لا بد أن ي遁س على الأنف والذيت في القصر بطريق المطف إلا إذا كان المقام يتطلّع إلى الاختصار وعدم القطويل فيستعمل المطرقة أو ليس غير، أو ليس إلا وهذه عبارته<sup>(٢)</sup> « والطريق الأول - أي طريق الأصل فيه التعرض للذيت والمدقى بالنص كما ترى في قوله: زيد شاعر لا منجم في قصر الوصف على الصفة، وزيد شاعر لاعبرو، في قصر الصفة على الموصوف، لا تترك النص اليقنة إلا - هي ث بورث تغوليا، » ويكون المقام اختصارياً، كما إذا قال المخاطب: زيد بعلم الاشتقاد والاعرف والتحو والاروض

١٢٧) انظر مفتاح المعلوم

(۲) راجع دیوان قضائی ۱۴۵

١٤٧ (٢) مفتاح حلم

وعلم الفافية وعلم المعانى وعلم البيان فتقول : زيد بعلم الاشتغال لا غير ، أو ليس غير ، أو ليس إلا .

« أو كذا إذا قال : زيد بعلم النحو وعمر وبيكر وخالد وتلران وفلان فتقول : زيد بعلم النحو لا غير ». <sup>(١)</sup>

واعتبر محمد بن علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٧٢٩ هـ - معاصر الفزوي - ذلك طريقةً جديدةً <sup>(٢)</sup>.

ونحن نؤيد في هذه وتنصره على السكاكي ذلك أن « لا » في « لا غير » ليست عاطفة ، كما أن « ليس غير » « وليس إلا » لا يدخلان في طريق التصرع بالمعنى بحال من الأحوال هنا عن « لا » العاطفة .

أما عن أخواتها « بل »، و« لكن »:

فإن القصر بهما وإن كان يتم على مرحلتين أيضاً ، إلا أن مرحلة النفي تسبق مرحلة الإنكار .

ومود ذلك إلى طبيعة دلالة هذين المفردين واختلافهما عن « لا » حيث إن (بل) تفيد الاسترداد ، وـ « لكن » تفيد الاستدراك ، وكل منهما يثبت حكماً لما بعده ، بخلاف « لا » حيث ثبتت الحكم لما قبلها .

والقصود عليه يسكون هو ما بعدها .

(١) انظر كتابه ( الإشارات والتبييات في علم البلاغة ) ص ٩٣ - تحقيق د . عبد القادر حسين .

وقد اشترط البلاغيون في التصرّف بهما أن يقدم عليهما نفي أو تهـيـة<sup>(١)</sup> ، كما اشترطوا أن يكون مابعدها مفرداً<sup>(٢)</sup> .

زاد بعض البلاغيين في « لكن » شرطاً ثالثاً هو : ألا تقرن بالواو قبلها<sup>(٣)</sup> لكن هذا الشرط تردد الأساليب الفصيحة – كما يأتي :

(١) قد تسبق (بل) بأمر أو إيجاب ، وآنذاك يكون معنى الاضطراب والأعراض فيها نقل الحكم – أي حكم الآخر أو الإيجاب – لما بعدها، وجعل ما قبلها كالمكبوت عليه في الحكم ، أي غير عسكروم عليه بشيء مثل اضطراب زيداً بل عمرو ، قام زيد بقتل عمرو ، وآنذاك أيضاً لا يتحقق إلا إثبات الحكم لما بعدها . أما نفي ما قبلها فلا . ومن هنا لا يتحقق بها معنى التصرّف .

(٢) فإن ولربما جملة خرجا من نطاق المعطى إلى كونهما حرفاً ابتداء . راجع الأشـوـق ج ٣ / ١١٠

(٣) فإذا اترت بالولو ، فالنهاية على مذهب أربعة :

مذهب يونس :

أن الواو هي الماطلة ، عطفت مفرداً على مفرد ، و « لكن » غير ماطلة بل هي للاستدراك .

مذهب ابن مالك :

أن الواو الماطلة عطفت جهة حذف بعدها على جهة صرح بعدها ، فالتدبر في نحو : ما قام زيد ولكن عمرو : ولكن ثان عمرو ، وفي (ولكن رسول الله) : ولكن كان رسول الله ، وهو ذلك أن الواو لأنها عطفت مفرداً على مفرد حذف له في الإيجاب والسلب بخلاف الجملتين للتماظنتين فتجوز تحالفهم فيه نحو : قام زيد ولم يتم عمرو .

مذهب ابن عثيمين :

أن « لكن » ماطلة ، والواو زائدة زيادة لازمة .

مقامات استعمال طريق القصر بالمعنى من واقع الأساليب الأدبية :

من واقع قراءتنا لاستخدام القصر بهذا الطريق نستنتج أنّه يستعمل في مقامات الوضوح والبيان السكاشف عن حقيقة الأمور تفخيمًا أو تحظيمًا أو تهويلًا، وفي مقامات التبديد والعمريض تشهيرًا أو تحقيرًا، وفي مقامات التغريب والإعاء بالظهور والبيان وفي مقامات التنمك اللادع الشديد . . . . . إلخ .

يقول أمير الشعراء أحمد شرق - كاشنًا عن عامة الدنيا الإسلامية،  
وممّا أو منهكًا بعذنيات المصريين واليونان والفرس والرومان :

دع عنك روما وآثينا وما حوتنا      كل اليواقيت في يرداد والثوم <sup>(١)</sup>  
وخل كسرى وإيوانًا يُدخل به      هوى على أثر البيران والأيم <sup>(٢)</sup>  
واترك رعبيس إن للاث مظهره      في نهضة العدل لاف نهضة المرم <sup>(٣)</sup>

مذهب ابن كيسان:

أن « لكن » عاطفة ، والرواوى زائدة زيادة غير لازمة  
— راجع كتاب الأساليب الإنسانية في الأندلس العربي ص ١٢٥ — تأليف عبد السلام  
هارون (ط ٢ )

(١) روما : مهد الحضارة الرومانية ، وآثينا : مهد الحضارة اليونانية وبها يضرب  
الثلث في الأزدهار الفكري والأدبي . اليواقيت : الآلة من اليائوت ، الثوم : جمع  
تومة ، وهي الحبة من القصبة على هكل اقدرة . وبريد الشاعر بيدداد : محمد الإسلام في  
ازدهار الدولة العباسية بالعراق .

(٢) خل : اترك كسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس . الأيوان : قصره  
المظيل الأيم : مفردتها إقام ككتاب وهو الدخان ، يشير الشاعر إلى خود نيران  
الجوس ليلة المولد البيوي السكريم .

(٣) رعبيس : أحد نرايع مصر ، ويشير الشاعر إلى أنّ ما شاهده المسلمون ، من  
عدل وإناء ومساواة بين الناس أعظم من إشادة الأهرام .

دار الشرائع روما كلاما ذكرت  
 ما ضارعتها بياناً عقد ملتماً  
 ولا حكتها قضاه عند محظىم<sup>(١)</sup>  
 على رشيد وآمنون ومحظىم<sup>(٢)</sup>  
 من الذين إذا سارت كفاليهم<sup>(٣)</sup>  
 تصرفوا بحدود الأرض والقشم<sup>(٤)</sup>  
 وبمساون إلى علم ومعرفة<sup>(٥)</sup>  
 فلا بدأنون فيقتل ولا ذهم<sup>(٦)</sup>  
 يطأطئون العلاء العلام إإن نيسوا<sup>(٧)</sup>  
 من هيبة العلم لامن هيبة السكيم<sup>(٨)</sup>

يتحدث أمير الشعراء في هذه الآيات عن عظمة للدنيا الإسلامية مبيناً أنها للدنيا الخالدة بما تركته من عدل وإخاء ومواهبة بين الناس، وبما تركته من مهانى ضئلة، وجو أخر نفحة في بغداد، بل بما سطّرته جيوشها في صفحات الزمن من انتصارات، وفي تجارب الأرض من تصرفات، وما تركه حكامها العلاء من آثار لا تمحى.

(١) دار السلام : بغداد . السلام : المسلم .

(٢) ضارعاتها : مائتها . ملتماً : مجتمع . محظىم : مكان الاختصار .

(٣) الطراز : علم النور وبراد به هنا الخط المختار الرهيد والأمنون والمحظىم : من خلفاء بيبياس إإن عقامتهم الظاهرة .

(٤) قال الليث : النحوم : مفصل ما بين السکورتين والقربيتين ، يريد الشاعر أن يقول إن كتاب المسلمين كانت تجتاح حدود الدول وسيطر عليها ولابد وقها ماتق من بحر أو جبل أو غير ذلك .

(٥) يشير إلى أن حكام المسلمين علام ، وفي البيت الآخر يقول لهم إذا تسكلموا في العالم فإن العلة أمثالهم يمرغون قدرهم وبلاهبون روسهم من هيبتهم كلام لا كحسكم .

(٦) النيس : أول السكيم ، يقال : نيس : أى مانحركت شفاته بشيء ، وأكثر ما يستعمل في النفي .

ويطالعنا الشاعر بأن ندع روما وآثينا وما يناديها به من أزدهار فسكري وأدنى ، وأن ترك كسرى وما يفتخر به من إيوان تندع إيان مواد رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن نذر رعمسين وأثار الفراعنة الشاغلة كالأهرام ٠٠٠ إلخ ، لأن ذلك كان لا يثبت أمام عظمة المدينة الإسلامية الخالدة.

وشاهدنا في هذه الآيات : البيان : الثالث ، والأخير ، فقد جاء المعني فيما على طريق القمر من أجل الإبصار والبيان تندعماً وتمظيماً لمدل المسلمين — في البيت الثالث ، وتفخيماً وتمظيماً لهم — في البيت الأخير .

والقصر الأول من قصر الوصف على الصفة ، أي قصر المثلث أخلاق الظاهر على كل ملك يسكنه ، قائمًا على صفة المدل

والقصر الثاني من قصر الصفة على الوصف ، أي قصر تقدير الملام ، بطاقة رموزهم إجلالاً لحكامهم على كون هؤلاء الحكام علماء .

ولا ندري أن نلاحظ أن اهتمام الشاعر في القصر الأول كان منصبًا على صفة المدل ، بينما كان اهتمامه في القصر الثاني منصبًا على الحكام الوصوفين بالعلم .

\*\*\*

وأهل أوضاع ما يبيهن مقام استعمالات ماريق القصر بالهدف — خاصة « لا » — قصيدة « فتح عمورية » لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي التي قالها عن عاصية قيام الخليفة العباسي المعتصم بالله ، بنفسه بقيادة الجيوش لتلبية نداء المرأة المسورة التي أراد الرؤوم سبيها فصاحت : واما مقصده ، وإعراضه عما قاله لأنجبون له من أن هذه المدينة — مدينة عمورية — لافتتاح لا في وقت نضج الدين والمنصب .  
يندد أبو تمام في مطلع هذه القصيدة بالمبتدئين وكفريهم التي يقرأونها ويبيهون

عليها علومهم مستخدماً طريق القصر بـ « لا » العاطفة ، حيث اللقام مقام نصر ونثار بالنسبة للمختص ، وتشهير وتبرير بالسبة لهم ، فيقول :

السوف أصدق إباء من السكتب      في هذه الحد بين الجلد واللumb  
بعض الصفائح لاسود الصحائف في      متونهن جلاء الشك والريب<sup>(١)</sup>  
والليل في شهب الأرماح لامة      بين الجيدين لاف السبعة الشمب<sup>(٢)</sup>  
والقصر في البيت الثاني في جلة ( بعض الصفائح لاسود الصحائف ) قصر  
موصوف على صفة ، ذلك أن بيقداً هذه الجلة ضمير السوف انقدر ، وهو  
القصور ، والقصور عليه هو المقابل لما بعد « لا » أى بعض المسوف .

أما القصر في جلة ( في متونهن جلاء الشك والريب ) فهو قصر على طريق  
التقديم الذي سنشرحه في الفصل القادم ، وهو من قصر الصفة على الوصف ، لأن  
القصور عليه في هذا الطريق هو القدم ، ومتى السوف موصوف يمكن أن  
تتحقق به صفة الجلاء .

أما البيت الثالث فإنه قصر واحد ( اللم بين الجيدين في شهب الأرماح  
اللامة في ضوء الشمس آن المركبة لاف السبعة الشمب ) وهو قصر موصوف  
( العلّم ) على صفة ( كونه في شهب الأرماح اللامة في ضوء الشمس ) .

ثم ينتقل أبو تمام بعد ذلك الإشادة ببطولة المختص باهـ ورجاهـ الذين أـ كرهـوا  
أـ بطالـ حصنـ عموريـة علىـ سـنةـ الـ سوفـ واـ خـطـليـ حيثـ رـأـواـ مـنـهـمـ استـكـافـاـ علىـ سـنةـ  
الـ دـينـ وـ إـلـاـسـلـامـ ، وـ يـسـتـعـرـضـ بـصـورـةـ تـقـرـيرـةـ تـشـ إـيجـاءـ ، وـ تـمـريـضاـ مـذـاعـرـ القـتـلـ  
الـ ذـيـنـ تـخـضـبـواـ بـدـمـأـهـمـ الـ حـارـةـ مـعـتـدـاـ طـرـيقـ القـصـرـ بـالـعـلـفـ فيـقـولـ :

(١) متى الريف : هذه جلاء الشك : إزالته .

(٢) الجيدين : الجيدين . السبعة الشمب : مصادر النجيم عند النجيفين .

كم بين حوطانها من فارسٍ يطلُّ  
بَشَّةُ السيفِ وَالخليقُ مِنْ دمٍ سرَّبَ<sup>(١)</sup>  
لَا شَهَادَةُ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ مُحْتَضَ<sup>(٢)</sup>  
نَمْ يُشَيرُ أَبُو تَعَامَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُتَصَّمَ وَرَجَالَهُ يُحْتَسِّبُونَ هَذَا الغَزَوَ  
عِنْدَ اللَّهِ فَيَقُولُ :

هَيَّاهَاتٌ زُغْرِيَّتُ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ  
عَنْ غَزَوٍ مُحْتَسِّبٍ لَا غَزَوٍ مُكْتَسِبٍ  
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسَّ وَدَ النَّابِ هَمْتَهَا  
يَوْمَ السَّكْرِيَّةِ فِي الْشَّوْبِ لَا الشَّأْبِ

فَاقْتُرَنَ فِي الْبَيْتِ الْأَدُولِ لِبَيَانِ دَافِعِ الْغَزَوِ تَعْظِيماً وَتَفْخِيماً ، إِنَّهُ غَزَوٌ مُحْتَضَ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا غَزَوٌ مُكْتَسِبٌ لِأَمْرَاضِ الدِّينِ ، لَئِنْ قَاتَرَ الشَّاهِرُ زَلْزَلَةَ الْأَرْضِ  
الصَّلَبَةِ وَقَتَ الْحَرَبِ بَعْدَ اسْقَافَاتِهِ الْمَرْأَةِ بِالْمُتَصَّمِ عَلَى غَزَوَهُ الَّذِي احْتَسَبَهُ عِنْدَ اللَّهِ ،  
وَهَذَا قَاتَرٌ صَفَةٌ عَلَى مَوْصُوفٍ .

وَالْقَاتَرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي لِبَيَانِ عَنْقَلَةِ الْمُتَصَّمِ وَجَنْوَدَهِ فِي أَنْهُمْ وَقَتَ الْحَرَبِ  
يُحْرَصُونَ عَلَى قَتْلِ الْأَعْدَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يُحْرَصُونَ مَا مِنْهُمْ مِنْ الظَّانِمِ ،  
وَهَذَا قَاتَرٌ قَاتَرٌ مَوْصُوفٌ عَلَى صَفَةٍ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّاهِرَ حَمْرَهُ الْأَسْوَدَ  
- رَجَالَ الْمُتَصَّمِ - فِي صَفَةِ الْقَاتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا صَفَةَ الْمُلْكِ وَالنَّهْبِ الْمَتَّوْلِ .  
نَمْ يَصُوَّرُ أَبُو قَانِدَ الرَّوْمَ وَقَدْ ضَافَتْ بِهِ الْأَرْضُ يَا رَحِيْتَ لَمْ يَعْلَمْ إِلَى الْفَرَارِ  
وَالْمَرْبُ أَمَامَ جَيْشِ الْمُتَصَّمِ فَيَقُولُ :

(١) ذَوَابَةُ الرَّاسِ : نَاصِيَّتِهَا ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هِيَ لَقِيَ أَحْاطَتْ بِالْمَوَارِدِ مِنَ الشَّمْرِ  
أَنِّي : حَارَ قَدْ اتَّهَى حَرَهُ وَسَخْوَتَهُ ، سَرَبٌ : مَتَدَافِقٌ وَمُتَتَابِعٌ .

(٢) الْخَلْقِيُّ : نَسْبَةٌ إِلَى الْخَلْقِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْجَاهِ نَقْوَمُ فِيهِ الرَّهَاجُ اسْتَبَنَ إِلَيْهِ .

وَتِيْ وَقَدْ أَلْجَمَ الْأَنْجُلُوْنَ مِنْطَقَةً بِسَكَنِهِ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءِ فِي صَخْبِ<sup>(١)</sup>  
أَحْذَى قَرَابِيْنَهُ صَرْفَ الْرَّدَى وَمَضَى يَعْثَثُ أَنْجَى مَطَايِّهِ مِنَ الْمَرْبَى<sup>(٢)</sup>  
مُوَكَّلاً بِفَاعِلِ الْأَرْضِ بِشَرْفِهِ مِنْ خَفَّةِ الْخَوْفِ لَامِنْ خَفْقِ الْطَّرْبِ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الشَّاهِرَ هُنَا يَتَهَمُّ بِقَائِدِ الرُّومِ تَهْسِكًا لَادْعَانًا فَيَقِنُ أَنَّهُ قَدْ أَعْيَهَ الْجَهَلَ  
فِي سَبِيلِ وَقْفِ هَذَا الزَّرْفِ الْمَاهِلِ ، إِنَّ أَسْكَنَتْ رِمَاحَ جِنُودِ الْمَتَّصِمِ لَاهِنَّ بِنِ  
الْنَّطْقِ ، يَدِنَا جَمَلَتْ قَلْبَهُ بِضَطْرَبٍ ، وَعَيْنَهُ تَدُورُ فِي كُلِّ اِجْمَاءِ كَافَّى يَنْتَشِي عَلَيْهِ  
مِنَ الْمَوْتِ .

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَرَكَ لِلْقَرْبَيْنِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَهْدِي إِلَيْهِ كَأسَ الْمَوْتِ فِي هَذِهِ  
الْمَرْكَةِ ، وَمَضَى يَعْثَثُ عَنِ الدَّاقِقَةِ النَّجِيَّةِ الَّتِي تَسْتَطِعُهُ أَنْ تَنْقَذَهُ بِفَرَارِهِ مَا هُوَ  
فِيهِ ، يَحْتَمِلُهُ السَّيرَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ لِيَسْتَشْرِفَهُ وَيَنْالُ عَلَيْهِ الْآمَانَ ، وَهُوَ فِي هَذَا  
كُلَّهُ لَمْ يَسْتَخْفِهِ الْطَّرْبُ وَإِنَّا يَسْتَخْفِهِ الْخَوْفُ .

وَالْقُصُورُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ قُصُورٌ صَفَةٌ عَلَى مَوْصُوفٍ ، أَىْ قُصُورٌ إِشْرَافٌ قَائِدِ  
الرُّومِ وَصَمْوَدِهِ الْمَكَانُ الْمَالِيُّ عَلَى خَوْفٍ وَهُلْمَهُ لَا طَرْبٌ وَفَرْجٌ .

\* \* \*

(١) يقول الشاعر إن رماح جيش المتصم لاي لاحت قائد الروم وجذوه قد اجلت  
هذا قائد بقليل قليلاً في انتصار ونطقه في سم وشقيت عليه الأرض بما واجبت .

(٢) أحذى قرابينه صرف الردي : يعني أن قائد الروم يدخله هذه المركبة قد  
أهدى القربين إليه كأس الموت . (مضى يعثث أنجى مطایه من المربى) يعني أن  
قائد الروم قد اختار من أجيال المربى والقرار من المركبة أنجى وأنوى مطالية عنده  
نم هو بعد ذلك راح يحتمل السير المريع حتى يستطيع أن ينمات .

(٣) لقد ذهب قائد الروم من شدة مارى من الخوف إلى أعلى مكان من الأرض  
حتى يستطيع أن يسكن بأمان ومتنهاء .

ومثل القصر بعمر بي المعلم بـ « لا » القصر بـ « لكن » و « بل » .  
غير أن « لكن » تؤيد تقرير نفي ما قبلها وإيجاب ما يليها ، و « بل » تؤيد  
تقرير حكم ما قبلها وتثبت هذه لما يليها .  
والقصور عليه في كل يوم هو ما يليها .

يقول خليل مطران ، وقد رأى تحال رمسيس الثاني في الأقصر :  
أَكْبَرْ يرمسيس مِنْهَا لَا يَلْمِعْ يَهُ موت ، وأَكْبَرْ يَهُ حَيَا إِلَى الْآن  
لولا تَحَانِيَةِ الْآخِرِيِّ مُحَمَّدَةَ ما جَاءَ فِي ظَانِّ قَاتِلَ أَنَّهُ قَاتِلَ  
فِي مُصْرِ عَزَّ فَرَاعِينَ فَإِنْ رَفْقَةَ الشَّانِ  
بِهَا يَبْلُوَنَّ فَإِنْ رَفْقَةَ الشَّانِ  
وَلَمْ يَنْتَهِ لَهَا فِي غَيْرِ مَذَّهَنِهِ  
مَا تَمَّ مِنْ فَضْلِ مَازِرَاهُ وَعَرَانَ  
تَحْيِيَّرَ الْمُلْكَةَ الشَّشَّالِيَّ لَهُ وَلَهَا  
يَمْلُوَنَّ فَقَعْدَوْهُ وَالْمُلْقُضُ الشَّانِ<sup>(١)</sup>  
مَا زَالَ بِالْقَرْمِ حَتَّى صَارَ يَنْهَمُوا  
إِلَهَ جَنَّيَ تَحَبِّيَّهُ وَكَثِيرَانَ  
وَرَبَّ سَانِدَ يَلْهَاهُ هَانِهَ  
تَشَقِّي وَتَهْوَاهُ فِي سَرِّ إِعْلَانِ  
بِـ « هَا كُلَّ خَسْفَيْرَ وَهِيَ صَارَةَ لَا صِرْبَعَلَنَّ وَلَكِنَ صَبَرَ إِيَّانَ

يتحذّث خليل مطران هنا عن عظمة فرعون مصر « رمسيس » ويرى أن  
عظمة تحال الأنصور قد جعله، حيّاً كامل الحياة ، بل إن تَحَانِيَةَ الْآخِرِيِّ في  
حافظات مصر لو لم تَعْطِمْ لتَذَلَّلَ مِنْ فَنَائِهِ إِقَالَ كُلَّ إِنْسَانٍ – وليس خليل مطران  
فقط – إن هذا الفرعون لن يغُي أَبْدَ الدَّهْرِ ، ثم يربط الشاعر بين عظمة هذا  
الفرعون وعظمة مصر في عهده ، ويرى أنه وضع خطة مثلى لمو شأن مصر  
وعلو شأنه .

(١) الشان : هو العدو ، وفي القرآن : إن شانك هو الآية ، أي إن عدوك هو  
الأفعى الآخر .

لـكنا ترى هذا الشاعر يضطرب بـأهـل ، فـرـة يـقـاتـلـ عـلـىـ الـصـرـيـفـينـ فـعـدـ رـمـسـيـسـ يـرـىـ أـنـ هـذـاـ الـزـرـعـونـ قـدـ جـمـاهـمـ مـسـخـرـيـنـ يـؤـمـرـونـ فـيـأـتـرـونـ ، وـيـحـكـمـ بـأـنـ الرـعـيـةـ كـانـتـ تـشـقـيـ فـسـبـيلـ رـمـسـيـسـ ، وـسـرـةـ يـرـىـ أـنـ الـصـرـيـفـينـ يـحـبـونـ هـذـاـ الـفـرـعـونـ فـالـسـرـ وـالـمـلـاـنـيـةـ ، وـيـصـبـرـونـ عـلـىـ مـاـ يـوـمـهمـ مـنـ اـلـخـفـ صـبـرـلـلـؤـمـيـنـ بـهـ لـاـ صـبـرـ الـقـلـاءـ الـمـادـعـيـنـ لـهـ .

كـانـ يـتـاقـضـ مـعـ نـهـ رـهـيـاـ إـذـ بـقـولـ عـنـ الـحاـكـمـ الـظـالـمـ الـذـيـ  
يـسـوـسـ الـذـاـسـ خـسـفـاـ ، وـيـقـرـمـ ذـلـاـ : إـنـ الشـعـبـ يـهـوـاهـ فـسـرـهـ وـعـلـاـتـيـهـ ، وـيـصـبـرـ  
عـلـىـ صـبـرـ إـيـانـ بـاـ وـجـهـ ذـلـكـ الصـبـرـ مـنـ لـذـةـ الطـاعـةـ .  
وـدـعـنـاـ الـآنـ . مـنـ هـذـاـ الـاضـطـرـابـ وـالـقـدـاقـضـ فـهـوـ خـاصـةـ الـبـحـثـ الـأـدـبـيـ  
يـبـحـثـ عـنـ أـسـبـابـهـ ، وـلـنـعـلـلـ شـاهـدـنـاـ الـبـلـاغـيـ

إـنـ الـشـاعـرـ يـقـرـرـ فـتـأـ كـوـدـ بـالـغـ صـبـرـ الـشـعـبـ الـصـرـىـ عـلـىـ فـرـمـوـنـهـ «ـرـمـسـيـسـ»ـ ،  
فـيـقـصـرـ هـذـاـ الصـبـرـ عـلـىـ كـوـنـهـ صـبـرـ إـيـانـ بـطـرـيقـ الـعـلـفـ «ـلـكـنـ»ـ ، حـقـ يـأـخـذـ  
هـذـاـ الـمـعـنـيـ مـكـانـهـ فـمـسـقـرـ فـؤـادـ السـاعـعـ .  
وـالـقـصـرـ هـنـاـ قـصـرـ مـوـصـفـ عـلـىـ صـفـةـ .

\*\*\*

يـقـولـ اللهـ سـبـعـانـهـ (١)ـ : (ـمـاـ كـانـ عـمـاـ أـهـدـ مـنـ رـجـالـكـ وـلـكـنـ رـسـولـ اللهـ  
وـخـاتـمـ الـبـيـبـيـنـ وـكـانـ اللهـ يـكـلـ شـيـءـ عـلـيـاـ)ـ .  
يـقـدـ اللهـ سـبـعـانـهـ بـهـذـهـ الـآـيـةـ إـنـهـ قـضـيـةـ الـقـبـيـقـ عـنـ الـعـربـ بـعـدـ بـيـانـ الـحـكـمـ

(١) سـوـرـةـ الـأـحـزـابـ آـيـةـ ٤٠

الإسلام فيها ، والذى قال فيه عنَّا أسمه قبل ذلك<sup>(٥)</sup> (ادعوه لأنتم هم هو أقطع عذر الله ، فإن لم تعلموا أيام فلإخواتكم في الدين ومواليكم) .

فهي تنسح عن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليس أبا لأحد من الخطابيين ، وإنما هو متصور على أن يكون رسول الله خاتم النبيين .

فالآية على هذا من باب قصر الموصوف على الصفة .

ونلح هنا أن « لكن » قد سبقت بالواو ، مما يشير إلى رد اشتراط بعض البلاغيين لا تسبتها هذه الواو لكن تفيد التصر .

\*\*\*

يقول أمير الشعراء أحد شوق مخاطبًا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما جئتُ بآياتك مادحًا بـ داعيَا ومن الذبح تضرعْ ودعاه  
أدعوك عن قوى الضلال لازمة في مثباتِ يُلقي عليك رجاء  
أدري رسول الله أن ذنوبَهم دركتْ هواهم والقلوب هواه  
متفسكـ تكون فـ تضم ذنوبـهم ذلة ، ولا جمع القلوب صفاء  
رقدوا وغرم نعيم باطل ونعمـم قوم في النـيـود بلاه

يتنزأ أمير الشعراء فرصة مدحه لرسول الله الأعظم ، محمد صلى الله عليه وسلم  
فدعوه لأزمة قومه أن تنفرج ، والأزمة العاتية - في نظر شوق وهو محق في ذلك - هي أزمة الفرق والتفسكـ وركوب الهوى والاستراحة والركون  
إلى الدنيا الفانية .

(٥) سورة الأحزاب آية ٦

واستفهام شوق في عرض هذه الأزمة على رسول الله الأعظم ، محمد صلى الله عليه وسلم في النفس منه شيء ؟ ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن درايته بأحوال أمقه في أحاديث كثيرة ليس هنا مجال عرضها.

وشهادتنا هو البيت الأول حيث ينفي شوق قصيدة مدح رسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو المدوح من الله والذين ولهم الملائكة والخلق أجمعين ، ويُنَزَّب عن قصده الحقيقى وهو الدعاء .

ولسنا ننظر هنا إلى الشطر الثاني لنظرية المناعة التي ترى عودة الإشمار بالندح من شوق وتنبيه عن العناقض ، بل إنما نظرنا إلى الشطر الثاني فإن نظرنا بلاغية جمالية ، تقول : إن شوق قد أحمن المخروع من غرض اللدح إلى غرض الدعاء ، فقبل هذه الآيات :

يَا مَنْ لَهُ عِنْ الشَّفَاعَةِ وَحْدَهُ   وَهُوَ الْمَزِيزُ مَا لَهُ شَفَاعَةٌ  
عَرْشَ الْئِيَامَةِ أَنْتَ تَحْتَ نَوَانِهِ   وَالْمَوْضُ أَنْتَ حِيلَهُ السَّقَاءِ  
الْمَلْحُونُ أَصْابِعُ بُجُونَ   بِدَا  
هُ أَنْتَ ، بِلْ أَنْتَ الْيَدُ الْبَصَاءِ

وهذا من قبيل اللدح ، وما بعده - أي الآيات السابعة عليها والتي ذكرناها من قبل - من قبيل الدعاء .

والقصر في البيت الأول من الآيات الأولى (ماجست بابك مادحًا بل داعيًا)  
قصر موصوف على صفة - أي قصر الجمجم على كونه للدعاء .

أما القصر في البيت الأخير من آيات المجموعة الثانية فليس طريقة بل

— كابوتوم<sup>(١)</sup> — وإنما طريقة تعريف المسند بآل المهدية — وسوائى الحديث عن هذا الطريق .

مناقشات حول القصر بطريق المطف : —

١— مع الشیخ محمد بن علی الجرجانی ت ٧٩٩

أطلنا عن حد حديث مقامات اسماعیل طريق القصر بالطف من واقع الأساليب الأدبية ، ذلك أن هذا الطريق بالذات قد استنكره وهاجمه بعض البلاغيين الذين لهم قيمتهم ووزنهم قدیماً وحديثاً .

وأسپقهم في هذا الاتسکار — وفق مانعهم — هو الشیخ محمد بن علی بن محمد الجرجانی ت ٧٩٩ ، صاحب كتاب الاشارات والتنیمات في علم البلاغة ، حيث قال<sup>(٢)</sup> :

(١) يستشهد بعض الباحثین في علم البلاغة بمثل الآیات :  
ليس اليتم الذى قد مات والده... بسل اليتم ياتم الدلم والأدب  
إن الجددین ف طول اختلافهما لا يفـدان ، ولكن يفسـد الناس  
ليس يعطيك للرجلاء ولا الخوارف ، ولكن يلـد طـمـ الطـمـاء  
ماـلـ في دـيـرـاءـ وـانـ بـنـيـةـ لـكـنـ أـخـوـ حـزـمـ يـجـدـ وـرـملـ  
علـ طـرـيقـ القـصـمـ يـأـخـدـ حـرـفـ الطـفـ المـذـكـورـةـ ، وـسـنـدـلـ يـرـأـيـاـ فـ ذـالـكـ آـنـ  
لـيـاـ سـتـذـكـرـ كـأـلـاءـ مـنـ مـنـاقـشـاتـ وـخـاصـةـ مـعـ السـبـکـ .

(٢) الإشارات والتنیمات في علم البلاغة من ٩٣ / ٩٤ — تحقيق الدكتور عبد القادر حسين .

«وَمْ وَتَبِيهُ» :

«زم الماء» - أي الخطيب الفزوي ت ٧٣٩ - أن من طرق القسر المطف «لا» و «بل»، كقولك في قصر الوصف على الصفة إفادة: زيد شاعر لا كاتب، أو مازيد كاتباً بل شاعر<sup>(١)</sup>. وقلباً نحو: زيد قائم لقاعد، أو مازيد قاعداً<sup>(٢)</sup> بل قائم

وفي قصر الصفة على الوصف إفادة، أو قلباً بحسب اللام: زيد قائم لأعمرو، أو ماعمر و قاعداً بل زيد.

«وهذا ليس بشيء»، لأن إثبات صفة لبعض، ونفيها عن معين آخر، ليس يقتصر «بل القسر» هو: إثبات المدين، ونفيها عن غير ذلك المدين، أعم من أن يكون زيداً أو عمراً أو غيرهما، فهو أعم من الأول.

«نعم لو قيل: زيد شاعر لا غير، كان قسراً، وقد تقدم».

وقيل أن بدا في الرد على كلام الشيخ محمد بن علي الجرجاني فقسم كلامه إلى

القسمين اللذين اخترعا بنفسه أعني قوله: «وَمْ وَتَبِيهُ»:

(١) ما: نافية حيادية تحمل محل ليس، وزيد: أسمها مزدوج لها وعلامة رفعه الشدة، كأنما: خبرها متصوب بها وعلامة تصير الفتحة، بل حرف عطف يفيد الاختراب يعني أنه يزيد تقرير حكم ما فيه - أي حكم المدقى - ويتثبت منه لما يقدم.

شاعر: مثطوف بالرفع على محل المقط (كتاب) على مذهب بعض البصريين في الاصل: مازيد قاعد - برفع قاعد - وهو سهو، وصححة أقرب، لأنها خبر (ما) التي تحمل محل ليس - عن المحقق، ونحن قد صحننا النزال الآخير (ما عمرو ونائماً بليزيد) على هذا التوال.

والأول منها هو كلام الفزوي في نهاية للثال عاشر وقائماً بـ زيداً .  
أما الثاني منها فهو النفي الذي يرد به كلام الفزوي، ويبدأ بيته: « وهذا  
ليس بشيء ، وبذلك عذر قوله : وقد تقدم » .

ونحن في سبيل الرد على الجرجاني نقول :

إن ما أورده الجرجاني من أن إثبات صحة المعنون ونفيها من معين آخر ليس  
يقتضي خطأ ؟ ذلك أن هذه هي حقيقة القصر الإضافي .

فإذا ضممنا إلى ما أوردهنا عنه الآن ، بقية كلامه - بمعنى أننا قرأتنا النفي  
كله الذي يرد به على الفزوي - خرجنا بقسم الحقيق والإضافي على حد تعبير  
سعد الدين الفزاراني ، أو الحقيق وغير الحقيق بمبارزة الفزوي .

يتقول سعد الدين الفزاراني في مطلع شرح تفسير الفزوي القصر إلى حقيق  
وغير حقيق<sup>(١)</sup> : « لأن تخصيص الشيء بالشيء : إنما أن يكون بحسب المقدمة  
وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلاً ، وهو الحقيق ، أو بحسب الإضافة  
إلى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء ، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء  
آخر في الجملة ، وهو غير حقيق ، بل إضافي ، كقولك :

ما زيد إلا قائم ، بمعنى أنه لا يتجاوز القيام إلى التمود ، لا بمعنى أنه لا يتجاوزه  
إلى منه أخرى أصلًا .

على أن القصر الحقيق - مما كان عاماً - فإنه لابد أن يكون الفصود فيه

(١) عنصر الماء لسعد الدين الفزاراني على تلخيص الفتاح الفزوي - ضمن  
شرح التلخيص - ٢/٢ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، وأنظر للطول لسعد الدين أيضًا ٤٠٤ .

بالنسبة إلى الذهن تمحور أفق ثانٍ، ثم ثالث، من هنا يتم سعد الدين الفقازاني بكلامه فيقول<sup>(١)</sup>: « وانتقامه إلى الحقيقة والإضافات بهذا المدى لا ينافي كون الشخص مطابقاً من قبيل الإضافات ». ٣٦

على أننا بعد ذلك نقول مقالة ابن يعقوب<sup>(٢)</sup>: « تم الشهور عتمم أن القصر الحال على المطلب لا يكفي إلا إضافياً؛ لأن الإضافات إنما هو باعتبار ما في المطلب ». ٣٧

إذا تذكرنا بعد ذلك (طريق لا غير) رجمتنا - كما رجع ابن يعقوب أيضاً - فقال<sup>(٣)</sup>: « بول الحق أينه - أي القصر بالطلب - أكثري - أي في مجده إضافياً - لصيغة كونه من الحقيقين إذا كان المدى هو جمجمة ماسوى المذكور، كيقولك: زيد عالم البلد لا غيره، إذا فرض أن لإعلام في البلد سواه، وكتولنا - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا غيره ». ٣٨

نقطة مع بها، الدين السبكى ت ٥٧٧ :

« قيل السبكي مقوله التزويدي - كما تعلمها الجرجاني من قبل - تم قال<sup>(٤)</sup>: « قلت: ألم المطلب « لا » فأى قصر فيه، إنما فيه ثني وإضافات »، فدعاك: زيد شاعر لا كاتب، لأن تعرض فيه المدى صفة ثلاثة، والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبتة إنما حقيقة أو مجازاً، وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقد أنها المخاطب ». ٣٩

(١) المؤنسن الشافعى: الموسوعة الفقهية، ج ٢، ص ١٩١.

(٢) مواهب النجاح ج ٢ ص ١٩١ (من شروح التأديس).

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩١.

(٤) بحروس الأتراء ضمن شروح التأديس ج ٢ ص ١٨٧.

« وأما المطاف : « بل » فأيده : فإن قوله : « زيد قاتلها » بل قاعدة، لا يضر فيه ، وهو أيده من القصر على قوله : لأن في « لا » بعضاً بينه وبين إثباتاته ، وفذلك لا يستحوف « بل » إذا جوزنا عطتها على المثبت مثل : « زيد شاعر » بل كاتب .

« ثم إطلاق أن « بل » الماطفة القصر لا يصح ؛ لأنه يقتضى أن قوله : ليس زيد قاتلاً بل قاعد ، لا يضر فيه ، فإنها ليست عاطفة ، لأن « بل » لا تنطف إلا المفرد » ، كما صرحت به الدعامة .

ولابد قبل الرد عليه من تقسيم كلامه إلى ثلاث نقاط : تعلة للحديث فـ « لا » وقطفين للحديث عن « بل » .

#### أما التعلة الأولى :

فيبدأ بي قوله : « وأما المطاف : « لا » فأى قصر فيه ، فإنها في بينه وبين إثباتاته ... ونتبع عند قوله : مثل : « زيد شاعر لا كاتب » .

ونقول في الرد عليهما :

ما قاله سابقاً من أن القصر الإضافي هو الذي يتضمنه إلى صفة مميزة ، وليس إلى صفة عامة ، والمشهور أن هذا الطريق - طريق القصر بحرف المطاف « بل » - يكون في القصر الإضافي .

#### ثم نقول :

لقد كان الأولى بالسبيكي أن يثير على القزويني ما أثاره ابن يعقوب عليه<sup>(١)</sup>

(١) انظر مواهب الفتاح ج ٢ س ١٨٦ (ختن درج التلخيص) .

من أن قصر القلب يطرد الماء على مذهبه ، ذلك أنه يشرط فيه تحقق  
تفاق الوصفين مثل (زيد قائم لا قاعد ، وما زيد قاعداً بل قاعد) ، وإذا أتحقق ذلك  
ـ أعمق بيت تفاصيema ـ علما من فني أحدهما ثبوت الآخر ، وكذا من ثبوت أحدهما  
فن الآخر ، وحيثنة فلا فائدة في معرفة الثبات على المنفي ، أو عطف المنفي على  
المنتفي ، ذلك أنه قد وقع في كلام البليغ ما هو مستحسن ، عنه حسب الظاهر .

وقد يقال مثل هذا الاعتراض أيضاً عند تحقق تناقض الوصنيف على مذهب غير الفرزوني.

و قبل الأجبابة على هذا السؤال بشرح أولاً مفهوم التعمير بها الجزو لية فنقول :  
 اشتهرت بعض النساء (السييل، وأبي حيان، والأبدى في شرح المثروبة) - كا يقىول  
 (الجىك)<sup>(١)</sup> أنه لا يعطف « لا » إلا بشرط هو : أن يكون السلام الذى قبلها  
 يتضمن بعفهم الخطاب فى ما يهدىها ، بمعنى أن يكون ما قبلها لا يتناول ما بعدها<sup>(٢)</sup>  
 فقبل قوله : مررت برجل لاعاقل ، وقام رجل لا زيد ، لا يصح العطف بها ؛ لأن  
 للأول بتناول الثاني ، ومن ثم لا يصح التعمير بها ومن ثم أيضاً يتحقق هذه الأسلوب  
 على مفهى الاختصاص . فإن أردت هذا المفهى أتيت بالظف (غير) فنقول : مررت  
 برجل غير عاقل ، وقام رجل غير زيد .

أما قولك جامد رجل لا امرأة ، وعلم لا يجاهل فإنه يصح المطاف بها ، ومن ثم يصح القصر بها أيضا ، ذلك أن الأول لا يتناول الثاني ، كما أنها - كما قلنا من قبل في إعما - ثانٍ لتأكيد النفي الضيق قبليها ، وممثل ذلك : قام زيد لاعبو ، وكذا كل ما أورده التزويدي من أمثلة .

(١) عروس الادرام - ٢ س ١٦٩ (شين شروح التشخيص) :

(٢) راجع هر وظ المتصدر بها فيما تقدم من حديث الإمام عبد العاهر.

ثم يقول :

فائدة العرض لنفي الغير بعد إثبات الماليوب بطريق المسر : الإشمار بأن المخاطب اعتقد المكبس ، لأن القيد الزائد من البليغ حيث لا يحتاج إليه تطلب لهفائدة .

وأقرب شيء يعتبر فائدة له بالذوق السليم : الرد على المخاطب ، فإن التبادر من قوله : كان كذا لا كذا ، أن المني لا كذا - كما تزعم أنها المخاطب . وكذا قوله : ما كان كذا بل كذا ، منهانه بالذوق السليم : ما كان كذا كما تزعم أنها المخاطب بل كذا<sup>(١)</sup> .

هذا عن النقطة الأولى في الفصل بعديق « لا » .

أما عن النقطة الثانية

« الفصل بطريق « بل » ، فجداً يقول السبكي<sup>(٢)</sup> : « وأما المطفف : « بل » فإيمد ، . . . . وتنصي بيوله : زيد شاعر لا كاتب » . . . .

(١) يقول ابن بثوب ( ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ) - وراجع المسوقة نفس الموضع « الحكيم المقدر هنا منكر لاعتقاد المخاطب عكس ، والحكيم المنكر يحب « أكيد » ، في إثبات ضد أو خلاف المعتقد نق الحكيم المعتقد ، وفي المطفف بالنفي أو الإثبات تقرير ماقترن أولا ، فقد توصل بالمطفف القيد العموم صراحة إلى أنـا كيد المناسب للقائم » .

(٢) انظر ص ١٤٩ من هذا البحث ، وعروض الأندر راج ج ٢ / ١٨٧ ( ضمن هروج لـ *لـ لـ* ) .

ولزد على هذه النقطة :  
قول :

إنما لم نقل بالقصور بطرق «بل» في كل حال، بل نقول بذلك يشروعه - كاف «لا» - وقد اشتغلت البلاغيون في القصور بطرق حرف المعرف (بل) أن تفيد تقرير حكم ما قبلها وثبت منه مما يمدحها، وأن تعلف مفرداً، وأن يتقدم على لسانه أو في موضعه :

وعلى هذا فنون تتفق مع السياق أن قوله: (ما زيد قاعداً بيل قاعد) لا يضر  
فهي من حيث يكون (قاعد) خير لم يبدأ مخدوف، أي هو قاعد، ذلك أن (بل)  
هنا يقتضي، أي يمدها بهذه وخبر (جملة)، وهي هنا قد عطنت جملة على  
جملة، وذلك مالا يسكنون في حديث التصر الذي نحن فيه (الاصطلاحى)

أما من حيث أن هذا المثال (ما زيد قاتعاً بل قاعد) - كآخرجه ابن سقيفون والدسوقي<sup>(٢)</sup> - الرغب في (قاعد) على أنه معلوم على محل تعبير «ما» المخبارة الفروع أصلاً - أي قبل ورود «ما»، حيث ذلك غير مموجع عند البصريين<sup>(٣)</sup>، ومثال الفروقين (ما زيد كاتباً بل شاعر) جاري على هذا المذهب - أقول : من حيث هذا يكون المثال مغيناً لاقصر، لوجود النفي والإثبات، ولكن دون معنى الإصراب هنا - كما قدمتنا - تقرير حكم ما قبل «بل» وإثبات شدته لما يليها .

أما الحال (زبد شاعر بيل كاتب) ظليس فيه قصص لأسباب :

(١) مواهب الفناء، حافظة المسروق ج ٢ / ٦٨٧ ( ضمن مجموع المؤلف )

(٢) انظر م ١٤٦ - المادية.

أولاً : من ناحية التشكيل الفوري : عدم ورود في أوله في « بل ».

ثانياً : من ناحية المعنى : أن الإضراب في (بل هنا منه) : تقل الحركة — أي حكم الإيجاب لما بعدها — يجعل ما قبلها في حكم المكتوب عليه في الحركة، أي غير حكم على بشيء ، فيكون مثل : اضرب زيداً بل هرو — الذي تقدم ، الكلام عليه في الحاشية من قبل .

ثالثاً : من ناحية الضبط الفي : أنه لم يتحقق فيه معنى القسر أصلاً (الإيات واللفظ).

النقطة الثالثة :

ومن قول السبكي<sup>(١)</sup> : « تم إطلاق أن « بل » العاطفة للقسر لا يصح ؛ لأنه يقتضي أن قوله : ليس زيد قاتلاً بل قاعد ، لا قسر فيه ، فإنها ليست عاطفة لأن « بل » لانطف إلا المفرد ، كامسح به النهاية ». .

ومن منتشر من هذه النقطة أن السبكي يجوز القسر به (بل) إذا كانت لطفة الجل ، وإنما في هذا يخرج إلى القسر غير الاصطلاحى ، لأن القسر آنذاك مقاد من جملتين ، وليس من جملة واحدة كما هو حديث القسر الاصطلاحى .

وقد أونما ابن يعقوب إلى هذا القسر في حديثه عن تحريم مثال التزويف (ما زيد كاتها بل شاعر) فقال<sup>(٢)</sup> : « ولكن كون ثانيةما عطف على اللون » .

(١) انظر عروس الأفراح ج ٢ / ١٨٧ (ضمن شروح التلخيمين) ، وانظر ص ١٤٩ من هذا البحث .

(٢) مواهب الفتاح ج ٢ / ١٨٧ (ضمن شروح التلخيمين) .

المقصوب؛ «ما» محل ظرف، لأنَّه إنْ عُطاَ على لفظ المقصوب لِمَ حلَّ «ما» في الشِّيْطَبِ، وَهُوَ إِنَّما تَعْمَلُ فِي الْمُقْصِبِ، وَإِنْ عُطاَ بِالرُّغْمِ عَلَى محلِ المقصوب، فَالملطفُ عَلَى محلِ مُتَنَوِّعِ الرُّوَايَةِ الْحَالِيَّةِ بِوُجُودِ النَّاسِخِ، وَأَمَارَهُ بِقَدْرِ الْمُبَدِّدِ فَقُبَّرَخَ فِيهِ عَنْ كُونِهِ مُطَارِفًا، وَكَلَّامُنَا فِي إِذَادَةِ الْمُسْرَفِ بِالْمُعْطَافِ.

وـ، لكن أن يحاب بأن المعرف على الحال لا يتحقق على مذهب البصريين ، والمثال جار عاوه ، أو الرفع يقدر المبتدأ ، ويحمل المكلام من عطف الحال .

مع استاذی ادکتور محمد حسین ابو موسی :

تعرض أستاذى الدكتور محمد حسين أبو موسى ، وهو المدير بكلام علاء البلاغة - متقدّم بهم ومتقدّم عليهم - ، الدقيق فى فراءة، حواشىهم وتفاريرهم وتوركات اعترافاتهم ، إلى خلافات ومذاهب العادة والبلاغيين حول القصر بطريق العطف ثم قرأ - بالقطع<sup>(٤)</sup> - مسابق آن ذكرناه للشيخين : محمد بن علي الجرجاني ، وبهاء الدين السبكي ، ثم رأى الشويخ سليمان نواز أستاذ البلاغة في كلية اللغة العربية وصاحب المذكرات الشهيرة في الفصل والوصل والقصر يقول عن « بيل »<sup>(٥)</sup> : « ترى خلافات في معنى العطف ؟ بيل » غريبة ، يظاهر لي أن منشأ هذه الخلافات عدم تحديد الملاعنة لرأيهم ، فالجهات الناظرون في فهم كلامهم ، وحصلت هذه

<sup>٣</sup> عبد الله بن مالك، *الإ矜اء*، ١٢٦، وهذا انتساب لأبيه، كوفى صالح النابغة، الذي

<sup>٤١</sup> يدلل أنه استأنس بـ*كلام السك* في حدثه الذي ساقه عنه الآن.

(٤٦) مذکرات الشیخ حلبان نوار ص

(٢) المراجع السابق ص ٤٠

وينقل عن عبد الحكم قوله «لا»<sup>(١)</sup>: «أن تصر الشعرين لا يؤدى بطريق المطاف ، لا ؛ لا » ، ولا ينيرها من «بل» و «ولكن» .

فاطمأن قلبه إلى أن هذا كله لا يسكون من فراغ ، فانطلق يقول عن حديث الماء ، من الفسر بطريق المطاف ، معروفة (لا ، بل)<sup>(٢)</sup> : « وهذا الاختلاف في تحديد دلالة التركيب مرده إلى أنه ليس شائعاً في كلام العرب ، لأنه لو شاع بالتحديد مدلوله بواسطة القرآن التي يرد فيها ، وهذا أفسر ابن الحاجب حين «بل» بعد الإثبات ، وبعثتها بعد الفق ، «بل» حد مذهب البراء ، أعني على اعتبار المطاف الذي يعلى للمطوف حكم المطوف عليه ، وذهب إلى أن ذلك لا يسكون في الكلام القصيح » .

ثم ذكر شيئاً من حديث عبد القاهر من «لا» فقال<sup>(٣)</sup> : « إنما زاد في لالتفق بها عن الثنائي أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل لتفق أن يكون الفعل الذي قلت إنه كان الأول قد كان من الثنائي دون الأول ، فالمعنى بعدها يسكون مما ياتي بعد المخاطب ، والثابت قبلها ي تكون منفيأً عذمه ، أي أنها تفيد عكس ما يعتقد المخاطب ، ولا يزتى بها إلا لذلك ، قال<sup>(٤)</sup> : لا آخرى أن ليس المقص في قوله جاءنى زيد لاعمره ، أنه لم يكن من عمرو بمحى ، إليك مثل ما كان من زيد ، حتى كأنه عكس قوله : جاء فى زيد وعمره ، بل المعنى أن الجنائى هو زيد لاعمره ، فهو كلام قوله مع من يناظر في الفعل قد يكون من هذا ، فيفهم أنه كان من ذلك .

(١) الرجع السابق ٤٤

(٢) دلالات القرآن كتاب ص ٩٠ - الطبعة الأولى ١٣٩٩ / ١٩٧٩

(٣) الرجع السابق ٩٥/٩٤

(٤) بداية كلام عبد القاهر ، انظر دلائل الإعجاز ٢٥٩

« والنكبة أنة لا شبهة في أنة ليس هنا جاثيان ، وأنه ليس إلا جاء واحد ، وإنما الشبهة في أنة ذلك الجاني زيد أم هررو ، فأنتم تتحققون على المخاطب بقولك جاءني زيد لاعزو ، أنة زيد ، وليس بعمو » .

ثم عقب عليه فقال<sup>(١)</sup> : « وهذا التحديد الذي ذهب إليه عبد القاهر في مقام استعمال « لا » يـ كـانـهـ أـخـرـجـهـ غـيرـهـ بـحـارـةـ تـحـدـيدـ مـنـاتـ « بلـ » وـ « لـكنـ » وـ لمـ يـكـنـ لـهـ ذـيـ عـدـ القـاهـرـ مـاـ تـوـكـدـ هـذـاـ الـزـعـمـ فـيـ تـحـدـيدـ الـقـامـ ، وإنـماـ اـهـتـمـدـ عـلـىـ عـاصـبـ إـلـىـ الـقـلـبـ مـنـ الـصـوـصـ ماـ تـوـكـدـ هـذـاـ الـزـعـمـ فـيـ تـحـدـيدـ الـقـامـ ، وإنـماـ اـهـتـمـدـ عـلـىـ عـاصـبـ إـلـىـ الـقـلـبـ مـنـ الـلـهـيـ ، وـ هـذـاـ لـيـسـ أـصـلـ مـنـضـطـبـلـاـ فـيـ كـلـ حـالـ ، وـ قـدـ يـعـدـ بـهـ فـيـ الـاسـحـانـ ، أـمـاـ فـيـ تـحـدـيدـ الـقـامـاتـ ، وـ أـنـ يـقـالـ : إـنـكـ لـأـقـلـ كـذـاـ إـلـاـ فـيـ مـقـامـ كـذـاـ ، وـ أـنـ الـأـصـلـ فـيـ ذـكـرـ هـوـ مـاـ يـسـبـقـ إـلـىـ الـقـلـبـ مـنـ الـدـعـيـ فـذـكـرـ لـيـعـلـوـ مـنـ تـحـكـمـ » .

ثم نقل كلام السبكي الذي يمترض فيه على الفرزوي - وقد ذكرناه من قبل<sup>(٢)</sup> - ، ثم عقب عليه مؤيداً كلامه ، فقال<sup>(٣)</sup> : « وهذا الرأي - كما ترى - يتعلّم طريق العطف من جذوره ، ويبيّنه منباب القصر ، وأجد في ذهني ميلاً إلى هذا الرأي ، وذلك لأمور :

منها : أنت لا تخصي هنا طرق القصر ، وإنما تشغل بالطرق التي يكشف البحث فيها عن دلائل معنوية ، وأسرار من الدلالة تفضي بها أدلة القصر في السياق البارع ، وحين تكشف لها هذه الدلائل والأسرار تجد الجملة مفرغة وسراً ومقاماً . ولست وأبداً شيئاً من ذلك في طريق العطف ، ولذلك نرى أن طبيعة

(١) دلالات التراكيب ٩٥

(٢) انظر ص ١٤٨، ١٤٩ من هذا البحث .

(٣) دلالات التراكيب ٩٦

البحث فيه كانت أقرب إلى تحديد الدلالة الأولية منها إلى التحليل النفسي للدمع.

ومنها : أنت إذا أردنا تأصيل بحث هذا الطريق في المصادر الأصلية محمد جذوره لاتصاله وإنما وجوهها بالترابة التي تعدد فيها جذور يقنة الطريق للذكورة .

تم اعتماد حل أستاذى الف كتور ( سيد حجاب ) فى البعث عن جذور دراسة القمر القديمة فلم يجدوه يذكر إلا كلمة القراء الذى ذكرها ابن فارس فى كتابه ( الصاحى ) - وقد أوردناها من قبل<sup>(١)</sup> .

ثم رجع إلى الإمام عبد القاهر فقال<sup>(٣)</sup>: « وبالناظر فيها قاله - أى الأمام - فـ « لا » تجد أنه لم يقصد إليها ، ولم يوجه إلى دراسة دلائلها ، لأنك ليس فيها شيء أكثـر من النـقـل والآياتـات - كـما يقول الشـفـيـكـيـ - ، وإنـا قـدـصـدـ إلىـ بـيـانـ دـلـالـةـ « إـنـاـ » تلكـ الـتـيـ تـفـقـيـ منـ أـحـلـهاـ كـلـ مـسـائـلـ هـذـاـ الـإـيمـانـ .

« فذ کر « لا » مثلاً یو ضم ید ». .

«فَ(نَا) قُبْدَ إِيمَانِ النَّفْلِ لِلشَّفَعِ» وَنَقَهَهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا جَاءَ فِيْ زَيْدٍ، عَقْلٌ مَمَّا أَنْكَ أَرْدَتْ أَنْ تَنْقِحَ أَنْ يَكُونَ الْجَانِيُّ غَيْرُهُ، فَمَنْ فِي الْكَلَامِ مُمْهَأ شَبَهَهُ بِالْمَعْنَى فَقُولَّتْ: حَاجَفَهُ ذِي الْأَعْمَادِ.

«هذا هو سبيل ذكر «لا» في كلام الشيخ، وهو - كأقلت - ممقو

(١) انتظر ص ٣٥ من هذا البحث .

دلایلات انتراکت

مثالاً ، يبيّن فيه دلالة «إغا» على الإثبات والنقض ، ولما كان الإثبات فيها ظاهراً ، والنفي ضميراً ، ذكر «لا» التي يرى فيها الإثبات والنقض ظاهرين : «ثم إن عبد القاهر أدرك الفرق في الأداء بين الطربين ، وأنه فرق في القيمة البلاغية ، فلما توقع في النفس الإيجاب والنقض معاً واحدة ، وفي حاله واحدة من الإدراك ، وذلت بخلاف «لا» فإن النقض والإثبات يدرك معهما في حالين ، وفرق بين طريق يرى بالمعنىين في القلب برميه واحدة ، وطريق ياتي به في حالين مختلفين .

«عبد القاهر يوحي هنا إلى سذاجة الدلائل في «لا» وأنها لا وجدة فيها ولا وجازة ولا إعاض .

«ثم نرى عبد القاهر بعد ذلك يقين حال الخطاب : «إغا» على حال الخطاب «لا» ، وكأن اعتقاد الخطاب عكس ما يدل عليه الكلام مع «لا» ظاهر أمره ، فلم يفلت ذلك أصلًا .

«والهم أنه لم يتكلم عن «لا» إلا حيث يريد أن يبين شيئاً في «إغا» (١) .

«ولهذا لازمها طريراً جديراً بالبحث في هذا الباب .

ونحن بعد استعراض كل ما قال إن ندخل في طريق جدال ومناقشة كل ما فعلنا مع الشيدين : محمد بن علي الجرجاني ، وبهاء الدين السبكي ؛ ذلك أن مقام الأسوادية محفوظ له .

ولقد تمددنا الإطالة من قبل في الحديث عن مقامات استعمال طريق التصر

(١) أهل أستاذى قد نسى أن هذه هي طريقة الإمام عبد القاهر فى بحثه .

بالاضافه من واقع الأساليب الأدبية ، حتى يكون هذا الأمر كافٍ لنا في الرد على حديث سزاجة الدلالة في هذا الطريق - أعني (لا ، ويل).

أما (ل لكن) التي يجدها الشيخان محمد بن علي الجرجاني، وبهاء الدين السبكي قد كفأني أسوادى الدكتور محمد أبو موسى - وهو صاحب فضل دائم - الحديث والخلاف والدفاع حولها حيث قال<sup>(١)</sup> : « وليس هناك خلاف في أن قوله : ماجا، زيد ل لكن عمرو ، يعني ثنى الحسين عن زيد قطماً، وإنما أنه عمرو ولم يكن حال المقصوب منها كله مع بل في الخلاف الذي ذكرناه، وذلك لسفرة دوراهما في الأساليب الفصوحية بعد النفي، قوله تعالى :<sup>(٢)</sup> (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ول لكن رسول الله) يعني ثنى أبوة محمد عليه الصلة والسلام لزيد، وإنيات الرسالله ، وهو قصر قلب ، كما يقول الدسوقي ، لأن المشركين أمنة الله عليهم كانوا يعتقدون فيه الأبوة لزيد ، وفى الرساله عنه فتاب المولى عليهم اعتقادم .

« والنسر المزاد : « ل لكن » الواقعه بين جملتين كثفولك : قلت لك هذا ل لكنك لم تلتفت إليه ، وزيد فعل ذلك ل لكنك لم يرض عنه إلى آخر هذه الأساليب ليس من النسر الاصطلاحى لأنه مناد من جملتين .

« وينظر في كلام كثير من البلاغيين أن « ل لكن » تكون نصر القلب . قال ابن بعتوب : « ول لكن » نلذبات بعد النفي كاجاء زيد ل لكن عمرو ، ردًا على زعم أن زيدًا جاء دون عمرو . وهذا هو المهموم من تحتميل المفاج والإيصال .

(١) دلالات القراءات كتب ٩١ - ٩٣

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٤٠

« وقال سعد الدين والمذكور في كلام النساء أن لكن في نحو : ماجانى زيد لكن عمرو، لفهم المخاطب أن عمراً أيضاً لم يجيء كريده، بناء على ملابسية بينهما، وملامة، لأنها للأسدراك وهو دون توم يقوله من الكلام المتقدم دفأ شبيها بالاستثناء، وهذا صريح في أنه إنما يقال ماجانى زيد لكن عمرو لمن اعتقد أن الحنى مختلف عنهما لأن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو على ما وقع في المفاجأة، وأما أنه يقال لمن اعتقد أنها جاءاك على أن يكون قصر إفراد ثم يقل به أحد .

« وبيان هذان من كلام النساء أنك حين تقول : ماجانى زيد يقوله سالمك أن عمراً أيضاً لم يجيء، لأن هناك ملابسية ما بين عمرو وزيد بحيث يسد الوجه لأنكدهما ما أسد الافتراض للأخر فترد ذلك بقولك لكن عمراً فتقطع هذا الوجه وتتصفح الخبر عند السامع، وهذا هو معنى الاستدراك الذى فسروه تفسيراً دقيقة بتولهم « هو رفع توم يقوله من الكلام المتقدم رفما شبيها بالاستثناء »، وهذا تحليل دقيق للأسلوب وتفهم للأحوال الشعورية وما تقصيه من كلام حق تستقيم النكتة على هيئتها الصديحة، وهذا الوجه الذى يosoس بني الحنك عن ما يبدى لكن يصير المخاطب به كأنه يعتقد ذنب الفعل عن كل يومما، لأنه سمع ذنبه عن الأول من الجلة السابقة لكن، وتوم ذنبه عن الثاني للملابسية بينهما، وبذلك يكون إنذارات الفعل لما توم ذنبه منه من قصر الأفراد، الذي ترى فيه المخاطب معتقداً الشركه في التفافي لباقي الإثباتات، كما هو حال قصر الأثواب مع غيره لكنه وبهذا تحقق لنا مقامان لاستعمال لكن في القصر .

الأول : ماذكرة البيهانيون من أنها تكون أن اعتقد أن الفعل ثابت للأدل ومنفي عن الثاني ، وهذا الوجه هو المذكور في المفاجأة والآيات على حد مايندا .

والثاني : ما ذكره النحاة وهي أنها تكرون لمن اعتقدت بني الفعل [ منها اعتقاداً ]  
منشؤه الوجه الذي يقوله بعد شائع نفي الفعل في الكلام السابق لها .

« قال الدسوق : أما « لكن » فاستعمل الآيات بعد لغتي لتصور القلب  
فقط عند البيانين أو لتصور الأفراد فقط عند النحاة .

« وقد شرحنا مفهوم الأفراد منها ، وهذا لا ينافي فرض كلام الدسوق مع قول  
سعد الدين : « أما أنه يقال لمن اعتقد أنها جاءتك على أن يكون قصوراً لأفراد  
فلم يقل به أحد ، وإنما الوجه في ذلك أنك لست في حاجة إلى أن ثبتي ما يمدها  
لأنه ثابت عينه ، ويكتفى أن تخبر بيها فتفتول : لم يأت عمرو » .

وبعد : فإنني أتعي أن يكون حديث أستاذى عذاؤ موسى هذا من « لكن »  
تراجعاً عن تعميمه على رأى السبكى الذى سبق أن ذكرناه له ، حتى أتفق بذلك  
عن التناقض .

وإله من وراء القصد .

## الفضل الرابع

### القصر بطرق التقسيم

إذا كان الإمام عبد القاهر قد قال في تفسير قوله أهل النظر: (إن الماء لا يزيد ولا يزيد الألفاظ)<sup>(١)</sup>: « لما كانت الماء إنما تقوى بالألفاظ، وكان لأسهل المرتب لها، والجامع تحملها — يريد الأديب — إلى أن يدرك ماصنع في ترتيبها فنكرة إلا بترتيب الألفاظ في معناه، ثم يزوره فنكروا عن ترتيب الماء بترتيب الألفاظ ». .

وإذا كان قد أكد على هذا المعنى — في موضع آخر — من كتبه (اللائق بالإعجاز) فقال، وكأنه يحدّث الأديب — أو يهدّثه —<sup>(٢)</sup>: « إذا فرغت من ترتيب الماء في نفسك لم تخرج إلى أن تستأنف فنراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدتها تترتب لك بمكانتها خدم للماء وتابعة لها ولا حقّة بها ». .

أقول: إذا كان الإمام عبد القاهر قد قال ذلك فإن الأديب عندما يقدّم شيئاً هو بالقواعد الأسلوبية المطبقة مؤخراً يكون — بالقطع — قد لفت الانتباه إنّا قرابة ترتيب معانيه وتناسقها ، ومن ثم أحاسيسه وانفعالاته وهو يخطئ عن قرب . .

ومن هنا يتعبر القصر بهذا الطريق حجر الزاوية في الكشف عن الصدق الفي

(١) دلائل الإعجاز ٥٠، ٦١

(٢) المرجع السابق ٤٤

والفناشق الفق ، والجلود الغليظة في التعبير الأدبي ، ذلك أن الدالل يستطع  
ـ بوضوح ـ كشف تجاوب نمائى الأديب وآفكاره مع مشاعره وأحلاته  
عن خلال ما يعرض من المفاطر .

ومن هنا أيضاً كان لهذا الطريق سعره في توصيل للغاف ، حيث تحمل عائلة الشاعر - أسرع ما يمكن - بساطة من يستمع إليه إنرقة تقديم البارعة التي سبق الأشارة إليها .

ولنقرأ في هذا المقام قول **الكتابي** في مدح يحيى حاشم :

طر بت و م ا شو قاً إل ى ال ب هن . أ طرب  
ول كن إل ى أ هل ال فنا ثل وال نه  
يال ل ال فنر ال ب هن ال دين يع جهم  
ب نى حاشم ر حط ال دى فانى

هذه بداية قصيدة السكوت في مدح بن هاشم رحمه الله تعالى وسلامه ،  
والقصائد العربية حتى عصر هذا الشاعر تبدأ بالسبب ، والشاعر بدأ بالسبب  
الظاهر به الذي يعرض فيه حبه ودهنه ، وهو مستدرك على مشتمله من أول  
الأثر أن يذهب عالمي إلى حدوث المأمور بين الناس فيقول : (خط حقوقية) *رب*  
وهو ينوق إلى البيض أطرب ) ، وفي ذلك يلاحظنا الناس لكنه سوء ، مبيناً أن  
هذا المطلب الذي نشاهده كان يجب أن يكون معروفاً لهم (أذ وسبب؟) ،  
كما يؤكد بالجملة الأسطورة كلام المترمع في البيت الثاني (ولتكن إلى أهل  
التعمال واللهم خير بي حوار)، ثم يعلن أنه بهذا المطلب الذي شاءت مفاجأة  
وحشائش نفسه يقترب إلى الله سبحانه ، وبهذا المطلب أيضاً يدفع إلى التكاده  
للمرة بعد المرة فيقول : ( بعثهم إلى الله أنقذ - بهم ولم أرضي مراراً  
وأغضباً ) .

والظاهر في هذه الآيات يلاحظ أن الشاعر قد قدم حديث جه لخط الله صلى الله عليه وسلم حديث الآخر المعروف لدى الحسين، وهو حديث الشوق والهمام بل حديث المقصة والسعادة التي تأخذ الحبيب إلى حيث مرتبة الهموم والآلام والاستخفاف بكثير السن والتزول مع من يحب إلى القبوط والتبدل، وهذا كله ينفلل المستمع إلى حديث عواطفه وأحاسيسه، أفعى حديث الحب في داخله وبين حبابه، ومن هنا يكون سحر توصيل للذافن في القصر بطريق التقديم، فتضليل عن النهاية الفقير الكلمات في تقديم للعمول (شوقاً)، والماء على بعرف المطفف « لا »، مع إبراز للمطوف في ثوب للقدم أيضاً في قوله (ولا ليها مني)، نلحظ أن الشاعر يجذب المستمع إلى تصديق هو عاطفة وأحساسه عن طريق إثارة أصداء تجاريده في الحب، وهذا هو مصدرو الحال، وجعل الرضا ولقتمه لدى من يخلق العمل الأدبي، يقول الدككور شوق شيفت<sup>(١)</sup> : « إذا كما نشعر بضرب من الرضا حين تكتسب خبرة عارضة في الحياة ، فإن رضانا عن التجربة الفنية يكون أينما غوراً لأنه يتداول خير انتها النسمة الداخلية ، وينفذ إلى خيبتها ومكتونها .. ». .

وإذا كان هذا هو حديث التذوق الغنى في تقديم المقبول (شوفا) على فعله وفاعله (أطرب) فإن في أبيات الشاعر كثيراً من صور القسر بطريق التقديم أيضان ذلك أنه قد قدم المفروقات «بِعِبْرِهم - إِلَى الْهُنَّ - هُنَّ» عن مواقيتها الأخيرة في الكلام ، والقسر بطريق التقديم لا يسكون إلا في التقديم الذي حقه الفائز عند عبد الناصر ، والشاعر بما قدمه من هذه المفروقات يقود السمع إلى الاعتراض على حديث جهه لرهط النبي صلى الله عليه وسلم «ذلك أنه يملن المستمن - أو كل يمرك حواطف المستمن وأحاسيسه - أن هذا هو طريق التقرب إلى الله ، وأنه هذا السبب يدفع إلى السكارة والشتان .

(١) انظر كتابة (في لغة الأدب) ص ٨٦

وأساليب القسر في الأبيات من قبيل تصر الصفة على الموصوف أى قسر  
الأفعال على : الشوق ، الحب ، أله ، ضمير بني هاشم .

والمقصود عليه في هذا الطريق هو النفي للنفي ، ودلالة القسر بهذا الطريق  
دلالة ذوقية بخلاف غيره من الطريق الأخرى المقيدة للقسر دلالاتها وضدية عن  
طريق الأدوات ، فالطريق الأول - أعنى النفي والاستثناء - يقيد القسر عن  
طريق (ما وإلا) ، والثاني يقيده بالآداة ([إما]) ومثله الطريق الثالث حيث  
أدوات المطفف (لا ، بل ، لكن)

ومقام استعمال هذا الأسلوب كأثرنا خلال تحليل الأبيات السابقة وتقديرها  
هو بيان مكانة هذا النفي المخصوص للنفي ، وإبراز أهميته من طريق جذب السمعتين  
إليه بطريق ساحر ، يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٢)</sup> : « وأعلم أن لم نجدهم اعتمدوا  
فيه شيئاً يجري بغير الأصل غير العناية والاهتمام » .

ويستخدم الأديب لموافقة هذا المقام :

تناسق الدلالات الفنية للسكلبات ، وحسن رصتها ، وقوة إيجابيتها ، حتى  
يسقطون بذلك أن يوقع النفي للنفي موقعاً حسناً منهداً للقسر ، فينشر رواهه  
على ماحوله ، ويكتسب الأسلوب إيجازاً ، ويتم به العنايق الفنية للأسلوب  
الأدبي .

يقول الإمام عبد القاهر عن أسلوب التقديم<sup>(٣)</sup> : « هو باب كثيرو الفوائد »

(١) دلائل الإعجاز ٨٤

(٢) دلائل الإعجاز ٣٣

جِمْ إِطْهَابِنْ ، وَاسِمُ التَّصْرِيفِ ، بَعْدَ الْوَالِيَةِ ، لَا يَرِيَلْ يَقْتُرْ قِيَتْ<sup>(١)</sup> عِنْ بَدِيَّةِ ،  
وَيَنْسِي بَكْ إِلَى طَبِيَّةِ ، دَلَازِي تَرِي شِيرَاً بِهِ وَلَكْ مِسِيمَهِ ، وَيَلْطَفْهُ بَكْ بِهِ وَقِيَهِ  
ثُمَّ تَنْظُرْ تَغْبِيدْ سَبِّبْ أَنْ رَانِكْ وَلَطَّاً عَنْدَكْ أَنْ قَدْمَ فِيهِ شِيَهِ ، وَحُوَّلَ الْفَاظُ عَنْ  
مَكَانِ إِلَى مَيْكَانِ<sup>(٢)</sup> .

وَالْقَدِيمُ الْفَقِيَهُ - فِي حَدِيثِنَا - يَشْمَلُ تَقْدِيمَ مَاحِفَةِ التَّأْخِيرِ - كَمَا هُوَ مَعْدُ الْإِلَامِ  
مَهْدَ الْقَاهِرِ - مِثْلُ تَقْدِيمِ الْأَخْبَارِ مَلِيَّ الْمَبْعَدِ أَفْقُولُ أَفَهُ عَنْ وَجْلِ<sup>(٣)</sup> (الْسَّكِينَ دِيَكَ دِلِّ دِلِنْ)  
وَتَقْدِيمُ الْفَسْوَلُ عَلَى الْفَقْلِ وَالْفَاعِلِ مَثْلُ قَوْلُ الْكَبِيرِ السَّابِقِ (وَمَا شَوَّهَ إِلَى الْبَيْهِيْنِ  
أَطْرَابُ ) وَقَوْلُ أَفَهُ سِبْحَانَهُ<sup>(٤)</sup> (إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ) ، وَتَقْدِيمُ مَاجَهُ عَلَى  
أَمْهَدِ الْأَقْدَى يَسِيبُ أَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ لَمَّةُ الْأَخْصَاصِ وَالْقَسْرِ ، مَثْلُ قَوْلِهِ سِبْحَانَهُ<sup>(٥)</sup>  
(وَسَأَأْتُ عَلَيْهَا بِعِزْزِ) وَقَوْلُهُ عَنْ وَجْلِ<sup>(٦)</sup> : (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرِدُوا عَلَى الْغَفَّاقِ  
لَا يَعْلَمُهُمْ بَعْنَ نَعْلَمُهُمْ) .

وَهَذَا النَّوْعُ الْآخِرُ - أَعْنَى التَّقْدِيمَ الَّذِي جَاءَ عَلَى أَسْلَهِ - إِنَّمَا ذَكَرَهُ  
الْبَلَاغِيُّونَ فِي مَبْهَثِ التَّقْدِيمِ الْمَهْدِيِّ لِقَسْمِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْسِيْنِ. مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ يَسِيبُ  
أَنَّ السَّدِيدَ إِلَيْهِ التَّقْدِيمُ مُتَحَدٌ مَعَ الْفَاعِلِ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ الْفَعْلُ الْآخِرُ فِي الْمَقْعِدِ .

هَذَا ، وَسَنَقْمَ درَاسَتَنَا حَدِيثَ الْقَسْرِ بِطَرِيقِ التَّقْدِيمِ إِلَى :

- ١ - الْتَّقْرِيرُ الَّذِي طَرِيقُهُ التَّقْدِيمُ مِنْ جَزْأِيِّ الْجَلَةِ .
- ٢ - الْقَسْرُ الَّذِي طَرِيقُهُ التَّقْدِيمُ فِي مَهَافِقَاتِ الْجَلَةِ .

(١) يَنْتَرِي : يَكْشُفُ ، جَاءَ فِي حَدِيثِ الْمَعْرِفَةِ أَنَّهُ قَالَ لَابْنِ عَيَّاشِ : كَانَ يَلْتَهِ  
مَنْكَهُ الْأَثْيَادِ - كَرْهَتْ أَنْ تَأْرِكَهُ عَنْهَا ، أَيْ أَكْدَنِكَهُ .

(٢) الْآيَةُ الْآخِرَةُ مِنْ سُورَةِ الْكَافِرُونَ .

(٣) سُورَةُ مَاحِفَةِ الْكَتَابِ الْآيَةُ : ٥

(٤) سُورَةُ هُوَدِ الْآيَةُ : ٩٦

(٥) سُورَةُ تَوْبَةِ الْآيَةُ : ١٠١

**أولاً : التقدير بين جزأى الجملة :**

(١) تقدیم لاستد:

ذكى الملايين من عدوه دوام اهتمام المستند منها : —

\* تنبئه السادس إلى أن المند المقدم خبر للمند إلى المتأخر يضم معاذه وذلك  
إذا كان الأدب ردًا على اضطرار مصمون الجلة الاستاذية في مقام مدر أو فم .

لهم إلهي لا إله غيرك سكانها وحده الصفرى أجل من المهر

فهو يريد تعظيم مددوه بأنه أعظم الحلة، بل المهم، فهو ليس كذلك،  
العقلاء نتها، وإنما هو أعظم العطاء، ذلك أن همة الصقرى أجل، من الدهر شأنها  
وأقوى منه يأساً، ولقد قيل إن قاتل هذا الديك هو حسان بن ثابت في مدح  
رسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، ولقد صدق حسان، لمن كان قد قاله  
رسول الله أعظم العطاء، من الخلق، بل هو سيد الأولين والآخرين.

والجملة الاستنادية - موضع الشاهد - هي قوله (له هم) حيث قدم الشاعر الخبر  
(المقد) - له - على المبعد المذكر - هم .

وَمِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ: فِي النَّاسِ أَمْثَالٌ تَدْوِي حَمَاسًا كَعَنْهَا، وَمِنْهَا كَعَنْهَا

(١) نسب هذا البيت لحسان بن ثابت في مذبح رسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر الدكتور محمد عبد السلام خاتمي أنه يذكر ابن الطاظ في ابن دلت راجيم الجزء الثاني من شرحه لإنشاش الفوزاني، ط ١ سنة ١٩٤٦ م.

ف الشاعر هنا - المتنى - يزيد ذم أعداء مذوسيه أبي أيوب أحد بن حران ، والتمر عرض بهم ، وهذا باب آخر للدج غير الباب الذي سلكه حسان بن ثابت فيما نسب إليه من البيت الذي شرحته آنفاً ، أقول يزيد الشاعر بأن يتمم أعداء مذدوجه وعرض بهم وبين أنهم أموات رغم أن صورتهم صورة الأحياء ، ذلك أنه لا أثر لهم في هذه الحياة .

والجملة الاستنادية - موضع الشاهد - هي قوله : في الناس أمثلة .

\*\* التشوّق إلى ذكر المسند إليه مثل قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بوجهها شمس الصبح وأبو إسحاق والقمر

حيث قدم المسند (ثلاثة) ووصنه بوصف يمحى به هواطف الساعي وهو الجلة (بشرى الدنيا بوجهها) التي دفعت إلى التشوّق إلى ذكر المسند إليه الممدد في الشرط الثاني من البيت .

\*\*\* الفتاوى يقتديم المسند مثل قول الشاعر :

سدت ببرة وجهك الأيام وزينت بلقائك الأعوام

حيث تقدم المسند والقرن وتبنيهما إلى الزمن (الأيام - والأعوام) مما ينبع في نفس الطابعية ، ويدخل عليها الآنس ، ويبيّن فيها الرأحة بخلاف الشاعر الذي قدم المسند من أجل أن يجعل بالإعلان عن حزنه وألمه فقال :

ومن نسك الدنيا على المطر أن يرى

سدواه ما من صدقة ليه

يقتديم المسند الجبار والجبور (من نسك الدنيا) - على المسند إليه - المصدر

للزوج : أن يرى

— و اختيار المواد المفوية : نكدة ، رؤبة ، عدو ، صدقة ، بد كل ذلك  
يبلغ أبعاد الفواد ، وحشاثة النفس في التعبير عن الحزن .

\*\*\*\* ولكن أكثر ما يكون تقديم المسند على المسند إليه لإفاده التفصيع  
مثل قوله سبحانه من يمث الخلاق يوم القيمة<sup>(١)</sup> ( يوم تشقى الأرض عليهم  
سراماً ذلك حشر عليها يسير ) فتقديم الجاز والمحرر - عليهما - على المسند إليه  
يسير - يقين القسر ، يعني أن يمث الخلاق وجعلهم للحشر والحساب يوم  
الدين ، ذلك الأئم العظيم يسير على القادر العظيم فقط ، فالقسر قصر صفة  
على موصوف .

ومثل ذلك أيضا قول الحق جل وعلا<sup>(٢)</sup> ( لسكم دينكم ولـ دين ) فالقسر  
في الجلتين من قبيل قصر الصفة على الموصوف ، أي صفة الشريك على السكارى  
في الجلة الأولى ، وصفة التوحيد على المؤمنين في الجلة الثانية .

وقد تباهى من قبل أن بعض علماء البلاغة يعتبر في الجاز والمحرر مقلدة  
النحوى - أعني تقدير كائن أو مفتقر - ومن هنا فإنه يستثير منه معنى الصفة  
ويحمل القسر من قبيل الموصوف على الصفة ، فيقول مثلا في تعابير الآية السكرية  
السابقة ، دينكم مقصود على الانصاف يكتونه لـ ك لا يتجاوزه إلى الانصاف  
يكتونه لـ ، ودبي مقصود على لا علـيك .

وامل هؤلاء المذاه يأتون بالسكاكى الذى يحافظ على اعتبار التسلق النحوى

(١) سورة ق الآية : ٤٤

(٢) الآية الأخيرة من سورة السكارى .

— ٧٠ —

حيث قال في الآية الكريمة<sup>(١)</sup> (إن حسابهم إلا على رب) <sup>(٢)</sup> : « ممنهم حسابهم مقصود على الانجذب بعل رب لا يتجاوزه ظل أن يتصف بعل » .

وفي اعتقادى أن الخاتم على السياق والمقام الذى ذكرته في مطلع تحمله أول أسمية القمر هو المقياس الأولى للاتباع فإذا كان الاهتمام موجوداً إلى الصفة كان القمر قمر موصوف على صفة ، وإذا كان الاهتمام موجوداً إلى الموصوف كان القمر قمر صفة بعل موصوف ، والرغمى يطبق ذلك تاليقاً جيداً على أعلى النصوص بياناً وفصاحة وهو القرآن السكري ، فيقول عن الآية الكريمة<sup>(٣)</sup> (وَلَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) <sup>(٤)</sup> : أي يختص به علم ما غاب فيما عن العياد وخفى عليهم عليه ، أو أراد بغيب السماوات والأرض يوم القيمة على أن عليه غائب عن أعلى السماوات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم ، في قوله : « يحيط به » إشعار بأنه يحيط الآية من قبل قهر الصفة على الموصوف بذلك أن اهتمام الآيات مذهب على الإهداه بالألوهية بقد الروايد للنها ، فالآيات من قبل هذه الآية الكريمة ومن بعدها تعلم من الله عز وجل أنهم إعلان وأن الله الجدير بأن يلتفتوا إلى عباداته وينتموا عن عبادة غيره يقول الله عز وجل قبل الآية موضوع حديثنا في معرض الاهتمام بذاته الآية : (وَإِنَّ خَلْقَكُمْ تَمَّ بِوَهْنِكُمْ ...) ... واقف فضل يمضك على بعض في الرزق ... ، واقف جعل لكم من آفاقكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجاكم بعث وحفده ، ورزقكم من الطيبات ، أفيما ياطل يومئون ، وينسم الله هم يكفرون).

ويقول بعد الآية - موضوع حديثنا - مستهراً بجدارة ذاته للطيبة بأحقية

(١) سورة الشورى الآية : ١٢٣

(٢) مفتاح السبع :

(٣) سورة النحل الآية :

(٤) البشارة ج ٢ / ٤٣١

العبادة إنما الصلاة : (وَلَهُ أَجْرٌ جُنُكٌ مِّنْ يَطْوِنُ أَمْهَاكُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَلَّ أَحْكَمُ  
البَسْحِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَيْمَدَةَ لِمَنْكُمْ تَشْكُرُونَ ، أَلْمَرِبِرِوا إِلَى الْوَاهِبِ مَسْدَرَاتِ فِي جَوَّ  
السَّجَاهِ مَا يَسْكُنُ إِلَّا اللَّهُ) ، إِنْ فَذَلِكَ لِآيَاتِ الْقُوَمِ يُؤْمِنُونَ ، وَلَهُ جَلَّ لِكُمْ مِّنْ  
بَيْوَتِكُمْ مَكَانًا ... وَلَهُ جَلَّ لِكُمْ مَا خَلَقَ طَلَالاً ... كَذَلِكَ يَمْ بَعْثَهُ  
عَلَيْكُمْ لِلْسَّكِينِ تَسْلُونَ ) .

ولعلنا نامح آخر الآية التي أنهت تعداد النعم لنرى فيها التعميل الذي يصدق  
وجهة نظرنا بأن الاعداد في آية القصر التي هي موضوع حديثنا ذات الموصوف  
من أجل هذا يكون القصر في الآية ( وَلَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) من قوله  
قصر الصفة على الموصوف .

ويقول الزعبي في الحديث عن الآية الكريمة<sup>(١)</sup> ( هَا مَا كَبِيتْ وَعَلَيْهَا  
مَا كَنْبَتْ ) ؛<sup>(٢)</sup> « يَقْعِدُهَا مَا كَبِيتْ مِنْ خَيْرٍ وَيَضْرُهَا مَا كَنْبَتْ مِنْ شَرٍّ  
لَا يُؤَاخِذُ بِذَنْبِهَا غَيْرُهَا ، وَلَا يُثَابُ غَيْرُهَا بِطَاعَتِهَا » .

فمن خلال هذا الحديث نجد الزعبي يرافقه متعلقاً بالهار والغير والقدر ،  
ويبني عليه محور حديثه من حيث الشفاب والمقاب ، فالكتاب والاكتساب  
(الموصوف) مقصود على الانتصار بكونه من خصائص النفس لا ينبعها إلى  
غيرها ، أو على حد تعبيره ، يَقْعِدُهَا مَا كَبِيتْ مِنْ خَيْرٍ وَيَضْرُهَا مَا كَنْبَتْ  
مِنْ شَرٍّ ، لَا يُؤَاخِذُ بِذَنْبِهَا غَيْرُهَا ، وَلَا يُثَابُ غَيْرُهَا بِطَاعَتِهَا ، فالقصر هنا قصر  
موصوف على صفة ، واختصار الآيات أيها مركز على الصفة وهي تحديد جزاء

(١) سورة البقرة الآية الأخيرة

(٢) السكاف ج ١ ص ٤٠٨

ما يقدمه الإنسان من أعمال صالحة أو طالحة أو مابكثه في نفسه من شرور أو مخاصي أو مطاعات ، يقول الله عن وجل قبل هذه الآية (فَمَا فِي السَّجَدَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ تَهْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تَعْنَوْهُ بِعِصَمِكُمْ بِهِ اللَّهُ أَمَا بَدَّ هَذِهِ الْآيَةُ — مَوْضِعُ حِدِّيَّنَا — فَإِنَّ الْأَوْتُ عَمِّشَاهُ مِنْ أَنْ تَنْوِيْهَ إِلَى اللَّهِ بِدِمْ المَوْاخِذَةِ عَلَى الْمَحَاسِيِّ الَّتِي وَقَتَّ خَطَاً أَوْ نَسِيَّانَا ، وَعَلَى النَّذُوبِ الَّتِي تَقْتُلُ كَاهِلَ الْمَحَاسِيِّ وَتَبْعَدُهُ يَتَوَهُ بِعَمَلِهَا ، كَمَا تَدْعُونَا الْآيَاتُ أَيْضًا إِلَى أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَلَا يَكْفُدُنَا بِمَا لَمْ نُطْلِقْ مِنَ الْكَالِيْفِ الشَّاهِقِ الَّتِي كَافَّ بِهَا الْأَمْمُ قَبْلَنَا ، ثُمَّ عَاقَبُوهُمْ عِنْدَمَا عَجَزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِهَا لِمُشَفَّهَتِهَا ، ثُمَّ أَخِيرًا تَرْكُوا الْآيَاتَ عَلَى أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ فِي الْأَمْرِ كُلُّهَا ، ثُمَّ تَخْتَمُ بِطَلَبِ النَّصْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، تَقُولُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ ( رَبِّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ نَسِيَّاً أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبِّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا إِنْرَأْ كَمَا حَمَلْنَا عَلَى الْقَرِبِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَرَبِّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةَ لِنَا بِهِ ، وَاعْفُنَا ، وَاغْفِرْ لِنَا ، وَادْحِنْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ) .

فَاهْتَمِ الْآيَاتُ — كَمَا أَشَرْنَا — مِنْ صَبْرِ عَلِ الْاِتِّصَافِ بِكَوْنِ النَّسْ مَحَاسِيَةً عَلَى مَا يَقْدِمُهُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحةً أَوْ مَالِسَةً ، وَذَلِكَ تَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهَا وَيَغْفِرَ لَهُنَّا .

وَمَنْ يَدْعِ إِذَا لَاحَظَنَا تَطْبِيقَ الزَّعْشَرِيِّ عَلَى نُصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَوَجَدَنَا نَاهِيًّا لَابْتِرِ إِلَى السَّيَاقِ طَرِيقًا لِتَحْدِيدِ نُوْعِيْهِ الْقُصْرِ يَعْنِيْنَا أَنْ تَقُولَ إِنْ مِثْلُ هَذِهِ الْأَسَالِيْبِ يَكُنْ أَنْ تَأْتِي قُصْرَ صَفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ وَقُصْرٌ مَوْصُوفٌ عَلَى صَفَةٍ حَسْبَ حَقَامِ الْكَلَامِ وَغَرِبَ لِلشَّكْلِ وَاهْتِمَامِهِ .

وَمَنْ يَدْعِ بِهِذَا مُخَالَفَ الْكَلَامِ وَمَنْ لَفَّ لِفَةً فِي جَمْلَ جَمِيعِ أَمْثَالِهِ هَذَا الْوَقْتُ مِنْ قَبْلِ قُصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصَّفَةِ .

على أن الزمخشري قد ذكر أن صورة تقديم المسند المديدة للخصوصيين لا تتوافق عند حد الجمل المتباينة، بل تتعدّاها إلى غيرها من الجمل المتباينة حيث قارن صدد جديته من الآية الكريمة المعهدلة من القرآن الكريم<sup>(١)</sup> (أم ذلك الكتاب لاروب فيه) تأثير الحمار والمحبوب فيها يعتقد في الآية الكريمة المتهدلة عن تحضيل خر الجنة على خر الدنيا<sup>(٢)</sup> (لأنها غول ولا معبتها ينزفون)<sup>(٣)</sup> فقال<sup>(٤)</sup>: «فإن قلت: فهلا قدم الظرف على الريب — كأنم الغول في قوله تعالى— لأنها غول— قلت: لأن النهد في إبلاء الريب حرف الباء، تقى الريب عنه، وإنيات أنه حق وصدق، لا باطل و كتب كما كان المشركون يدعونه، ولو أول الظرف اقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتباً آخر فيه الريب لأنها، كما قصد في قوله — لأنها غول — تحضيل خر الجنة على خور الدنيا بأيمانها لانتفال المقول كما تمقاتها هي كأنها قبل: ليس فيها ماف غيرها من هذا الريب والتقيمة».

والقصر في الآية الكريمة (لأنها غول) قصر موصوف على صفة، أي عدم الغول مقصور على الانتساب بأنه في خور الجنة لايتجاوزه إلى عدم الحصول في خور الدنيا.

(ب) تقديم المسند إليه :

ذكر البلاغيون عدة دواعي تقديم المسند إليه منها :

(١) سورة البقرة الآياتان : الأولى وكذا الثانية .

(٢) سورة الصافات الآية ٤٧

(٣) نزف الشارب إذا ذهب عمه من سكره ، ويقال السكران نزيف ومتزوف

(٤) الكشاف ج ١ / ١١٤ ، ١١٥

« إن الأحق بخواص تقديم الشفاعة إليه ، ولا يتحقق التحول عن هذا الأعتل مثل قوله سبحانه : ( ) (عَمِّرْ رَسُولُ اللَّهِ وَالذِّيْنَ مَعَهُ أَشْدَى مِنَ الْكَفَارِ دَيْنَهُمْ )  
هَلَامِ الْكَرْمِ الَّتِيْنَ هُوَ الشَّفِيدُ إِلَيْهِ الْمُقْرَبُ ، وَلَا يتحقق التحول عن هذا  
التحريم ، بل قد تتحقق هذا التقديم بالتكريم عرض المطالبة على الله عليه وسلم  
وَلَامَانَ أَنْ يَكُونُ سَهْلًا لِلْأَعْتَلِ عَزْمٌ بِلَاطِئٍ كَمَا يَقُولُ الْمَالِيُّ .

\* تمكين الخبر (المسته) في ذهن السامع، وذلك حيث يكون الشند إليه متبرأً للدعاة مثل اسم الموصول الذي صلة غريبة طرفة مشوقة ، في قوله: أفي العلا للنبي:

بيان أمر الإمام والاختلاف الذي سُقِّطَ إلى ضلالٍ وعاد  
والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جاد

وقد ذكر السكاكى البيت التالى: «وجهه النظر إلى أن مجىءه المستند إليه اسم موصول مع هذه الصفة داع إلى أن يتوجّه ذهن السامع إلى ما يشير به عذه متضمناً لورده عليه حق يأخذ مكانه من ذنه إذا ورد»<sup>(2)</sup>، وأبو القلاط المجرى يتحدث فعلاً عن قضية تغيرت الحالات فيها وهي المقادير المحسنة للأبدان بعد موتها، كيف تحيى مرة أخرى، وخبر اسم الموصول ذي الصلة الطرفة المشوقة

٧) الآية الأخيرة من سورة الفتح .

(A) محتاج المعلوم ص ٢٧٩، ومثل هذه الآليات قوله تعالى في رثاء عبدة الجولي :  
 غالبة الدهر إن آن أدر تولى مالقيته الشفاعة من إدباره  
 فلما أبشع للشدة فيه (عليه) جحدها حرثتية العمال لِلْجَنَّمِ ، فكان قـ حـ دـ اـ بـ يـهـ  
 للـ دـاهـنـ التـغـيرـ (ما) الواطن بعدـ

هو الإنسان الذي غير منه بالكتابه الطريقة أيتها (حيوان مستحدث من جحاد) .

\* \* \* الفائز يذكر المسند إليه مقطعاً والإشارة بأنه لا ينفي عن الخاطر مثل قول جحيل بن منور :

بئية منها إذا ماتصوت معاب ولا فيها إذا نسبت أشب

فالشاعر كان يمسك أنه أن يقول: ما في بئية معلب ، أو مامعاب في بئية ، ولذلك آخر أن يقدم أنها في مطلع يده تلذاً بطنطه وإشعاراً بأنها لا تنفي عن خاطره .

\* \* \* تعيقين المسرة أو المسامة إذا كان آخر المسند إليه صالحًا للقول أو للطير مثل قوله سبحانه (١) : « فاما من طيق وار العيادة اهنيا فإن الجعليم هي المداوى ، وأما من حافته مقام ربه ونهى اللذين عل الموى فإن الجلة هي المأوى » مقدم المسند إليه (اسم إن : الجلهم ، الجلة) ينفي التضليل بالمسامة والمسرة .

هذا ، وقد يصلح هذان الثنالان لـ « ذكرناه آنما من يمكن الخبر في ذهن السامع لإطالة الكلام بعد المسند إليه (من) بعد (أما) حيث المسند هو (جلة إن) ، في كل الجلتين الطويتين .

\*\*\*\*\* إلاّة عموم السلب أو سلب العنوم ، والأول يكون إذا كان المسند إليه الشتم لفظاً ينفي العموم متقدماً على أداته في ، بحيث إذا تأخر كان عاملاً للبسند المذكور بهذه في المعنى ، مثل قول الشاعر :

(١) سورة العنكبوت الآيات ٣٧ - ٤١

كل الحوادث لاتلين قفاته فكلها خلقت من الفولاد

وسبب هذه الافتاء أن الشاعر قد بدأ بأداة المسموم (المستند إليه) ثم بني النق علىها، فكان أنه قد سلط المسموم على النق وأهله فيه، فاقتضى هذا شمول النق جميع أفراد ما أضيف إليه لفظ المسموم (كل)، ولذلك أن الشاعر يدح عدوه بقوة الرزعة وبين أن الحوادث بعثت بهم أفرادها لم تُفرق غربته، وكأنه يحارب بقناة (أي رمح) من الفولاد لا ينكسر أمام الشدائد منها تهددت أو تفسحت.

والثاني - أعني سلب المسموم - يكون بتقدم أدلة النق على لفظ المسموم الواقع مستندًا إليه، مثل قول المتنبي :

ما كل ما ي pemni المرء يدركه . ثالث الرابع بما لا يشمئ السنن

فالشاعر هنا يريد أن يقول : إن الإنسان لا يدرك كل أمانيه، وإنما يدرك البعض ويتحقق في البعض لأن الواقع قد تأثر على غير ما يشمئ السنن السفينة وكانت لها سبب هذه الأفلاوة (سلب المسموم) أن الشاعر قد بدأ بالنق ثم بـ لفظ المسموم الواقع مستندًا إليه على هذا النق ، فكان أنه قد سلط النق على هذا المسموم ليخرج بعض أفراده عن الحكم العام<sup>(١)</sup>.

(١) مثل قول الشاعر - أبي النجم :

قد أصبحت أم الخبر تدعى على ذياب كله لم أصنع  
إذا رضنا لفظ المسموم (كل) كان مستندًا إليه مقدمًا على حرف النق فيزيد  
مسموم السباب، وإذا نصينا لفظ المسموم (كل) على الممولة للعمل (أصنع) كان الكلام  
مقدمة سباب المسموم لكن بطريق غير طريق تقديم المستند إليه، ولكن مراد أبي النجم  
إنفادة مسموم السباب لأنه يريد أن يقول : لم أصنع شيئاً مما تذهب به أم الخبر - زوجته -  
على من الذوب.

على أن تقديم المستند إليه الذي يدور في ذلك مزية أسلوب القصر هو تقديم المستند إليه ذي الخير الفعلى أو الوصف المشيق الشبيه به ، وإن كان في ذلك تفصيلات وتقريرات ومذاهب نوردها فيما يلى :

تقديم المستند إليه التكراة ذي الخير الفعلى:

يجمع اللافظيون على أن تقديم المستند إليه التكراة على الخير الفعلى يفيد الاختصاص (القصر) في الجنس كله ، أو واحدة أو في النوع ، وإن كانوا يختلفون في طريقة هذه الإفادة ، فالإمام عبد القاهر يرى أن التكراة وإن كانت أسرًا مبهمًا فإن تقديمها على الخير الفعلى يشهد إلى أن المراد بها أصبح شيئاً معلوماً هو الجنس أو الفرد المهم منه أو النوع الذي تقيده<sup>(١)</sup>، وينقل في هذا الصدد قول سيبويه في تقديم المستند إليه على المستند ذي الجملة الفعلية فيقول<sup>(٢)</sup> :

« وإنما اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب : أنت قلت : عبد الله ، فذهب له ، ثم بنيت عليه الفعل ، وجدته يطابق هذا ، وذلك أن النفيه لا يسكون إلا على معلوم ، كأن قصر الفعل لا يكون إلا على معلوم ، فإذا ودأت بالذكرة قلت : رجل ، وأنت لانقصد بها الجنس ، وأن تعلم الساعم أن الذي أردت بالحديث رجل لا امرأة ، كان خالاً أن تقول : إنني قدمته لأبيه المخاطب له ،

(١) الذي يتحدث (لو كان يريد واحداً يعني الحال أحد أو مدل أو محمد) الخ .  
أما إنه قد أتي بالذكرة فإنه لا بد من أن يقصد أحد هذه الإشارة التي ذكرها علماء اللغة وتبصرهم النعمة : (الجنس - الفرد - اليم - منه - النوع ) إذا كانت التكراة موسوفة أو مضافة .

(٢) دلائل الإعجاز ١١١

لأنه يخرج بك إلى أن تقول : إن أردت أن أفهم السامع لشيء لا يعلم في جهة ولا تعميل ، وذلك مالا يشكي في استعماله ، فافعله » .

ومن هنا فإنه يقول <sup>(١)</sup> : « فإذا قلت : رجل جاءني : لم يصلح حتى تزيد أن تعلمك أن الذي جايك رجل لا امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد آتاك آت ، فإن لم تزد ذلك كمان الواجيب أن تقول : جاءني رجل ، فتقدم الفعل ، وكذلك إن قلت : رجل طوبى جاءني ، لم يستقم حتى يكون السامع قد علن أنه قد آتاك قصیر ، أو زلته منزلة من ظن ذلك » .

ونحن نلاحظ أن إشارة الإمام عبد القاهر إلى الثنائي الأول إنما تعنى إشارة تخصيص الجنس ، بينما إشارة إلى الثنائي الثاني تعنى إشارة تخصيص النوع .

والذكرة في هذا السبيل تشبه المعرفة تماماً ، ومن هنا جاز أن يبدأ بها الكلام ، يقول الإمام عبد القاهر <sup>(٢)</sup> : « إن قدمت الاسم قلت : أربك جاءك ؟ فأنت تسأله عن جنسه من جاءه : أربك هو أم امرأة ، ويكون هذا منك إذا كنت عللت أنه قد آتاك آت ، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ؛ فنبهوك في ذلك سبيلاً وإذا أردت أن تعرف عين الآتي ، قلت : أربك جايك أم عمرو ؟ لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل ، والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه ، أو عن جنسه ، ولذاك ، وإذا كان كذلك كان حالاً أن تقدم الاسم التوكدة وأنت لا تزيد السؤال عن الجنس ، لأنه لا يكون سؤالاً حينئذ متعلق من حيث لا يتحقق بعد الجنس إلا الدين ، والتوكدة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه » .

(١) المرجع السابق ١٠٩ / ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ١٠٩ .

ثم يؤكد الإمام عبد القاهر حدثه في إفادة التكراة **القدمة** على اختبر الفعل الاختصاص، بأن الملاع، قالوا في تحليل المثل العربي (بتر أهر داناب) <sup>(١)</sup> : « إنه إنما يصلح لأنك يعني « ما أهـر داناب إلا شر » . ثم بين أن مراده من هذه العبارة هو أن الذي أهـر داناب هو من جنس الشر لامن جنس الخير، أي أن التكراة هنا أفادت الاختصاص في الجنس .

أما السكاكي فبحـنـ نـفـقـدـ آـنـ يـغـارـجـ بـيـنـ قـبـولـ حـدـيـثـ الـإـلـمـامـ عـبـدـ القـاـهـرـ مـنـ مـعـلـوـمـيـةـ التـكـراـةـ آـنـ تـقـدـيـمـهـ وـرـفـضـ ،ـ ذـلـكـ أـنـ تـرـىـ .ـ وـفقـ اـعـتـقـادـنـاـ قـبـولـ .ـ حـدـيـثـ الـإـلـمـامـ عـبـدـ القـاـهـرـ .ـ أـنـ هـذـهـ تـوـسـعـ فـيـ إـيـشـمـ الـمـرـفـةـ بـتـوـعـمـهـ الـظـاهـرـةـ وـالـمـضـرـةـ كـأـنـ تـرـىـ آـنـ .ـ وـقـدـ تـوـسـعـ فـيـ إـيـشـمـ الـمـرـفـةـ بـتـوـعـمـهـ الـظـاهـرـةـ وـالـمـضـرـةـ ،ـ كـأـنـ تـرـىـ آـنـ .ـ وـقـدـ اـشـتـرـطـ تـلـاثـةـ شـرـوطـ إـلـفـادـةـ تـخـصـيـصـ الـمـسـدـ إـلـيـهـ .ـ أـيـاـ كـانـ نـوـعـهـ تـكـراـةـ ،ـ أـوـ مـرـفـةـ عـلـىـ أـوـ ضـمـيرـاـ .ـ بـالـسـدـ <sup>(٢)</sup> ،ـ أـعـنـ يـانـهـوـ الفـعلـ هـيـ :

١ - أن يجوز تقدير كون المسند إليه - في الأصل - مؤخراً على أنه فاعل معنى ، مثل قوله : أنا قلت ، فإنه يجوز أن يكون أصله : قلت أنا ، فيكون (أنا) فاعلا في المعنى وإن كان في النهاية تأكيد للفاعل .

٢ - أن يقدر هذا الذي جوزه « الشرط الأول » حاصلا ، يعني أن يقدر كونه في الأصل مؤخراً على أنه فاعل معنى .

(١) دلائل الإعجاز ١١٠

(٢) تخصيص المسند إليه بالمسند يعني انصر المسند على المسند إليه ، هذا وعليك أن تراجع حديث السكاكي عن تقديم المسند إليه لإفادة التخصيص في مفتاح المعلوم

٣ - لا ينبع من إفادة الشخص من مانع<sup>(١)</sup>

أما عن مرجحات رفضه لحديث الإمام عبد القاهر عن تقدمه بالذكر وفادتها الشخص من ذويه - وفيما نتفق - شرحة لشروط الثلاثة السابقة، ذلك أنه عند انتفاء أي من هذه الشروط، أعني : -

[أ] عندما يكون المسند إليه إنما ظاهراً مثل قوله : زيد قاتم ، حيث لو قدرنا أن لفظ (زيد) مؤخر في الأصل ، واعتبرنا أصل الكلام (قام زيد)

كان زيد فاعلا في اللفظ والمدى .

[ب] أو عندما يقدر السكاكين في مثل : أناقت ، على الابعد ، من أول الأمر بدون تقدير تقاديم وتتأخير<sup>(٢)</sup>.

(ج) أو عندما يكون هناك مانع من الصحة يصل مثل قوله في المثل العربي الشهير (شأنه ذاته) : حوش يمدح شخصيات الجنس في هذه النسورة لامتناع أن يراد

(١) تأخذ من هذا أن السكاكين يرى أيضاً أن المسند إليه إذا كان مدرفة من نوع الشمير ، إذاً اعتبرنا فيه هذه الشرط أحادي تقدمة الشخص من ذويه إذا احتل الشرط الثاني - بالنسبة للضمير ، كالمثال فإن التقادير يزيد التقوية عند السكاكين .

(٢) قال السكاكيني (فتح البارو من ٩٦) : ونظير قوله : أنا عرفت في اعتبار الآراء . لكن على سبيل التطلع - قوله : زيد عرفت ، أو عرفته ، وفي هذه

العبارة أن تقدم المسند إليه عملاً لا يزيد الشخص ، بدل زيد ثبوتي المدح على أن السكاكين أتبع هذه تعبارة بقوله أيضاً : وفي اعتبار التقادير . أي اعتبار

كون الإسم مقدماً من تأخير - زيداً عرفت - زيد عرفت : الرفع يزيد تحقيق أنك عرفت زيداً (أي يزيد تقوية الحكم) ، والذهب يزيد أنك خصصت زيداً بالمرفأ ،

(أي يزيد الشخص) :

ثم قال السكاكين : وأما زيد عرفته ، فأنت بال اختيار : إن شئت قدرت المحسن بقول

التصوب ، على نحو : عرفت زيداً عرفته ، وحملته على باب النساء كيده ، أو لا تدعوا بالحكم

وإن شئت قدرته بهذه على نحو : زيداً عرفت عرفته ، وحملته على باب الشخص .

أن المُؤمِّن شرٌ لا خير، لأن المهر لا يكتفى إلا شرًا فالمهور الخير للسكاكب لا يكتفى ولا يكتفى به، كإيقان تخصيص الواحد من أفراد التكراة أيضًا، ذلك أن مقام هذا الشخص يمس بمقدار كل البعد عن مفهوم انتقام إلـى هذا الميل، فهذا الميل إنما يقال عادة في مقام الحشيش على الأخذ بالحزم لدفع هذا الشر، والمعنى على المحاذ الأهمية وإعداد العدة لقادمةه، وكون المهر شرًا واحدًا لا شررين مما يقيـد معنى النسـائل، ويحمل على عدم الاهتمام لدفع الشر، فلا يصبح إرادـة هذا المـعنـى أيضـاً من عـذا المـيلـ العـربـيـ في مثل هذا للـقـامـ [١] .

— فإنـ هـذـاـ التـقـديـمـ يـخـرـجـ عـنـ دـائـرـةـ التـخـصـيـصـ إـلـىـ دـائـرـةـ قـوـيـةـ السـكـمـ وـتـأـكـيدـهـ .

وحيث لم يبق إلا المستند إلى الفكرة الذي تم فقدانه وبفقدانه السكاكـيـ .  
أيـهـ قدـ انـدرـجـ نـحـتـ اـنـقـاءـ الشـرـطـ الـأـدـلـ ، حيثـ لوـ قـلـناـ : رـجـلـ جـاهـيـ، ثـمـ قـدـرـناـ أـنـ لـفـظـ (رجـلـ) مـؤـخرـ فـالـأـصـلـ ، وـأـنـ أـصـلـ السـكـاكـامـ : جـاهـيـ رـجـلـ ، كـانـ لـفـظـ (رجـلـ) فـاعـلـاـ فـالـفـظـ وـالـمـعـنـىـ أـيـضـاـ مـثـلـ الـاسـمـ الـظـاهـرـ (زـيدـ) فـيـاـ تـقـدمـ .  
أـقـولـ : حيثـ لمـ يـبـقـ إـلـىـ المـسـتـدـ إـلـىـهـ الـفـكـرـةـ ، قالـ السـكـاكـيـ : إنـ التـقـديـمـ فيهـ يـقـيـدـ التـخـصـيـصـ ، لأنـهـ لـامـسـوـغـ لـلـابـتـداءـ بـالـفـكـرـةـ غـيرـ هـذـاـ التـخـصـيـصـ [٢] ، وـعـلـىـ هـذـاـ .  
نـقـدـ اـسـتـنـاهـ فـرـأـيـ : أـنـ مـقـلـ هـذـاـ التـرـكـكـيـ تـنـطـيـقـ عـلـيـهـ الشـرـوطـ التـلـاثـةـ :

(١) لـاحـظـ النـسـاءـ أـنـ إـنـادـةـ الـإـيمـامـ مـوـغـ لـلـابـتـداءـ بـالـفـكـرـةـ ، وـمـثـلـواـهـ يـقـولـ اـمـرـيـهـ الـقـيـسـ يـعـذـرـ .ـ هـنـدـاـ ، الـنـسـاءـ الـقـيـسـ يـوـرـدـ ذـكـرـهـ فـيـ أـوـلـ اـصـيـدـةـ الـبـيـتـ الـأـقـيـمـ ،ـ مـنـ التـزـوجـ رـجـلـ يـذـكـرـ هـذـاـ صـفـاتـهـ فـيـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ .ـ

مـيرـمـيـةـ يـوـنـسـ أـرـسـافـ .ـ بـهـ عـمـ يـتـبـعـ أـرـسـافـ .ـ

الـرسـةـ : الـقـيـسـ الـقـيـسـ تـوـضـعـ لـهـ لـفـظـ الـخـسـدـ وـالـأـذـىـ عـلـىـ طـاـبـةـ الـقـرـبـ ،ـ وـقـرـادـ أـنـ

أما الأول : فإن قوله (رجل جامن) يجوز أن يكون أعلاه : جاءني دجل وانظر (رجل) ليس بفاعل إلا في المعنى فقط ، كما هو باب قوله تعالى<sup>(١)</sup> : ( وأسروا النجوى الذين ظلموا ) ، حيث ذكر بعض علماء التفسير أن إعراب ( الذين ظلموا ) يكون بدلاً من الفاعل المفهوم<sup>(٢)</sup> في الآية - أعني وأو الجائعة<sup>(٣)</sup>

وأما الثاني : فإنه لامانع من تقدير أن هذا المند إليه مقدم من تأخير ، كما أنه لامانع من تقدير أن هذا المند إليه - آن تأخيره - كان ظاعلاً في المعنى فقط ، مادام ذلك وجده من النحو ، ذلك أن هذا التقدير لفرض بلاغى هو الشخصيون وفضلاً عن ذلك كله فإن هذا الفرض والتقدير لا يلزم عليه عود الضمير على ما تأخر لفظاً ورتيبة ، لأن هذا مختلف عند التحاة في البدل مثل قوله : زره علىها .

وأما الثالث : فإنه لامانع يمنع من إفادته لهذا الشخصيين ، ذلك أن الذكرة في هذا المثال - ليس لها مسوغ للابدأ ، بها غيره .

هذا الزوج - المهجو - لا ينافى ولا يخلق شمره مطلقاً ، حتى إن شمر ولادته ما زال برأسه .  
الأبرسخ : جمع رسم وهي مطام بين السكوح ، وهو المطام الذي خلف الإيمام ، والذكرسون وهو المطام النائي خلف الشعسر ، أي مطام مفصل اليد بين السكوف والساعده ، النسم يبيس في مفصل الرسم يشكأ عندها هوجاج اليد ، يبيش : يطلب ، الأبرسخ هو الحروانالمعروف وكانت العرب تقدرون أن كسب الأبرسخ يبعد الجبن ، لأن الجبن لا تقرب الأربض لأنها تحبس .

(١) سورة الأنبياء آية ٣ .

(٢) والمعنى أيضاً ، لكن سياق الكلام يمنع ذكر هذه الرواية .

(٣) جاء في كتاب المؤائد النباتي (ص ١٥٢ / ١٥٣) ماتسه : «زيد عرف - لثة كبد ، لأنه إذا أكله كان ثاءلاً - إلا نادراً - نحو وأسروا النجوى الذين

هذا ، والخطيب التزوى اعتبر احتجاجات عقابية على الشروط الثلاثة التي ذكرها السكاكى في إفادته الشخصي من عند تقديم المستند إليه — أيا كان نوعه: نسخة ، أو معرفة ملأ أو ضميراً — ذكرها من باب أنها مناصرة لرأى الإمام عبد القاهر الأدبي في تقديم المستند إليه التكراة — فقط ، لامن بباب أنها ترد مذهب السكاكى ، ذلك أن السكاكى يقول نفس رأى الإمام عبد القاهر في إفادته تقديم التكراة الشخصي ، كأن السكاكى وجد من قلامة آية من يقرع الحجج المعاوية بعنده ، وذلك أمر يطول الجدل ولا يخدم البعث البلاعى الذى بشىء .

وآخر احتجاجات الخطيب التزوى (١) :

على الشرط الأول : الفاعل الفظلى ، والفاعل المعنوى سواء في أمتداع التقديم مابقيا على حاله، ذلك أن الفاعل المعنوى هو ما يكون توكيداً أو بدلاً عن التأخير ومعنى هذا أنه يكون تابعاً ، والتابع مادام تابعاً كانه مفعلاً مادام فاعلاً. لاسبيل إلى تقاديه ، بل أمتداع تقديم التابع أولى — مادام تابعاً ، لأن المراد بالتقديم هنا التقديم على العامل ، فتجبىز تقديم العاً كيد دون الفاعل حكم ظاهر .

وعلى الشرط الثاني : لانسل الافتاء الشخصيin فى صورة المذكر لولا تقدير أنه كان فى الأصل مؤخراً قدم ، جلواز حصول الشخصيis فيه على التمويل وغيره كاحتذير والتكتير والقليل والسكاكى نفسه قد ذهب إلى هذا لوجه فى قوله (شأ أمر ذاتاب) — كما متوضّع فيها بعد .

ظلماً ( فلا يندم ، وإن تقدم ليحمل على النادر عند عدم جواز المبتدئية ، تحموا : رجل جاء فيعيد الشخصيis أى لا امرأة ، ولا رجالان ) — راجع تحقيق هذا الكتاب في رسالة الماجستير / محمد الدين الإيجي وبالكتابه الاستاذ / عاشق حسين ثمار — عمارة كلية اللغة العربية بالقاهرة — جامعة الأزهر .

(١) راجع شروح التشخيص ج ١ / ٤٢٠ — ٤٢٣ .

وعلى الشرط الثالث : لا سلم امتناع أن يرتأى أن المهر شر لا خير ، إذ قد يكون  
هرب السكك - أى نباحه ثابراً<sup>(١)</sup> .

ثم قوله : لقد سكت الإمام الشكاكى عند حديثه على موافع التخصيص في  
المثل العربي الشهير (شر أمن ذاتناب) عن إفادة تخصيص النوع في الفكرة -  
باعتبار الوصف الذى يمكن تقديره لها - مع أن هذا التخصيص ( كما أوضح  
عبدالقاهر ) من دلالات النكارة ، وإن ذلك يعتقد أنه لما قرأ عبد الإمام عبد القاهر  
أن العلامة قد حملوا هذا المثل بما ينتهي من إفادته القسر ، رجع إلى هذه الدلالة  
 فقال<sup>(٢)</sup> : « وإذ صرخ الأئمة رحهم الله بخصوصه حيث تأولوه : (ما أمن ذاتناب  
إلا شر ) ، فالوجه تفاصيغ شأن الشر بتذكيره - كذا سبق - فهو محرّم » ، أى أن  
الذكير هنا للمعظيم .

وبعد : فلتناجيح أن يقول في نهاية حديث تقديم السيد إليه الفكرة :

إن هذا التقديم يقيد التخصيص في أحد ثلاثة أشياء هي : تخصيص الجنس ،  
تخصيص النوع ، تخصيص الواحد ، ومقام تحديد هذا الأحد هو غرض المتكلم ،  
والعياق الأدبي للحديث ، يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٣)</sup> : « إنما إذا قاتنا في قوله :

(١) أدل الخلاف بين السكانى والخطيب التزويى هو في تفسير الذى الفنى  
لهرب ، فالسكانى في اعتقاده أنه يرى أن المهر - أى النباح - المقصود به : المهر  
الخارج عن المألوف لأن المهر الخارج عن المألوف : السكك هو هرب الشر هنا .  
أما التزويى في اعتقاده أنه يرى أن المهر هو عطاق النباح ، وعطاق نباح السكك  
- كما قال - قد يكون لغيره ، وقد يكون لغير .

(٢) مفتاح المعلوم ٩٧

(٣) دلائل الإعجاز ١١٠ ، ١١١

أرجل أنتك أم امرأة ، أن المسؤول عن الجنس ، لم تزد بذلك أنت به بمنة أن يقال الرجل أم المرأة أنتك ، ولذلك نعني أن المفهوم على أنت سأت عن الآية : أبو من جنس الرجال أم من جنس النساء ، فالنكرة إذن على أصلها من كونها لواحد من الجنس ، إلا أن القصد مثلك لم يقع إلى كونه واحدا ، وإنما وقع إلى كونه من جنس الرجال .

وعكس هذا إنك إذا قلت : أرجل أنتك أم رجال ، كان القصد بذلك إلى كونه واحدا ، دون كونه رجالا ، فاعرف ذلك أصلا ، وهو أنه قد يكون في اللفظ دليل على أمرين ، ثم يقع القصد إلى أحدهما دون الآخر فيصير ذلك الآخر بأن لم يدخل في القصد كأنه لم يدخل في دلالة اللفظ .

#### تقديم المسند إليه المعرفة ذات الخبر الفعل :

قدمنا - فيما مضى - حديث تقديم المسند إليه المعرفة ذات الخبر الفعل عند الإمام عبد القاهر<sup>(١)</sup>، واستبعض ذلك التوسيع في ذكر رأي السكاكي في تقديم المسند إليه المعرفة أيضا (الضمير والملم)<sup>(٢)</sup> - والآن - نود أن نبه من أول الأمر أن هذا الحديث خاص برأي الإمام عبد القاهر والتعليق أقرب إلى مدرسةه التي توافق الإمام في هذا الرأي .

وضم الإمام عبد القاهر لإفادته تقديم المسند إليه المعرفة على الخبر الفعل :

(١) ذكرنا من قبل أن تقديم المسند إليه ضمير على الخبر البلي ٤ اعتباران : اعتبار الابتداء على القطع ، وفيه يكون الفرض من التقدير تقوية الشك ، واعتبار التقديم من تأثير فيه يكون الترس الشخصي إما تقديم المسند إليه عددا على خبره الفعل وليس فيه إلا اعتبار تقوية الحكم .

الشخصين (القمر) حتى شرطاً أساساً هو : أن يسبق هذا المسند إليه المقدم  
أداة تقى مثل قول النبي :  
وما أنا وحدى قلت ذا الشعر وحده ولكن لشمرى فيك من نفسك شعر  
وقول الشاعر (العنبي) أيضاً :

وَمَا أَنْتَ مُسْمِتُ جَسْيَ بِهِ وَلَا أَنْتَ أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

فإذا أخذت هذا الشرط بأن تأثر النفي إلى ما بعد المسند إليه المقدم مثل قول الله  
سبحانه<sup>(١)</sup> : (والذين هم بربهم لا يشركون) وقوله عن وجل<sup>(٢)</sup> : (لقد حق  
القول على أكثركم فهم لا يؤمنون) ، وقوله عن من قال<sup>(٣)</sup> : (فميميت عليهم  
الأئمـاـءـ يـؤمـنـهـ فـهـمـ لـاـيـقـنـاـلـونـ) أفاد هذا الأسلوب تقوية حـكـمـ الجـلـةـ ومـضـمـونـهاـ  
دون الاختصاص .

أما إذا جاءت الجملة متقدمة فيها المسند إليه لكن دون تقى أصلاً فإنها تحصل  
الشخصين والتقوى وفق عرض المتكلم ومقام الكلام ، فإذا أراد الأديب أن  
يدعى على المسند إليه وينسب إليه الحديث دون غيره . أفاد الأسلوب القمر مثل  
قوله سبحانه<sup>(٤)</sup> : (ومن أهل للدينة مردوا على الفرقان لأنهم محن نعمتهم) .

وإذا أراد الأديب أن يتحقق هل السامع أن المسند إليه قد فعل الفعل ، وأن  
هذا دأبه وعادته لاشك في ذلك أفاد الأسلوب تقوية حـكـمـ الجـلـةـ ومـضـمـونـهاـ  
مثل قول الشاعر :

(١) سورة المؤمنون آية ٥٩ .

(٢) سورة يس آية ٧ .

(٣) سورة القصص آية ٦٦ .

(٤) سورة الفتوح آية ١٠١ .

هم يفترشون الأبد كل طرفة وأجرد سباح يبدأ المغابيا<sup>(٥)</sup>

يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٦)</sup> : « لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفرد بها ، وينص عليهم فيها حتى كأنه يعرض بقوم آخرين فيتفق أن يكونوا أصحبها ، هنا حال ، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يقتدون صحوة الخيل وأنهم يقتدون الجياد منها ، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرض لنفسه عن غلام إلا أنه بدأ يذكّرهم ليبيه السامع لهم ، ويعلم بذلك قصده إليهم بما في ذلك من الصفة لينفهم بذلك من الشك ، ومن توم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم نفاذ إليهم ». .

وأكثراً ما تكون إفادة التقى في معارض الانكار والشك والافتاء الكاذب وغير ذلك من الواقع الذي تحتاج إلى تأكيد وتحقيق مثل قول الله سبحانه<sup>(٧)</sup> : (ويقولون على الله الكذب وهم يملعون) ، قوله عز وجل<sup>(٨)</sup> : (إذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) ، قوله عز من قائل<sup>(٩)</sup> : (وقالوا أساطير الأولين اكتفينا بهم على عليه بكرة وأصلحاً) .

هذه وجهة نظر الإمام عبد القاهر مجملة ، وننتهي الآن من الإجفال إلى التفصيل :

(١) اللبس : الصوف أو الشعر المتلبد ، وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج الريء ، الطمرة : أفق الطمر وهو الفرس الخواد أو الجنيح المتداخل الخلق كأنه متبعه لوعب دائمًا ، الأجرد : الفرس الفضير الشمر ، السباح : الذي يسبح جريمه السابحة ، يبدأ : ينكب .

(٢) دلائل الأعيجاز س ١٠٠

(٣) سورة آل همران آية ٧٥

(٤) سورة المائدة آية ٦١

(٥) سورة الفرقان آية ٥

يقول الإمام عبد القاهر عن شرطه في إثارة تقديم المسند <sup>إلا</sup> على المعرفة على الخبر  
التعلل التخصيص حينها<sup>(١)</sup> : «إذا قلت : ماتت ، كننت ثقیة بذلك فعلا لم يثبت  
أنه ممدوح ، وإذا قلت : بما أنا فماتت ، كننت ثقیة بذلك فعلا ثبت أنه ممدوح .

تفسير ذلك :

أنك إذا قلت : ماتت هذا ، كننت ثقیة أن تكون قد قتلت ذلك ، وكنت  
توظّرت في شيء لم يثبت أنه ممدوح ، وإذا قلت : بما أنا قلت هذا ، كننت ثقیة  
أن تكون التالي له ، وكانت الماظنة في شيء ثبت أنه ممدوح ، وكذلك إذا قلت  
ما ضربت زيداً ، كننت ثقیة بذلك ضربه ، ولم يجب أن يكون قد ضرب ، بل  
يمحو أن يكون قد ضرب غيرك ، وأن لا يكون قد ضرب أصلاً .

وإذا قلت : بما أنا ضربت زيداً ، لم تقله إلا وزيد مضروب ، وكان التصد  
أن تتفق أن تكون أنت الضارب ، ومن أجل ذلك صالح في الوجه الأول أن  
يكون المعني عاماً ، كقولك : ماتت شمراً فقط ، وما أكلت اليوم شيئاً ، وإنما يقتضي  
أحداً من الناس ، ولم يصلح في الوجه الثاني ، فشکان خلقاً أن يقولون : بما أنا قاتلت  
شمراً فقط ، وما أنا أكلت اليوم شيئاً ، وإنما أثار أية أحداً من الناس ، وذلك  
لأنه يقتضي الحال وهو أن يكون همنا إنسان قد قال كل شعر في الفدنه ، وأ كل  
كل شيء يوكل ، ورأى كل أحد من الناس ، فتفقى أن تكونه .

وما هو مثال يبيّن في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله :

وما أنا أستمت جسم به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

(١) دلائل الإعجاز ٩٦ - ٩٨ .

المعنى — كالايمنق — على أن السقم ثابت موجزد ، وليس القصد بالمعنى إلية  
ولسكن إلى أن يكون هو الحال له ، ويكون قد جرّه إلى نفسه ، ومثله في  
الوضوح قوله :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله<sup>(١)</sup>

الشعر مقول على القطع ، والمعنى لأن يكون هو وحده القائل له .

ومنها أمثلة يرتفع منها الشك في وجوب هذا الفرق وبه ولهم به كالتاليه  
أحدهما : أنه يصح ذلك أن يقول : ما قاته هذا ولا قاله أحد من الناس ، وما ضربت  
زيداً ولا ضرب به أحد سواي ، ولا يصح ذلك في الوجه الآخر ، فلو قلت : ما أنا قلت  
هذا ، ولا قاله أحد من الناس ، وما أنا ضربت زيداً ولا ضرب به أحد سواي ، كان  
خلفاً من القول ، وكان في التناقض عزلاً أن تقول : لست الصادب زيداً أمس ،  
فثبتت أنها قد ضرب ، ثم يقول من ضبه : وما ضرب به أحد من الناس ، ولست القائل  
ذلك ، فثبتت أنها قد قيل ، ثم تجلى ، إنقول : وما قاله أحد من الناس .

والثانية من الأمثلة : أنك تقول : ما ضربت إلا زيداً ، فيكون كلاماً مستينا  
ولو قلت : ما أنا ضربت إلا زيداً : كان انفوا من القول ، وذلك لأن نقص المعنى  
« بـلا » يقتضي أن تكون ضربت زيداً ، وتدبرك ضميرك وإيلاؤه حرف المعنى  
يقتضي نفي أن تكون ضربته ، فيما ينافي معان ، فافرقه .

#### نهاية هذا الحديث :

أن الإمام عبد القاهر يرى أن تقديم المسند إليه — بخلاف المعنى — على خبره  
القديم يقيّد مفهوم القسر ، أي يقهّد المعنى والإيمان .

(١) هذا صدر بيت المتنبي وعجزه (ولسكن لشمرى فيك من نفسك شعر) .

النق : أى نفي الفعل المثبت في الجملة من المسند إليه التقدم .

والإيات : أى إثبات ذلك الفعل لغير هذا المسند إليه التقدم .

ومن هنا فإن النعم لا بد أن يكون قد حدث قطماً .

على أن هذا الإيمات مرتبط بذلك النفي عموماً وخصوصاً ، فإذا كان الفعل  
محدداً كان الإيمات والنفي على قدر هذا التحديد ، وإذا كان الفعل عاماً كان  
الإيمات والنفي على قدر ذلك العموم ، ومن هنا ص - على حد تعبير الإمام -  
أن يقول : ما أنا قلت هذا ، ولا أقول : ما أنا قلت شمراً قط ، لأنك إذا قلت :  
ما أنا قلت هذا ، كنت قد ثبتيت أن تكون القائل لهذا القول المخصوص المشار  
إليه ، وفي نفس الوقت ، كنت قد أثبتت هذا القول المخصوص المشار إليه غيرك ،  
وكان لا بد أن يكون الفعل قد حدث ، أى أن متور كلامك أن هذا القول  
المخصوص المشار إليه قد فعل فعلاً ، لكنك تبني أن تكون الشامل له .

أما إذا قلت : ما أنا قلت شمراً قط ، فإنك تبني عن نفسك فعلاً عاماً ( هو  
قول كل الشمر ) ، وفي نفس الوقت ثبتيت غيرك هذا الفعل على عمومه ، وإذا  
كان لا بد - كافئتنا من الشامل السابق - أن يكون الفعل قد حدث ، فإن مفهوم  
كلامك قد افتهن الحال ، وهو أن يكون غيرك قد قال كل شعر في الدنيا -  
كما يقول الإمام عبد القاهر .

على أن الإمام عبد القاهر قد أشار في مناقب حديثه إلى أن النفي إذا تقدم  
الجملة وجاء بعده الفعل ، فإن النفي قد ينصب على هذا الفعل وهذه فوجعل عدماً ،  
أو ينصب على إسناد الجملة كلها - أى علاقة النعم بالفاعل فنتيجهما أى ينفي حدوث  
الفعل من هذا الفاعل ، ومن ثم ينطبق الفعل أحتمال النفي العلائق ، واحتلال الحديث  
من غير هذا الفاعل المسند إليه .

تطبيق هذا — كما قال الإمام — إذا قلت : ما ضررت زيداً ، كذبت نفيت  
ذلك ضررها ، ولم يجب أن يكون قد ضرب ، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك  
وأن لا يكون قد ضرب أصلاً .

ثم برى الإمام عبد القاهر دقة هذه المسألة فيزيدها وضوحاً بأمرin : —  
أولها : أنه يصح لك أن تقول : ما قلت هذا ، ولا قاله أحد من الناس ،  
ولاتقول : ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس .

أما عن القول الأول : ( ما قلت هذا ولا قاله أحد من الناس ) فإن الجملة  
الأولى ( ما قلت هذا ) وإن كانت تعطي احتمالاً بأن الفعل قد حدث ، فإن الجملة  
الثانوية ( ولا قاله أحد من الناس ) قد جاءت لتفتيه ، ومن ثم كانت صحة هذا  
القول .

وأما عن القول الثاني : فإن الجملة الأولى ( ما أنا قلت هذا ) قد أعادت أن الفعل  
قد حدث ، ثم جاءت الجملة الثانية ( ولا قاله أحد من الناس ) لتفاقضها وتتفق حدوث  
الفعل ومن هنا كان عدم صحة هذا القول .

على أن هناك وجهاً آخر لم عدم صحة هذا التركيب هو : ثبوت القول ونفيه  
عن المتكلم وعن جموع من عدائه ، فلزم ثبوت قول من غير قائل وهو حال<sup>(١)</sup>.  
وهما : أن كلامك يكون مستقيماً إذا قلت : ما ضررت إلا زيداً ، ولو قلت  
ما أنا ضررت إلا زيداً ، كان لغوا من القول ، وتميل نساد القول الثاني . كـ

(١) حاول سعد الدين التفتازاني أن يصحح هذا التركيب بتحويل غرض المتكلم  
إلى شيء آخر غير التخصيص وسيأتي، بإيضاح ذلك

قال الإمام - أن بعض النفي يلا يتعين أن تكون ضربت زيدا ، وتقديرك  
ضميرك وإيلاؤه حرف النفي يتعين نفي أن تكون ضربته ، فيما يعدهمان .

والآولى أن يكون التعابير - كأقال انتقامي التزويف<sup>(١)</sup> - أن هذا الشال  
(ما أنا ضربت إلا زيدا) يفيد أن القلم ثابت ، وأنه متى عن المقدم ، ومثبت  
غيره على حسب النفي عموماً وخصوصاً ، فهذا الشال يفيد أن ضرب كل أحد  
إلا زيداً ، ثابت ، وأنه متى عن المقدم ، وأنه مثبت غيره ، فلزم أن يكون  
هذاك إنسان ضرب كل أحد إلا زيداً ، وهو باطل وبخال .

هذا ، و يجب أن تذكر الأن - ماسبق أن قلناه من أن الإمام السكاكي  
قد ذكر أن تفريح للسند إليه المعرفة لا يفيد إلا تقويم الحنك ، وهو بذلك يخالف  
مذهب الإمام عبد القاهر .

والحق عذرني - أن الاختكام يجب أن يدرك لذمات النصوص الأدبية على  
اتساعها وتبوئها أو يجب أن يكون بعد محاولة استهلاع هذه النصوص ، واستقصاء  
أغراض المتعددتين بها ، والمقام الذي يتحدثون فيه ، ومن ثم فلا مجال - عذرني  
- لقبول أو رفض كلام قول الإمامين - عبد القاهر والسكاكى - القاطعين  
بالخصوص أو التقويم ، ذلك أن الحكم في قضيائهما من النصوص الأدبية على اتساعها  
وتتنوعها (حق بعد الاستقصاء) يجب أن يكون أغلبها لاقطاماً ، والإمام الزعيري  
قدم تماذج فرقاً تقويم التخصصين ، كما قدم تماذج آخر من القرآن أيضاً تقويم  
تقويم حكم الجلة ومضونها ، بل أعجب من هذا قدم تماذج فرقاً تقويم تقويم التخصصين  
والتقويم مما ، وقد نقل ذلك عنه الباحثون قوله ، يقول أستاذنا الدكتور

(١) راجع شروح النطحيس ج ١ / ٣٩٨، ٣٩٩ .

محمد أبو موسى<sup>(١)</sup> : «خذ قوله تعالى : (لَوْيَمِ الَّذِينَ كَفَرُوا هُنَّ لَا يَكْفُونَ عَنْ وِجْهِهِمِ النَّارِ وَلَا عَنْ ظُلْمِهِمْ وَلَا هُمْ يَدْسِرُونَ ، بِلَ تَأْتِيهِمْ بِنَقْتَةٍ فَقَبْعَتْهُمْ فَلَا يَسْتَطِعُونَ رَدَهَا وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ) التَّقْدِيرُ فِي قَوْلِهِ (وَلَا هُمْ يَدْسِرُونَ) يَقِيدُ أَنَّ عَدْمَ النَّصْرَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مُقْصُورٌ عَلَيْهِمْ ، بِمُخْلَفِ الْمُصَاصَةِ مِنَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ فَقَدْ يَنْصُرُهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، أَمَا قَوْلُهُ<sup>(٢)</sup> : (وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ) فَلَا وَجْهٌ لِلَاخْتِصَاصِ فِيهِ لَأَنَّ السَّاعَةَ حِينَ تَأْتِي لَا تَكُونُ أَحَدًا فَلَيْسُوا وَحْدَهُمُ الْمُخْصَصُونَ بِعَدْمِ الْأَنْتَارِ ، أَيِّ الْأَمْهَالِ ، وَالَّتِي يَأْتِي بِنَقْتَةٍ وَبِهِتَّ وَلَا يَسْطِعُونَ رَدَهُ هُوَ الْمُوتُ ، وَقَالُوا هُوَ الْمَذَابُ الَّذِي اسْتَعْبَلُوا بِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا وَجْهٌ لِلْقُصْرِ فِيهِ وَالْتَّقْدِيرُ فِيهَا لِلنَّقْوَةِ وَتَأْكِيدُ أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْمُحَاطَاتِ لَا يَعْمَلُونَ كَمَا أَمْهَلُوا فِي الدُّنْيَا حِينَ اسْتَعْبَلُوا بِهِذَا وَقَالُوا مَنْ هَذَا الْوَعْدُ؟ ». .

وإذا كان لي أن أرجح بين مذهب الأمامين فإني أقول إن مذهب الإمام عبد القاهر أغلب، يكثر وبقى في معظم الأساليب الأدبية، وقد أقول في حماوة لبيان أن تذليل الآية في السكريبيتين ينهي التفصييف على مذهب الإمام عبد القاهر: إن قوله سبحانه (وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ) يعني (ولَا هُمْ يَرْحَمُونَ)، وإنما يثار كثيراً ما يكون بمعنى الرحمة في القرآن<sup>(٣)</sup>، يقول الله عز من قائل عن السكافتين الذين

(١) دلالات القرآن الكبير ص ١٨٦ ، والت قول السكريـم هـا الآياتـان ٣٩ ، ٤ من سورة الأنبياء ، وانظر السكتـاف ج ٢ / ٥٧٣ .

(٢) في الأصل (نـولـهم) ، وـأـلـمـحـنـمـاـ ماـأـبـيـاءـ ، حيثـالأـخـطـاءـ المـطـبـيـةـ تـسـتـهـىـ جـيـبـهـاـ عـلـىـ التـصـحـيـحـ .

(٣) راجع مـاـفـ مـادـةـ (نـظـرـ) فـيـ لـسانـ الـمـرـبـ جـ ٦ / ٤٤٦٧ - طـبعـ دـارـ الـمـارـفـ - النـسـخـةـ المـشـكـوـةـ ، وـانـظـرـ مـاـيـؤـيدـ وـجـهـةـ نـظـرـنـاـ فـيـ حـدـيـثـ الرـمـخـشـرـىـ عـنـ مـثـلـهـ جـ ١ / ٣٢٥ (الـآـيـةـ ١٦٢ـ مـنـ سـوـرـةـ الـبـرـةـ) .

(٤) بلادة النصر

حرّفوا كلامه من أصل السكّاب<sup>(١)</sup>: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ نَعَذًا فَاهْلًا أَوْلَئِكَ لَا خَلَقْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَدْنُو إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرْكِبُهُمْ وَلَمْ يَذْهَبْ أَلْيَمْ)، وعلى هذا فبحن تقول في بيان إفادة تركيبي الظبيلين السكريبيين للتخصيص: التركيب يفيد أثرين خصوصاً لا ينصرون في هذا اليوم ولا يرحمون في الوقت الذي تتجلى فيه النصرة، وتغمر فيه الرحمة قوماً آخرين من استمدوا اليوم القيامة ولم يستعدوا و يقولوا كما قال هؤلاء المتعجبين امذابه (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)؟

على أن سعد الدين التفتازاني قد أشار إلى أنه قد تقوم في الأساليب قرينة على غرض آخر غير التخصيص، ومن هنا قد صح بعض التراكمات التي رأى عبد القاهر أنها لاتصح، يقول سعد الدين التفتازاني<sup>(٢)</sup>: «ولأن العندليب يفيد التخصيص وهي الفول عن المذكور مع ثبوته لم يصح<sup>(٣)</sup> (ما أنا قلت هذا ولا غيري)، لأن من يوم الأول (أعني: ما أنا قلت) يتحقق ثبوت قائلية هذا القول لغير المتكلم، ومنطقه الثاني (أعني ولا غيري) هي قائلية عن الببر، وهذا متناقضان، بل يجب عدد قصد هذا المعنى (إفادة التخصيص وهي الفول عن المذكور مع ثبوته للغير) أن يؤخر المسند إليه، وبهال: ما قائلة أنا ولا أحد غيري، لهم إلا إذا قام قرينة على أن العندليب لغرض آخر غير التخصيص، كإذا ظن المطالب بك ظافر فاسدين:

أحدها: أنت قلت هذا القول.

(١) سورة آل عمران آية ٧٧.

(٢) المطول ١٠٨ / ١٠٩.

(٣) يشرح الآن مذهب الإمام عبد القاهر.

والثاني : أنت تعتقد أن قاتله غيرك ، فيقول لك : أنت قاتل لا غيرك ، فتقول له : ما أنا قاتله ولا أحد غيري . فتصدأ إلى إسكنار نفس العمل فقدم للسند إليه لوطابق كلامه ، وهذا إنما يكون فيما يكن إسكناره : كاف هذا المال ، بخلاف قوله : ما أنا بنيت هذه الدار ولا غيري ، فإنه لا يصح<sup>(١)</sup> .

ونعود — الآن — إلى حديث الإمام عبد تقديم السند إليه على خبره العمل عبد اخنال شرط تقديم النفي على هذه السند إليه المقدم ، والأسلوب آنذاك يفيد قوية السامع إلى السند إليه كما يفيد نقوية حكم الجلة ومضمونها ، يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٢)</sup> : « إذا قلت : أنت لا تحسن هذا ، كان أشد لغز إحسان ذلك منه من أن تقول : لا تحسن هذا ، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد لعجبنا بهـ ، رأعرض دعوى في أنه يحسن ، حتى أنت لو أتيت ( بأنت ) فيما بعد تحيـن ، قلت : لا تحسن أنت : لم يكن له ذلك القوة ، وكذلك قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : (والذين هم بربهم لا يشركون) يفيد من التأكيد في الاشراك عـهم ما لا يقبل : والذين لا يشرـكون بربهم ، أو بربـهم لا يشرـكون : لم يقدـ ذلك ، وكذا قوله تعالى<sup>(٤)</sup> : (أقدـ حقـ القول على أـكثـرـهم فـهم لا يؤمنـون) وقولـه تعالى<sup>(٥)</sup> : (فـمـهـتـ هـاـيـهـ الـأـبـيـاءـ يـوـمـذـ فـهـمـ لاـيـتـسـأـلـونـ) وـ(ـإـنـ شـرـ الدـوـابـ عـنـدـ اللهـ الـذـينـ كـفـرـوـ فـهـمـ لاـيـؤـمـنـونـ)<sup>(٦)</sup> .

(١) لأنك في هذا الثالث الأخير تشير إلى الدار مبنية ، فالعمل لا يمكن إسكناره .

(٢) دلائل إيجاز ١٠٦ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٥٩ .

ـ

(٤) سورة يس آية ٧ .

(٥) سورة القصص آية ٦٦ .

(٦) سورة الأنفال آية ٥٥ .

تفصير هذا الحديث أن الإمام عبد القاهر يرى أن اخلال شرط اللف و عدم تقدمه على المسند إليه التقدم على خبره الفعل يؤدي إلى احتلال غرض القصر، ذلك لأن تقديم الاسم مرد من الموارد بنها السامع أن حدinya سيقى عليه وفي نية المتكلم إسناده إليه، فإذا جاء حديث الفاعل مسداً إلى هذا الاسم بعد ذلك جاء بعد انتوطنه له فيدخل على النايل دخول المأнос به فيكون ذلك لامعاً أشد اثبوته في النفس، وأقوى للشهادة، وأمنع لشك، بمختلف الأعلام بالفعل بعده فيما إذا قدم الفعل ثم جاء الاسم دون القافية عليه، والتقدمة له.

والإمام السكاكى قد وافق الإمام عبد القاهر على إفادة هذا الأسلوب (النقوية)، لكن مع تعليل آخر أراء أقوى من تعليل الإمام عبد القاهر، يقول السكاكى<sup>(١)</sup> يعلمه «وسبب تقويه هو أن المبدأ لكتونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء» فإذا جاء ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه، فيتحقق بذلك حكم سواء كان حالياً عن ضمير المبتدأ، نحو: زيد غلامك، أو كان متضمناً له نحو: أنا عرفت، وأنت عرفت، وهو عرف، أو زيد عرف، ثم إذا كان متضمناً الضمير صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانية فيكذب الحكم قوله، فإذا قلت: هو يعطى الجزيل — كان المراد تحقيق إعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص إعطاء الجزيل به<sup>(٢)</sup>،

(١) مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٢) جاء في كتاب الدوائر النباتية المسند الدين الابجبي (ص ١٥٢) ما نصه: «وقد يقدم الفاعل حتى عليه حامة — أي على الفعل — نحو: أنا عرفت ، النقوية الحسكة ، لأن المبتدأ لاستدعائه حكماً يصرف ما يصلح له إلى نفسه بلا ضمير ، نحو: زيد غلام ، فإذا وجد الضمير صرفه إليه ثانية ، وأنا عرفت أنا أنا كيد الفاعل ، وهو غيره »

وعايه قوله عن رعابه<sup>(٣)</sup> (وَأَخْذُرُوا مِنْ دُونِهِ أَمْلَهُ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ)،  
ليس المراد أن شيئاً سواهم لا يخلق، إنما المراد تحقيق أنهم يختلفون وقوله<sup>(٤)</sup> (إِن  
وَلِيَ أَنْهُ الَّذِي تَرَزَّلُ السَّكَنَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ)، وقوله<sup>(٥)</sup> (وَحَشَرَ لِسْلَامَانَ  
جِنودَهُ مِنَ الْجَنِّ وَالْأَنْسِ وَالظَّاهِرِ فَهُمْ يَرْجُوُنَ)، وقوله<sup>(٦)</sup> (وَإِذَا جَاءَهُوكُمْ تَأْلُوا  
أَكْنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ)، وكذلك إذا قلت: أنت لا تكذب  
كان أقوى للحكم يبقى السكذهب من المخاطب من قوله لا تكذب، من غير شبهة  
ومن قوله<sup>(٧)</sup> (إِنْ تَرَكْذِبْ أَنْتَ ، فَإِنْ - أَنْتَ - هَا لَمَّا كَيْدَ الْحَكْمُ عَلَيْهِ يَبْقِي  
السَّكَنَبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ هُوَ لِأَغْيَرِهِ ، لَا إِنَّ كَيْدَ الْحَسْنَى يَقْدِرُ .

وعليه قوله تعالى<sup>(٨)</sup> (وَالَّذِينَ هُمْ بِرُبِّهِمْ لَا يُشَرِّكُونَ) وقوله<sup>(٩)</sup> (أَقْدَحَ النَّوْلَ  
عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وقوله<sup>(١٠)</sup> (فَمَيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَيَّاهُ بِوْمَشْذُّهُمْ  
لَا يَتَسَاءَلُونَ) وقوله<sup>(١١)</sup> (إِنْ شَرَّ الدُّوَابَ عِنْدَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

ثم قال أيضاً: «أنا عارف، دون، أنا عرفت، في التقوية، لمدم تنير الشعير في  
الحكمة، والخطاب، والذيبة، فشكأنه لا شعير» .  
راجع تحقيق هذا الكتاب و دراسته في رسالة المقصص (الماجستير) التي كتبها  
الأستاذ: عاشق حسين نصار .

- (١) سورة الفرقان آية ٣
- (٢) سورة الأعراف آية ١٩١
- (٣) سورة النمل آية ١٧
- (٤) سورة المائدۃ آية ٦٦
- (٥) سورة المؤمنون آية ٥٩
- (٦) سورة يس آية ٧
- (٧) سورة المقصص آية ٦٦
- (٨) سورة الأنفال آية ٥٥

على أن الخطيب الفزوي قد ذكر أن هذا الأسلوب يغدو الفخر إذا أراد الأديب ذلك وتطليه المقام<sup>(١)</sup>.

وتأتي — الآن — إلى حديث الإمام عبد القاهر عن تقديم المسند إما على خبره الفعلي في حالة الإنذارات — ، أو دون أن يكون هناك تقي أصلاً — يقول الإمام عبد القاهر<sup>(٢)</sup> : « إذا عدت إلى الذي أردت أن تحدثه عنه بفعل فقدمت ذكره ثم زيت النمل عليه فللت: زيد قد فعل، وأفأ فعلت، وأنت فعلت: اقتضى ذلك أن يكون الفصل إلى الفاعل ، إلا أن المقص في هذا الفصل ينقسم قسمين :

أحدُها : جل لا يشكل ، وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنس فيه على واحد ، فتجعل له ، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد .

ومثال ذلك : أن تقول : أنا كتبت في مفن ملان ، وأنا شفعت في بايد؛ تزيد أن تدْعِي الانفراد بذلك والاستبداد به ، وتزيل الاشتئاف فيه ، وتزد على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتبت فيه كما كتبت .

ومن البين في ذلك : قوله في المثل : « أتعلمي بحسب أنا حرَّمْتَه »<sup>(٣)</sup> .

والقسم الثاني : أن لا يكون الفصل إلى الفاعل على هذا المقص ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل ، وتعتبره من الشك ، فأنت بذلك

(١) راجع شرح التلخيس ج ١ / ٤٠٣.

(٢) دلائل الإعجاز ٩٩ - ١٠٦.

(٣) المثل يقوله العالم بالشيء أن يريد تعليميه إياه ، وحرفي القلب واحتراه : صاده بالحقيقة المرورته ، ومن أن يحرك يده على باب جسره ليظنه حية فيخرج ذئبه ليضر بها ، فيأخذنه .

تهداً بذكره ، وتحققه أولاً ، ومن قبل أن تذكر النمل في نفسه لكن تبادله بذلك من الشبيهة ، وتحبه من الآذكار ، أو يظن بك الفاطل أو التزبد .

ومثاله : قوله : هو يعطي الجزيء ، وهو يحب الثناء ، لا تزيد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيء ويحب الثناء غيره ، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه به وتجمله ، لا يعطي كما يعطي ، ولا يرحب كما يرحب ، ولكنك تزيد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيء وحب الثناء ، دأبه ، وأن تتمكن ذلك في نفسه .

ومثاله في الشعر :

هم يفرضون الأبد كل طمرة وأجرد سباح يهد الماء<sup>(١)</sup>

لم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بهـ، ويدعى عليهم فيها حق كأنه يعرض بعوم آخرين ، فنافي أن يكونوا أصحابها ، هذا الحال وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يخدمون صهوات المليء ، وأنهم يخدمون الجيواد منها ، وأن ذلك دأبهـ من غير أن يعرض لنفيهـ عن غيرهم ، إلا أنه يبدأ بذلك توكهـ لبنيهـ السامع لهم ، ويميل بدليـاً قصدهـ إليـهم بما في نفسهـ من الصفة لبيـمهـ بذلك من الشك ، ومن توكـهمـ أن يكونـ قد وصفـهمـ بصفـةـ ليستـ هيـ لهمـ ، أوـ أنـ يـكونـ قد أرادـ غيرـهمـ فقطـ إليـهمـ .

وعلـيـ ذلك قولـ الآخر :

هم يضرـبونـ السـكـبـشـ يـدرـقـ بيـضـهـ  
علـيـ وجـهـ منـ الـفـاءـ سـبـابـ<sup>(٢)</sup>

(١) سبق شرحـ : ص ١٨٧

(٢) السـكـبـشـ : رئيسـ الجـيشـ ، ويسـرىـهـ أـهـيـ يـرـكـوـهـ ؛ تـيلـاـ ، وـالـسـبـابـ : طـلاقـ الفـمـ

لم يرد أن يدعى لهم الأنفاس ، ويحمل هذا القرب لا يكون إلا منهم ، ولكن أراد الذي ذكرت ذلك من تنبيه السامع لتصديم بالحديث من قبل ذكر الحديث ، ليتحقق الأمر ويتزكيه .

ومن البين فيه . قول عروة بن أذينة :

**سلبى أذمعت ينفسا فain تقولها آين؟<sup>(١)</sup>**

وذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا الارatum لها خاصة ، ويحملها من جماعة لم يزعم اليه منهم أحد سواها ، هذا الحال . ولكنه أراد أن يتحقق الأمر ويتزكيه فأقام ذكرها في سبع الذي كلام ابده ، ومن أول الأمر لم يقل هذا الحديث أنه أرادها بالحديث ، فيكون ذلك أبعد له من الشك .

ومثله في الوضوح قوله :

**ها يلبسان الجلد أحمن لبسة**

**شعيغان ما استطاعوا عليه كلامها**

لا شبهة في أنه لم يرد أن يقتصر هذه الصفة عليهم ، ولكن به لما قبل الحديث عنهم .

وأبيين من الجميع قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : (وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آثْمَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ) ، قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : (إِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آتُنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالسَّكْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) .

(١) تقولها يعني نظنها .

(٢) سورة الفرقان آية ٣ .

(٣) سورة المائدة آية ٦١ .

و هذا الذى قد ذكرت من أن تقديم ذكر الحديث عند تبليغ التنبية له قد ذكره صاحب السكري في المقبول إذا قدم فرع بالابداء، وبقى الفعل الناصب كان له عليه<sup>(١)</sup>، و عدى إلى ضميره، فشقلي به، كقولنا في « خبرت عبد الله » : عبد الله خربه، فقال : وإنما قلت عبد الله، فذهبته له، ثم بنيت عليه الفعل و دفعته بالابداء.

فإن قلت : فن أين وجب أن يكون تقديم ذكر الحديث عنه بالفعل أك لإنبيات ذلك الفعل له ، وأن يكون قوله (ها يلبسان الجد) أبلغ في جعلها يلبسانه من أن يقال : يلبسان الجد ؟

قلت : ذلك من أجل أنه لا يتوافق بالاسم معنى من العوامل إلا الحديث قد نوى بإسناده إليه .

وإذا كان كذلك ، فإذا قلت : عبد الله ، فقد أشررت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا : قام ، أو قلت : خرج ، أو قلت : قدم ، فقد علمت به ، وقد وطأت له وقدمت الأعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأнос به وقبله قبول المجرى ، له المطعن إلية ، وذلك لاختلاة أشد ثبوته وأدق الشبهة ، وأدنع للشك ، وأدخل في التحقيق .

وجلة الأمر : أنه ليس بإعلامك الشيء بفتحة مثل إعلامك له بعد التنبية عليه ، والقدمة له ، لأن ذلك يجرى مجرى تكثير الإعلام ، في العادة كونه والأحكام ، ومن هؤلاء قالوا : إن الشيء إذا أشرت لهم فسر كان ذلك أثمن له من أن يذكر خيراً قدماً إضمار .

(١) أى بما فعل الذي كان ناصباً له - عليه .

وبدل على حمة ما قالوه : أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى <sup>(١)</sup> : (فإِنَّهَا لَاتَّعْمَى الْأَبْصَارَ) ؛ فحمة وشرقاً وروعة لأنجد منها شيئاً في قوله تعالى : فإنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَعْمَى ، وكذلَكَ السُّبْلُ أَبْدًا في كلِّ كلامٍ كانَ فيه ضمير قصة ، فقوله تعالى <sup>(٢)</sup> : (إِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَنْلَمُونَ) يفيد من التوءة في نفي الفلاح عن السُّكَافِرِينَ مالوقيل : إنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَنْلَمُونَ : لم يفده ذلك ، ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنَّكَ تعلم إيه من بعد تقدمة وتنبيه ، أنت به ذق ، حكم من بدا وأعاد ووطد ، ثم بين ولوح ثم سرت . ولا يخفى مكان المزية فيها طريقة هذا الطريق .

ويشهد لما قلنا : من أن تقديم الحدث عده يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام بغي ، فجاء بق في إشكال من مذكر ، نحو أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذى يقول ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ، واسكتك غيل إلى خصمي ، وكتقول الناس : هو يعلم ذلك وإن أنسكر ، وهو يعلم السكذهب فيما قال وإن حلف عليه ، وكتقوله تعالى <sup>(٣)</sup> : (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبُ وَمَا يَعْلَمُونَ) فهذا من أبى شى ، وذلك أن السكاذب - لاسيا في الدين - لا يعترف بأنه كاذب ، وإذا لم يعترف بأنه كاذب أبى من ذلك أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

أو بغير فيما اعتبرنى فيه شك : نحو أن يقول الرجل : كأنك لا تعلم ماصنع

فلان ، ولم يبلغك ، فيتقول : أنا أعلم ، ولستني أداريه .

أو في تسكذيب مدح : كقوله عزوجل <sup>(٤)</sup> : (إِذَا جَاءَوكُمْ قَالُوا آتُمَا وَدَ

(١) سورة الحج آية ٤٦ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٧ .

(٣) سورة آل همران آية ٧٥ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٦١ .

دخلوا بالسُّكُنِ وَمَنْ قَدْ خَرَجَوْا بِهِ) ، وذلك أن قوله (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالسُّكُنِ كما دخلوا به ، فالموضع موضع تكذيب .

أو فيما الفهارس في منه أَن لَا يَكُونُ ، كَتُولَهْ تَمَالٌ<sup>(١)</sup> : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ بَعْلُوْنَ) ذلك أَن عبادَهُمْ هُمْ تَقْتَصِي أَن لَا يَكُونُ خَلْوَقَةً .

وكذلك في كل شيء . كان خيرًا على خلاف المادَّة ، وعما يستغرب من الأَمْرِ نَحْنُ أَن نَقُولُ : أَلَا تَمْجِدُ مِنْ مَلَائِكَةٍ : يَدْعُونَ الظَّاهِرَ وَهُوَ بِهِ بِالْبَيْرِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ شَجَاعٌ وَهُوَ بَغْرَعٌ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ ؟

وَمَا يَحْسَنُ ذَلِكَ فِيهِ وَيَكْثُرُ : الْوَعْدُ ، وَالضَّانُ ، كَتُولُ الرَّجُلِ : أَنَا أَعْطِيكُ ، أَنَا أَكْفِيكُ ، أَنَا أَفْرِمُ بِهِذَا الْأَمْرِ ، وَذَلِكَ أَنْ مِنْ شَأْنَنِي تَنْدُهُ وَتَضْعُنَ لَهُ أَنْ يَعْتَرِضَهُ الشَّكُوكُ فِي عَامِ الْوَعْدِ وَفِي الْوَفَاءِ بِهِ ، فَهُوَ أَحَوْجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ أَكْيَدُ .

وَكَذَلِكَ يَكْثُرُ فِي الدَّحْرِ : كَتُولُكُ : أَنْتَ تَمْلَئُ الْجَزَوِيلَ ، أَنْتَ تَرْوِي فِي الْخَلَلِ أَنْتَ تَجْمُودُ حِينَ لَا يَجِدُهُ أَحَدٌ ، وَكَذَلِكَ قَالَ :

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا حَلَقْتَ وَبِهِ مِنْ الْقَوْمِ يَخْلُقُنَمْ لَا يَفْرَرُ<sup>(٢)</sup>

وَكَتُولُ الْآخِرِ :

نَحْنُ فِي الْمُشَاهَةِ نَدْعُو الْجَنَفِ<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الفرقان آية ٣ .

(٢) فَرِي الشَّيْءَ يَفْرِيْهُ : قَطْعَهُ ، وَفَرِي الزَّادَةَ : صَنَعَهَا ، الْخَلَقُ : التَّقْدِيرُ ، وَالَّذِي يَصْنَعُ شَيْئًا مِنَ الْجَنَفِ وَنَحْوِهِ عَلَى مَثَلِ سَابِقِ كَانَ زَادَةً وَالْجَنَفُ يَنْدَرُ ثُمَّ يَقْطَعُ وَيَنْهَا ، وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَأَرَاكَ تَهْلِكَ مَا تَقْوِلُ وَبِعَصْمِهِ مَذْقَ الْأَنْسَانِ يَتَوَلَّ مَا لَا يَهْلِكُ

(٣) لِلشَّاهَةِ وَلِلشَّاهَةِ : مِسْكَانُ الْحَدَّادِ وَزَمَانَهُ ، وَالْجَنَفِي : الدَّمْعَةُ الْمَاءَةُ إِلَى الْعَادَمِ

وذلك أن من شأن المأذون أن يسمع الساعدين من الشك فيما يدح به، ويياعدهم من الشبه، وكذلك المقصر.

ويزيدك بياناً: أنه إذا كان الفعل ما لا شك فيه ولا يذكر بحال لم يكن يعنيه على هذا الوجه، ولكن يبقى به غير مني على اسم، فإذا أخبرت بالخروج - مثلاً - عن رجل من عادته أن يخرج في كل غداة قلت: قد خرج، ولم تتحقق إلى أن تقول: هو قد خرج، ذلك لأنه ليس بشيء يشك فيه الساعي فتحاج أن تتحقق، وإلى أن تقدم فيه ذكر الحدث عنه، وكذلك إذا علم الساعي من حال رجل أنه على جهة الركوب والمضي إلى موضع، ولم يكن شك وتزدد أنه يركب أو لا يركب، كان خبرك فيه أن تقول: قد ركب، ولا تقول: هو قد ركب، فإن جئت بمثل هذا في صلة الكلام ووضعيه بعد واؤ الحال، حين حينهذا، وذلك قوله جئته وهو قد ركب، وذلك أن الحشك يتغير إذا صارت الجهة في مثل هذا الموضع، ويصير الأمر بمرض الشك، وذلك أنه إنما يقول هذا من ظن يصادفه في منزله، وأن يصل إليه من قبل أن يركب.

فإن قلت: فإنك قد تقول: جئته وقد ركب، بهذا المعنى، ومع هذا الشك.  
فإن الشك لا يقوى حينهذا قوله في الوجه الأول، أفالترى أنك إذا استطاعت إنساناً، قلت: أنا والشمس قد طلمت، كان ذلك أبلغ في استطاعتك له من أن تقول: أنا أنا وقد طلمت الشمس.

وعكس هذا أنك إذا قلت: أنا والشمس لم تطلع كان أقوى في وصفك له

ويقابلها (النفي) وهي الدعوة الخاصة، والبيت البييد، وتنتهي (لا ترى الآداب فيما ينتهي) أي أن الذين يأدبون الآداب منها لا ينتهون الشهيف ولا ينتهون.

بالمجلة والجني، قبل الوقت الذي ظن أنه يجيء فيه من أن تقول : أني ولم تطلع الشمس بعد.

هذا ، وهو كلام لا يكاد يجيء إلا نادياً ، وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ لاباسه وتنتهي الفعل عليه كقوله ( وقد أخذني والطير لم تكلم ) .

فإذا كان العمل فيما يدل هذه الواو التي يراد بها الحال مضارعاً لم يصلح إلا مبنياً على اسم ، كقولك : رأيته وهو يكتب ، ودخلت عليه وهو على الحديث ، وكقوله :

تَرْزُّتَهَا وَالدِّيْكَ يَدْعُو صَبَاهَهِ إِذَا مَا بَدَأْتُمْ دُنْوَنَصُوبَهَا<sup>(١)</sup>  
ليس يصلح شيء من ذلك إلا على مازاء ، لو قلت : رأيته ويكتب ، ودخلت عليه وبهى الحديث ، وترزقها ويدعو الديك صباحه — لم يكن شيئاً .

وما هو بهذه المزلة في أنك تجد المعنى لا يستقيم إلا على ما جاء عليه من بقاء العمل على الاسم قوله تعالى<sup>(٢)</sup> . ( إن ولبي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ) ، وقوله تعالى<sup>(٣)</sup> . ( و قالوا أساطير الأولين اكتنثها فهى تمل عليه بكرة وأصيلا ) ، وقوله تعالى<sup>(٤)</sup> ( و حشر لسميمان جنوه من الجن والأنس والطير

(١) ترزقها : عَزَّزَ الشَّرَابَ ، كَتَمَصَهَ ، أَيْ شَرِيهَ مَصَّاً ، وَلَازَةَ — بالضم —  
الْخَرَّةَ فِيهَا حَوْضَهُ ، وَلَازَةَ ( مَالْتَحَ ) وَلَازَ ، وَلَازَهَ ( الْفَمُ ) الْخَرَّةَ فِيهَا مَزاَةَ ،  
وَمَمَّ — تَحْبِيْنَهَا ، وَمَا أَحَبَنَ تَبِيرَهُ عن قُرْبِ الصَّبَاحِ بِدَعَاءِ الْدِيْكِ إِلَاهٍ ، وَبِرِيدٍ مِّنْ  
دُوْبِيِّ نَمَشٍ : قَرْبَ النَّرْوَبِ ، وَلَذَّاكَ قَالَ : تَصُوبَا ، الْوَاحِدُ مِنْ كَوَاكِبِ بَنَاتِ  
نَمَشٍ يَسْمِي إِنْ نَمَشَ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٦ .

(٣) سورة الفرقان آية ٥ .

(٤) سورة الحج آية ١٧ .

فهم يوزعون ) ، فإنه لا يعني على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقبله ، إن ولدك الله الذي نزل الكتاب ويقرئ الصالحين ، واكتبهما فتملي عليه ، وحشر لليمان جنوده من الجن والأنس والطير فوزعون — يوجد فقط قد تبا عن المعنى ، وللمفهوم قد زال عن صورته ، والحال التي يتبعها أن يكون عليها « . »

#### وتفصير هذا الحديث :

أن الإمام عبد الناصر روى أنه إذا تقدم المسند إليه على خبره الفعل ولم يكن في الكلام ذي مثل : زيد قد فعل ، وأنا فلت ، وأنت فلت ، كان قصد حديث التكلم وغرضه موجه إلى هذا المسند إليه المتقدم ، لكن على أحد اعتبارين : —

#### الاعتبار الأول :

أما أن يكون قصد المتكلم على أن يتصدى على هذا المسند إليه ، ويجعل الفعل له وجده دون أي مسند إليه آخر يمكن زعم استناد الفعل إليه ؛ وأنذاك يكون تقديم المسند إليه على المسند الفعلي يقوض القصر ، مثل قوله في المثل :  
أندلي بضم أنا حرشه

#### الاعتبار الثاني :

وإما أن يكون قصد المتكلم أن يتحقق على السامع أن المسند إليه قد فعل الفعل المثبت له ، لاشك في ذلك ولاريبة ، ومن هنا يهدى الحديث به ، ثم يوقع الفعل عليه كي يتحقق إسناد الفعل له مرتين : مرة عند الابداء به ثم بإسناد الفعل له تكون الجملة الفعلية خيراً عنه ، ومرة أخرى عند إسناد الفعل له باعتبار

وقوعه، فاعلا بعده الفعل . وتقديم المستند إليه على المبتدء الفعل (على هذا الاعتبار) ينفي تبييه الساعي إلى هذا المستند إليه ، وتحريف حكم الجملة ومضمونها .

#### وأكثر ما يكون الاعتبار الأول:

إذا كان الفعل الذي سيؤدي إلى الاسم ، وبين عليه فعلًا ماضياً – كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس<sup>(١)</sup> ، الذي نسبع أمثلة لهذا الاعتبار في القرآن ، تم ذكر بعد هذه الملاحظة أنها الدليل الذي يجب الارتكاب به في أدلة هيل القمر .

ومن الأمثلة القرآنية المقيدة للомер على هذا الاعتبار الآيات الستة الآتية في مورد نعم الله سبحانه وتعالى على الناس في سورة النحل<sup>(٢)</sup> ( وَلَهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ – وَلَهُ خَلَقَكُمْ نَبْوَاتِكُمْ – وَلَهُ نَصَلَ بِمَضْكُمْ عَلَى بَعْضِ فِرَارِ الرِّزْقِ – وَلَهُ جَلَّ لَسْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًاً – وَلَهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا – وَلَهُ جَلَّ لَسْكُمْ مِنْ بَيْوَتِكُمْ سَكَنًا – وَلَهُ جَلَّ لَسْكُمْ مَا خَلَقَ عَلَلًا ) .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس<sup>(٣)</sup> : « وقد جاءت هذه الآيات الشريفات مفيدة لنعم الله على الناس ، ودفأنا قد يفهم من أن الله شريكا فيها ، أو أن للإنسان يدًا في الحصول عليها ، فاقتضى المقام أن يقتصر أمر تدبرها على الله سبحانه ، وأن يؤكد هذا المعنى في أذاعان الناس .

(١) انظر كتابه ( من أسرار اللغة ) ٣١١ .

(٢) أرقام هذه الآيات على الترتيب في سورة النحل ٦٥ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٨ .

(٣) من أسرار اللغة ٣١١ .

« ولذلك نجد هذا النظام (المستند إليه + المستند : فعل ماضي) في هذه الآيات أسلوبًا من أساليب القسر يحسن لأن فاجأ إلينا إلا حين تزدَقَ قصر صفة من الصفات على المستند إليه ، وهي استقرّ هذا في الأدعى فاسنًا بمحاجة إلى دليل آخر على إفاده هذا القسر كأن نفس من الواقف أو الملابسات دليلاً على إرادة القسر بتعلّق هذا النظام » .

وأكثُر ما يكون الاعتبار الثاني:

إذا كان الفعل الناجي سيؤدي إلى الامر وبين عليه فعلاً مضارعاً ؛ لأن ذلك أغلب ما يكون في حالة الحال ، وهي من معارض الشك الذي يحرص المتكلّم على أن يزيده عن صاحب الحال ، مثل قول الشاعر :

غَرَّتْهَا وَالْدِيكَ يَدْهُو صِبَاحَهُ      إِذَا مَا بَدَأْتُ نَعْشَ دُنْوا فَخَصُّوْبَا

وقد توسيع الإمام عبد القاهر في التفصيل لهذا الاعتبار الأخير لشيوعه في الأساليب الأدبية ، ومن ذلك قوله : هو يعطي الجزيل ، وقول الشاعر :

هُمْ يَفْرُشُونَ الْأَبْدَ كُلَّ طَمْرَةٍ      وَأَجْرَدْ سَبَاحَ بَيْنَ الْمَالَمَانِ  
وقول الله سبحانه (١) : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَمِمْ

يَخْلُقُونَ ) .

وقد شرح الإمام عبد القاهر معنى الأمثلة التي ذكرها مؤكداً على أن تدبر المستند إليه فيها يفيد تبيينه السامي إلى هذا المستند إليه ونحوية حكم الجملة ومضمونها ثم تحدث عن المعنى النحوي الذي استعمله رجل البلاغة لأداء هذه الفائدة، فذكر

(١) سورة الفرقان آية ٣.

أن رجل البلاغة لا يأتى بالاسم معرى من العوامل إلا الحديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا جاء الحديث بعد ذلك جاء بعد الوطئة له ، فيدخل على القلب — قلب مستممه —دخول للأسنوس به ، المطمئن إليه فيكون ذلك أدعى لتأكيد.

ومندى أن الإمام عبد القاهر يذكر على الأحسان الفضي الذي تحدثه براعة استهلال الأديب السكاكى ، وكأن هذا الآتيان بالسند إليه المقدم على خبره الفعل يرى المستمع للأديب شهادة حالية لتلقي والقبول ، فإذا تحدث الأديب بعد ذلك كان هذا الحديث أى ، لكن في النفس ، وأوقع في الفؤاد ، وأنقى الشبهة المفتعلة ، وأدخل في التحقيق والتأكيد . هكذا يصل الإمام عبد القاهر إلى تقوية حكم الجلة ومضمونها .

أما الإمام السكاكى فيفتقن مع الإمام عبد القاهر في إفاده تقديم المسند إليه العلم على خبره الفعل . ومثل ذلك المسند إليه الضمير الماز في مكانه على الابتداء دون مراعاة كونه آتيا من تأثير<sup>(١)</sup> . التقوية والتأكيد ، وإن كان بالطبع إلى التحريف الحصول على هذه التقوية ، وذلك التأكيد ، فيقول المقالة التي سبق

(١) سبق أن ذكرنا ... في تقديم المسند إليه النكرة على خبره الفعل . أن الإمام السكاكى يرى أن الضمير في مثل قولنا : أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف فيه احتفال الفعل ، واحتفال التقوية .  
أما الأول : فإذا اعتبرنا مقدماً من تأثير ، يعني أن أصل الكلام : عرفت أنا  
وعرفت أنت ، وعرف هو .  
وأما الثاني : فإذا اعتبرناه ثابراً في مكانه على الابتداء دون مراعاة تقديم  
التقوية . كما ذكرنا من قبل .

أن ذكر ناهاله<sup>(١)</sup> : « وسبب تقوّيه هو : أن للبعد لسكونه ميّداً يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعد ما يصلح أن يستند إليه صرفة للبعد إلى نفسه فيفقد بعدها حكم ، سواه ، كان حالياً عن ضمير المؤودأ نحو : زيد غلامك ، أو كان متضمناً له ، نحو : أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف ، أو زيد عرف<sup>(٢)</sup> ، ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفة ذلك الضمير إلى الميّدا ثانها ففيكتفى الحکم تقوة ، فإذا قات : هو يعطي الجزيل — كان المراد تحقيق إعطائه الجزيل عند السامع أي أن سبب التقوية يرجع إلى تذكر إسناد الفعل الميّدا إليه — على ما أوضحتنا من قبل ، مرة على أنه ميّدا ، ومرة على أنه فاعل .

على أن الإمام عبد الناصر قد توسع في بيان أن هذا الفصل الأخير من المتكلّم (الاعتبار الثاني فيما قدمناه) بتفيد تقوية حكم الجملة ومضمونها ، فذكر حديث القنّيه البلاغي الطريف لضمير القمة .

والشأن الذي يقدم أولًا يسترق انتهاء السامع قبل الاصفاح عن مادة الضمير ومنها ، حتى إذا جاء ، الاصفاح عن ذلك تمكن الميّ في فزاد السامع تشكّلاً تقوياً ، وأنت به نفسه أنساً شديداً ، وزاد ذلك الأسلوب ثقافة وروعة وشرفاً .

(١) مفتاح العلوم ٩٦ .

(٢) جاء في كتاب الدوائد القيائية (ص ١٥٧) ما نصه : « أنا عرف دون أنا عرفت في التقوية ، لمدم تغير الضمير في الخطابة ، والخطاب والقافية » كما جاء أيضًا (ص ١٥٣) : « زيد عرفت ، أو عرفته : للتأكيد ، وزيداً عرفت للتخصيص ، وأنا عرفت : بعدهما ، وكذا زيداً عرفته بتصدير الإصل : عرفت زيداً عرفته ، إلا في نحو قوله تعالى « وأما زيد فهذا زيد » إذ لا يصح « وأنا فهذا زيد » .

راجع تحقيق هذا الكتاب ودراسته في رسالة التخصص « للأجيال » المطروحة بكلية اللغة العربية للأستاذ عاشق حسين نصار .

كما ذكر الإمام عبد القاهر في مجال بيان أن هذا الأسلوب - على الاعتبار الثاني - ينفي تقوية حكم الجملة ومضمنها بعض مقامات استخدام هذا الأسلوب، وما ذكره :

١ - أن هذا الأسلوب يأتي عند الرد على إشكال منكر ، مثل قوله سبحانه (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ، روى القرطبي<sup>(١)</sup> : أن اليهود كانوا قد استدأدوا من الأغواط أموالاً فلما أسلم أرباب الحقوق ، قالت اليهود : ليس إسْكُمْ عَلَيْنَا شَيْءٌ لَأَنَّكُمْ تَرْكُمْ دِينَكُمْ فَسَقَطَ هَذَا دِينَكُمْ ، وَادْعُوا أَنَّ حُكْمَ التَّوْرَاةِ ثَالِكَاذِبٌ - لَا يَعْلَمُ فِي الدِّينِ - لَا يَعْلَمُ بِإِنَّهُ كَاذِبٌ ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ بِإِنَّهُ كَاذِبٌ كَانَ أَبْدَدُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمْ بِالْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَاذِبٌ ، فَالْمَقَامُ مَقَامُ إِشْكَارٍ ، وَمِنْ هَذَا كَانَ تَقْدِيمُ الْمَسْدَدِ عَلَى الْمَسْدَدِ إِلَيْهِ فِي الْآيَةِ السَّكِيرَةِ .

٢ - أن هذا الأسلوب يأتي عند الرد على الشاك : وذلك في مثل ماقال عبد القاهر : أن يقول الرجل لرفيقه - شاكاً في علمه بأمر يدور حدائقه بينما - كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يباشك ، فبرد عليه رفيقه : أنا أعلم ولكن أداره .

٣ - أن هذا الأسلوب يأتي في تسكيت مدع (أي يأتي في مقام الرد على الادعاءات السكاذبة) مثل قول الله سبحانه<sup>(٢)</sup> (إِذَا جَاءَوكُمْ قَالُوا آتُنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) ، ذلك أن قوله (آتُنَا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به ، فالمعنى موضع تسكيت .

(١) تفسير القرطبي ج ٢ / ١٣٦ طبعة الشعب ، والأية من سورة آل عمران رقم ٧٥ .

(٢) سورة للائدة آية ٦١ .

٤ — أن هذا الأسلوب يأتي فيما يقياس في منه أن لا يكون ، (أى فيما هو خارج عن نطاق المقل والمعاق) مثل قوله سبحانه (١) (وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ أَمْلَه لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلُقُونَ) ذلك أن نطاق المقل والمعاق لا يقتضي أن يكون المبود مختلفة ، من هنا كان النول السكري (وهم يخْلُقُونَ) .

٥ — أن هذا الأسلوب يأتي فيما يستغرب من الأمر ، وأقول قبل شرح هذا الموضع : إنه قريب ما قبله ، ولذلك قال عبد القاهر عقب الموضع السابق ، وقبل ذكر هذا الموضع : وكذلك في كل شيء كان خيراً على خلاف الماداة ، ومثال ما نحن فيه : أن تقول : الاتتني به فلان : يدع المظيم وهو يعني باليسير ، والأمر المستغرب ، والظاهر الذي على خلاف الماداة ، والأسلوب الذي يأتي فيما يقياس في منه لا يسكون ، كل ذلك يحتاج إلى الفأ كيد وإبعاد السام عن موطن الشك والزريبة ، ومن هنا يمكن تقديم المسند إليه فيها على المدد .

٦ — ثم ذكر الإمام عبد القاهر أن تقديم المسند إليه ليقيده التقوية بحسن ويكثر في الوعد والضمان ، ذلك أن من شأن (الذى وعد به أو حذف له أمرًا أن يعترضه الشك في تمام الوعد ، وأداء الضمان ، ولذا فهو من أوجب شيء إلى التأكيد كما يقول عبد القاهر ، ومن هنا يجب على الأديب أن يخاطبه قائلاً : أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر .

٧ — كأن هذا الأسلوب يحسن ويكثر في المدح مثل قول الشاعر :  
ولآلات تفرى ماحلقت وبعـ هـنـ الـقـومـ يـخـلـقـ ثـمـ لـاـ يـفـرـىـ  
ذلك أن من شأن المادح أن يعن السامعين من الشك فيها يدح به وبها عدم  
من الشبه .

(١) سورة الفرقان آية ٢ .

٨ - وكذلك يكثر هذا الأسلوب ويحسن في التغزير مثل قول الشاعر :  
نَحْنُ فِي الْمَشَاهَةِ نَدْعُو الْجَافِلَيْ لِأَرْبِي الْأَدِيبِ نَهِنَا بِتَغْزِيرِ  
جِئْتُ الْفَتَنَرِ بِمَاجِيْرَ مَاسَّةَ إِلَى نَأْ كَوْدِ قَوَاهِ

٩ - ومثل ذلك أيضاً أسلوب الافتراض الكاذب مثل قوله سبحانه وتعالى كما في  
قول السكافرين للغافرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم :<sup>(١)</sup> (وقالوا أسلطوا  
الأولين اكتفيتهم خبرى تعلى عليه بكرة وأصيلا) ذلك أن الذي يفترى الكلام  
كذباً وإفسكاً وانزاء من عنده يحتاج إلى تقوية أسلوبه كي يصدقه السامعون  
ويقتنعون بمحديته .

١٠ - كأن هذا الأسلوب أيضاً يحسن في مقام الحديث عن الفهم مثل قوله  
سبحانه<sup>(٢)</sup> (إِنَّ وَلَيْسَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَقُولُ الصَّالِحِينَ)، الآية من  
قبيل حما كأمة قول النبي صلى الله عليه وسلم - المفعم عليه - في حدديثه عن نعم الله  
عليه ، وهذا المقام يحتاج إلى التأكيد حتى يكون للسامعون على يقين وثقة من  
مضمون حديث النعم ، ولقد أورد القرطبي في حدديثه عن هذه الآية ما يشير إلى أن  
المقام يحتاج إلى التأكيد فقال<sup>(٣)</sup> « فِي سَعْيِهِ مَلِمٌ عَنْ عَرَوَيْنِ الْمَاصِنِ قَالَ سَعَيْتَ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهَارًا غَيْرَ سَرِّيْ قَوْلُكَ : أَلَا إِنَّ أَلَّا يَ- يَعْنِي  
فَلَانَا<sup>(٤)</sup> - لِيَسْوَى لِي بِأَوْلَاهِكَ ، إِنَّمَا وَلِيَنَّ اللَّهُ وَصَاحِبَ الْمُؤْمِنِينَ ». فاستفتاح الحديث

(١) سورة الفرقان آية ٥ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٦ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٤/٤ ٢٧٧٩ .

(٤) في شرح النووي على صحيح مسلم « هذه السكاكية : يعني فالناس ، هي من  
بعض الرواية حتى أن يسميه غير قرب عليه مأسدة وفتنة ، إما في حق نفسه ، وإما  
في حق غيره » .

بأداة النفيه (ألا) ثم العاًكيد : (إن) والنفي بمدتها ، وأسلوب القصر [إنما كل ذلك بشير إلى أن المقام مقام تأكيد . والآية حديث النعم من جانب النعم عليه.

أما حديث النعم من جانب النعم فقتل قوله سبحانه (١) (وَحَسْرَ لِسَانَ جَنُودَهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ وَالظَّلَّمِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) حيث يتقدّم قوله عزوجل (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أن جنود سليمان أوزاع ، أي طوائف متعددة من الجن والأنس والظلام ، وفي ذلك من الكلمة ما يحتاج إلى التأكيد ، ذلك أن الحشر يقتضي الجح السكامل لهؤلاء الجنود بمعناها مختلف طوائفهم ، وإن تلك جاءت القول السليماني في موضع آخر من القرآن عن الحشر بما يقود الجميع السكامل حيث قال عز من قائل (٢) (وَحَسْرَ نَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) .

تقديم المسند إليه على الخبر الوصف الشعقي الشبيه بالفعل :

لم يتحدث الإمام عبد القاهر عن هذا الموضوع من التقديم ، وإن كان يمكن أن نليس حديثه في هذا المرضخ على حدديثه عن تقديم المسند إليه على خبره الفعل مادام لم يتحدث بالخلافة أو بحكم جديد في هذا المجال .

على أن من يطبع حديث الزمخشري - إمام بلاده عبد القاهر الطبلبيه ورائدعا - يجد أن إفادته التفصيّوس أكثر من إفادته الفقوية في النصوص القرآنية الشرعية . ومن هنا يمكن أن يصح تفاسيراً رأى عبد القاهر في هذه المسألة على رأيه في المسألة السابقة ، كما يمكن أيضاً معرفة مطابقته رأى الزمخشري في هذه المسألة على وأيده في تفاسيرها ، وحق يتحقق القول بصورة أكثـر قول :-

(١) سورة النمل آية ١٧ .

(٢) سورة الكهف آية ٤٣ .

يرى الإمام عبد القاهر أن تقديم المسند إليه على خبره الوصف المشتق الشبيه بالفعل ينفي التخصيص قطعاً إذا سبق هذا المسند إليه بـ«فـ»، أما إذا لم يسبقه بـ«فـ» فإنه ينفي التخصيص أو التقوية.

ويرى الإمام الراغب أن تقديم المسند إليه على هذا الخبر المشتق ينفي التخصيص كـ«فـ» التقوية.

أما الإمام السكاكي فلأنه إذا أسلأه عن رأيه تجده يقول :<sup>(١)</sup> « ويقرب من قوله أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف ، في إعتراف تقوي الحكيم زيد عارف وإنما قلت : يقرب دون أن أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت في المخالفة والخطاب والنفي في أنا عارف ، وأنت عارف ، وهو عارف ، أشبه الحال عن الضمير <sup>(٢)</sup> ، ولذلك لم يحتم على عارف بأنه جملة ، ولا عوامل معاملتها في البناء ، حيث أعرّب في نحو دجل عارف ، دجل عارف ، دجل عارف ، كما عرف في علم الفحو ، واتبعه في حكم الأفراد نحو زيد عارف أبوه ».

ومعنى هذا أن يرى أن تقديم المسند إليه على خبره الوصف المشتق الشبيه بالفعل - في حالة النفي أو الإثبات - ينفي تقوية حكم الجملة ومقدمة مثل الخبر الفعل ، إلا أن هذا التقوي أقل منه في حالة انتبار الفعل ، ومرد ذلك إلى أن هذا الوصف المشتق له شبه بالفعل ، وشبه بالاسم الجامد ، أما شبهه بالفعل فيزعمه الضمير الفاعل كـ«فـ» ، وأما شبهه بالاسم الجامد فـ«لأن» لانتبار صورته ، أو لانتفاوت على حد تعبير السكاكي في المتكلم والخطاب والنفي ، فنقول : أنا عارف ، وأنت

(١) مفتاح المعلوم ٩٦ .

(٢) مثل زيد غلامك .

عارف ، وهو عارف ، فن أجل هذه الشابهة الاسمية عَد الإمام السكاكي هذا الوصف قاصرًا عن الفعل في إزادة القوية ، ومن أجل هذه الشابهة أيضًا لم يحكم النعمة على هذا الوصف بأنه جملة ، ولم يعاملوه معاملتها في النداء ، فأظنوا على هذه علامات الأعراب التي تقامر على الأسماء الجامدة ، كما قال السكاكي ، فقالوا : هذا رجل عارف ، ورأيت رجلاً عارفًا ، وسلت على رجل عارف ، وعاملوه معاملة للفرد فقالوا : إن النعمت السبى يكون مفردًا دائمًا مثل : زيد عارف أبا زيد .

وتفقهوا على هذه الآراء الثلاثة لأئمَّةِ البلاغة - عبد القاهر ، والزمخشري ، والسكاكيني - أنقول - كما قلت من قبل : إن الحكم بإعادة تقديم المصد إليه على خبره الوصف الشائق التخصوص أو القوية يجب أن يرجع إلى مقام الكلام ، وغرض المتكلم ، والنبيع الفرآني أمامنا تستحق منه الأمثلة المقيدة بكل منهما .

فنأملة القصر قوله سبحانه على لسان قوم ذي الله شعيب في خطابتهم له <sup>(١)</sup> (يا شعيب ما نفعك كثيراً ما تقول؛ ولو رهطك لرجوك، وما أنت عليه بعزيز) يقول الزمخشري صدد حدسيه عن هذه الآية <sup>(٢)</sup> . «أى لاتبر علينا ولا نذكر حق نذكرك من القتل ، وترفقك عن الرجم ، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم ياتيهوك دوننا ، وقد دل إيلاء ضميره حرف النون على أن الكلام واقع في العاشر لاف الفعل ، كأنه قيل ؛ وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزاء علينا ، ولذلك قال في جوابهم (أرهط أعز عليكم من الله) ولو قيل : وما هرطت علينا <sup>(٣)</sup> لم يصح هذا الجواب ، فإن قلت : فالكلام واقع

(١) سورة هود آية ٩١ .

(٢) السكاف ج ٢/٧٨٩ .

(٣) أى بدون إزادة القصر .

فيه وفي رعده وأنهم الأعزاء عليهم دوته ، فـ كـوـفـتـ صح قوله : أـرـعـلـ أـمـزـعـ عـاـيـكـمـ منـ اللهـ ؟

قلت : تـهـادـهـمـ بـهـ وـهـ نـبـيـ اللهـ تـهـادـهـ بـهـ ، تـفـينـ هـنـعـ عـلـيـهـمـ رـعـدـهـ دـوـتـهـ كانـ رـعـدـهـ أـعـزـ عـلـيـهـمـ مـنـ اللهـ ، أـلـاـ تـرىـ إـلـىـ قـوـاهـ قـالـ (١) (من يطع الرسول فقد أطاع الله).

ومـثـلـ ذـلـكـ قـوـلهـ هـنـعـ مـنـ قـاتـلـ (٢) : (وـمـ أـنـتـ بـقـوـمـ مـنـ لـانـ وـلـوـ كـنـاـ صـادـقـينـ) أـىـ أـنـتـ خـصـوـصـ الـمـفـرـدـ بـنـاـ ، وـتـوـقـمـكـ أـنـاـ سـتـحـدـثـ يـوـسـفـ الـكـرـوـهـ لـاـ تـصـدـقـهـ بـخـلـافـ غـيـرـكـ مـنـ يـسـمـعـ حـدـيـثـ الـذـيـ نـوـلـهـ لـكـ .

وـمـنـ أـمـثـلـةـ التـقـوـيـةـ قـوـلهـ سـبـحـانـهـ (٣) (مـأـنـتـ بـنـصـمةـ رـبـكـ بـعـدـنـونـ) حـوـثـ إـنـ المـرـادـ كـاـيـدـحـضـرـ مـنـ سـيـاقـ الـآـيـاتـ تـأـكـيدـ بـنـيـ زـعـيمـ الشـرـ كـيـنـ جـهـنـونـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـلـيـسـ المـرـادـ وـصـفـ أـحـدـ آـخـرـ بـهـذـهـ الصـفـةـ أـوـ التـمـرـيـضـ بـإـنـانـ آـخـرـ يـرـادـ أـنـ تـلـقـصـ بـهـ هـذـهـ الصـفـةـ

وـمـثـلـ ذـلـكـ قـوـلهـ هـنـعـ وـجـلـ (٤) : (وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـقـولـ آـمـنـاـ بـالـهـ وـبـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـمـاـ هـ بـعـدـنـيـنـ) يـقـولـ الرـخـشـرـىـ (٥) : «إـنـ قـلـتـ كـهـفـ طـابـ قـوـلـهـ : (وـمـاـمـ بـعـدـنـيـنـ) قـوـلـهـ (آـمـنـاـ بـالـهـ وـبـالـيـوـمـ الـآـخـرـ) وـالـأـوـلـ فـ ذـكـرـ شـائـنـ الـفـعـلـ لـاـ الـفـاعـلـ

(١) سورة النساء آية ٨٠.

(٢) سورة يوسف آية ١٧.

(٣) سورة الزلزال آية ٢ ، وـانـظـرـ أـيـضاـ حـدـيـثـ الرـخـشـرـىـ عـنـ الـآـيـةـ (وـمـاـنـ بـنـايـحـ لـبـلـيـمـ) - فـ الـكـشـافـ جـ ١ / ٣٤٠ - ٣٤١ - الآية رقم ٤٤٥ من سورة البقرة

(٤) سورة البقرة آية ٨.

(٥) الـكـشـافـ جـ ١ / ١٦٩.

والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ ، قات :قصد إلى إشكال ما أدعوه وفهـ ، فسلك في ذلك طريقاً إلى الفرض المطلوب ، وفيه من التوكيد والبادة ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأفسوسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما عالم من حلفهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان ، إذا شهد عليهم وأتهم في أحصهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نقـ ما انحـوا إثبات لأنفسهم على سبيل البـ والتقطـ ، ومحـ قوله تعالى <sup>(١)</sup> (يريدون أن يخرجـوا من النار وما مـ بخارـين منها) - هو أبلغـ من قوله : وما يخرجـون منها »

ثـ فيها : تقديمـ في مـتمـلاتـ الجـلة :

يشـملـ هذاـ الحديثـ أمرـينـ :

أولـهاـ : تقديمـ المـصلـقاتـ عـلـىـ الـعـوـاـمـ .

وثـانيـهاـ : تقديمـ المـذـمـلـاتـ بـعـضـهاـ عـلـىـ بـعـضـ .

(أ) تقديمـ المـشـلـقاتـ عـلـىـ الـعـوـاـمـ :

يرـىـ الإمامـ عبدـ القـاهرـ أنـ تقديمـ المـعـولـ المـسـبـوقـ بالـنـقـ علىـ جـمـلةـ عـامـلـ يـزيدـ القـصرـ قـطـعاـ حيثـ يـقـولـ <sup>(٢)</sup> : «إذا قـلتـ : ما ضـرـبتـ زـيـداـ ، فـقدـمتـ الفـعلـ : كـانـ المـفـقـ أـنـكـ قدـ نـهـيـتـ أـنـ يـكـونـ قـدـ وـقـعـ ضـرـبـ مـنـكـ عـلـىـ زـيـدـ ، وـلـمـ تـعـرـضـ فـي أـمـ غـيرـ لـنـقـ وـلـ إـثـيـاتـ وـتـرـكـةـ مـبـهـماـ مـهـمـلاـ ، وـإـذـاـ قـلتـ : مـا زـيـداـ ضـرـبـتـ ، فـقدـمتـ

(١) سورة المسـادـةـ آيةـ ٣٦ـ ، وـانـظـرـ أيـضاـ حـدـيـثـ الرـعـشـرـيـ عـنـ الآـيـةـ « وـمـا مـ بـخـارـينـ مـنـ النـارـ » فيـ الكـفـافـجـ ١/٣٢٧ـ « الآـيـةـ ١٦٧ـ مـنـ سـورـةـ الـبـقـرةـ » .

(٢) دـلـالـ الـاعـجازـ ٩٨ـ .

الم Howell : كان المعنى على أن ضرباً وقع بذلك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان زيداً ، فتفوت أن يكون إياه ، ذلك أن تقول في الوجه الأول : ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس ، وليس ذلك في الوجه الثاني ، فلو قلت : ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس كان فاسداً على مامعنى في الفاعل<sup>(١)</sup> .

ومن يأبى أن تمله : أنه يصح لك أن تقول : ما ضربت زيداً ولكنني أكرمه فتعمق الفعل النفي بإثبات فعل هو ضده ، ولا يصح أن تقول : ما زيداً ضربت ولكنني أكرمه ، وذلك أنك لم ترد أن تقول : لم يكن الفعل هذا ولكن ذلك وأسكنك أردت أنه لم يكن الم Howell هذا ولكن ذلك ، فالواجب إذن أن تقول : ما زيداً ضربت ولكن عرراً .

وحكم الجار مع المبرور في جميع ما ذكرنا حكم المتصوب فإذا قلت : ما أمرتك بهذا كأن المعنى على نف أن تكون قد أمرته بذلك ، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر ، وإذا قلت : ما بهذا أمرتك : كنت قد أمرته بشيء آخر .

ولم يتعرض الإمام عبد القاهر لحديث تقديم الم Howell على عامله في حالة الإثبات ، ونحن من خلال دراستنا لسكلامه على<sup>(٢)</sup> القديم بصفة عامة نرى أن حالة الإثبات تحتمل القصر ، كما تحتمل غيره ، وناتجأ في هذا النير إلى الإمام الزعبي الذي يرى أن القديم في الإثبات - كاف النفي - يتحتمل القصر وغيره - كاف سأني .

أما الإمام السكاكي فيزيد من خلال كلامه أنه يرى أن إفاده تقديم الم Howell على جملة عامله القصر والتخصيص مشروعه باعتبار كون هذا الم Howell مقدماً من تأثيره ، وتقدير أنه كذلك ، ذلك أنه يقول : « والقصب - أي النصب في المثال

(١) راجع ما أقدمه في حديث السندي إليه السبوق بالنقى التقدم على خبره الفعل .

زِيداً عرَفتْ - يَقُولُ أَنَّكَ خَصَصْتَ زِيداً بِالرَّفَانْ ، وَأَمَّا زِيداً مَرْنَهْ ، فَأَنْتَ بِلَطِيَارْ  
إِنْ شَتَّتْ قَدْرَتْ لِلْقَسْرِ قَبْلَ الْمَصْوَبِ عَلَى نَحْوِ عَرَفَتْ زِيداً عَرَفَهْ وَجَلَّهْ عَلَى بَابِ  
الْأَكْيَدْ ، وَإِنْ شَتَّتْ قَدْرَتْهِ بِمَدِهِ عَلَى نَحْوِ زِيداً عَرَفَتْ عَرَفَهْ وَجَلَّهْ عَلَى بَابِ  
الْمَخْصِصِ »<sup>(١)</sup>.

وَأَنَّى - إِنْ - إِلَى الْمَصْوَصِ الْأَرَأِيَّةِ لِتَعْدَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْنَاءِ الْمَفِيَّةِ لِلْقَسْرِ  
قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِلَّا كَمِيدَ وَإِلَّا كَسْمِينَ)<sup>(٢)</sup> ، يَقُولُ الْإِمَامُ الزَّعْشَرِيُّ<sup>(٣)</sup> :  
« وَنَقْدِيمُ الْمَفْوِلَ لِنَصْدِ الْأَخْتَصَاصِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup> (قُلْ أَنْفِرْ أَنْفَهْ أَمْرَنِيْ أَعْبَدْ)  
— (قُلْ أَنْفِرْ أَنْفَهْ أَبِي رَبَا)<sup>(٥)</sup> ، وَالْمَقْى : خَصَّكَ بِالْمَهَادَةِ ، وَخَمَّلَكَ بِطَلْبِ  
الْمَوْتِ »<sup>(٦)</sup>.

وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٧)</sup> (إِلَيَّ أَنْتَ فَارِهُونَ) ، يَقُولُ الزَّعْشَرِيُّ<sup>(٨)</sup> : « فَلَا تَنْقُضُوا  
عِهْدِي ، وَهُوَ مِنْ قَوْلَكَ : زِيداً رَهِبَهْ ، وَهُوَ أَوْكَدُ فِي إِنْدَادِ الْأَخْتَصَاصِ مِنْ  
— إِلَّا كَمِيدَ »<sup>(٩)</sup>.

(١) مِنْتَاجُ الْمَلْعُومِ ٩٦

(٢) سِيرَةُ الْمَائِمَةِ آئِيَةِ ٥

(٣) السَّكَافَ ج ٦١/٦ ٦٢٤

(٤) سِيرَةُ الْمَرْأَةِ آئِيَةِ ٦٦

(٥) سُورَةُ الْأَنْعَمِ آئِيَةِ ١٦٤

(٦) سِيرَةُ الْبَقَرَةِ آئِيَةِ ٤٠

(٧) السَّكَافَ ج ٦٧٦/١ ٣٧٦

(٨) جاءَ فِي كِتَابِ الْأَسْبِيلِ الْمُهَرِّبِ وَالْمُنْوَرِ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَادُورَ -  
الْجَزَمُ [الْأَكْلُ] - الْطَّبِيعَةُ الْأَوَّلِيَّةُ ١٣٨١ هـ ١٩٦٤ م - مُوَسَّى الْبَاسِيُّ الْحَلَبِيُّ - تَعْلِيَّةُ  
عَلَى الْآيَةِ السَّكَرِيَّةِ (مَا يَنِي اسْرَائِيلَ اذْكُرَ وَانْتَقِ أَنِّي أَنْتَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعِهْدِي  
أَوْفِي بِعِهْدِكُمْ وَلَا يَأْتِي فَارِهُونَ) - سِيرَةُ الْبَقَرَةِ آئِيَةِ ٤٠ مَا نَصَهُ (٤٤٢ - ٤٤٥)

**وجوه عندي:** أن تقديم المعمول يحتمل الاختصاص ، إلا أن الأصل فيه أن يدل على الاختصاص إلا إذا قامت القراءة على التقويم ، فإذا كان مع التقديم استقلال العمل بضمير القدم نحو : زيداً ضربته – كان الاختصاص أو كذا ، أي كان احتفال التقويم أحدث ، وذلت لأن إسناد الفعل إلى الضمير بعد إسناده إلى الظواهر للتقدم يزيد التقويم ، فنتيجة أن تقديم المعمول للاختصاص دون التقويم ، إذ التقويم قد حصل باستقلال الفعل أولاً إلى الاسم أو الظواهر للتقدم ، وبالتالي إلى ضمير التقدم .

ولهذا يقال صاحب «الكتاب» وهو ا كثي انتصا ساماً ولا اقوى انتصا ساماً ، إذ الاختصاص لا يقبل التقوية ، بل قال وهو أو كد في إفادة الاختصاص ، اي ان إفادته الاختصاص أقوى ، لأن اختصار كون التقديم للتقوية قد صار مع الاختصار ضيقاً جداً .  
وأنا ندعى أن الاشتغال متين لاتخفيص فانه قد يأتي بلا تخفيص فـ نحو قوله تعالى : «إنا كل شيء خلقناه يقدر» وقوله عز وجل ( أبشر ) من واحداً تباهي )  
ـ يقول زهرـ

**فَكَلَّا إِرْهَمَ أَبْجُوْرَا يَقَاتُونَةٍ صَحِيْحَاتِ مَالِ طَالَّاتِ بَعْتَرَم  
ظَابُورَ أَنْ لَا مِنْيَ لِتَخْصِصِ فَشِيمَ عَادَ كَرَنَا .**

غير أن الفالب أن يسكون التقديم مع صيغة الاشتغال للتخصيص ، إذ العرب لا تقدم للنحو خالياً إلا بذلك .

ولا تؤدي إلى ما وجد به صاحب المفهوم أن احتفال المفهوم في الاعتبار التخصيص والتقوي باق على حاله . ولكنك إن قدرت العمل المذدوج متقدماً على المفهوم كان التقديم للتقوي ، وإن قدرته بعد المفهوم كان التقديم للتخصيص . فإنه - أي المكافي - بناء - أي بني هذا التوجيه - على حالة موطن الفعل المقدر ، مع أن قدرة العمل اعتبار لا يلاحظه بالبناء ، ولا يتم بنسوبون على موقفه قرينة ، فتعين أن السامع فيما يعتقد بالتقديم المخصوص ، وبشكله العادي .

وأما الاعتداد بوقوع الفعل للقدر ففواه على غير مشاهدة لأن التقدير إن كان بنية المتكلم فلا قبل للإمام بعمره نيته ولا يصح أن يكون الخيار في التقدير السامي .

هذا ، والتقديم إذا اتفق بالفاء كان فيه مبالغة ، لأن الفاء - كافية هذه الآية  
مؤذنة بشرط مقدر ، ولما كان هذا الشرط لا دليل عليه إلا للفاء تبين تقديره بما  
نحوه : إن يكن شيء ، أو مهما يكن شيء . - كما أشار له صاحب السكشاف في قوله  
تالي (وربك فكير) حيث قال : « ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قبل مهما كان  
فلا تدع سكيرا » .

فالمعنى هنا : وأوفوا بهمدى أوف بهمدى ، ومهم ما يكن من شيء ؛ فإيام فارهبونى  
فلا حذفت جملة الشرط بعد واو المطف بقىتم فأداء الجواب موالية لواو المطف ،  
فرحلقت إلى أثناء الجواب كراهية توالى حرفين ، تقيل : وإيام فارهبونى بدلا عن أن  
يقال (فارهبون) .

والنهاية على الشريط المام يستلزم تتحقق وقوع الجواب لأن التسلق الشرطي عن طريق ربط المسبب بالسبب ، فإذا كان المماق عليه أمراً متحقق الواقع لمدم خلو الحديثان عنه تتحقق تحقق وقوع المماق . وهذا يعني على مذهب مسيوبيه في باب الأمس والتي يختار فيما ينصب في الأسم الذي يعني عليه الفعل ، وذلك مثل قوله تزيداً أصغر به ، أو مثل

وقوله جل شأنه<sup>(١)</sup> (فَهُمْ لَا يَالِكُونُ)، بقول الراغب<sup>(٢)</sup>: «أَيْ خَاتَّاهَا  
لِأَجَامِ فَلَسْكَنَاهَا إِلَاهٌ فَهُمْ مُتَصَرِّفُونَ فِيهَا تَصْرِيفُ الْمَلَكِ، مُتَحَصِّنُونَ بِالْاِنْتَفَاعِ  
فِيهَا لَا يَرَاهُونَ» .

ذلك : أَمَا زِيدًا فَأَنْتَهُ ، فَإِذَا قَاتَ زِيدًا فَأَنْتَ بِهِ لَمْ يَسْتَقِمْ أَنْ تَحْمِدَ عَلَى الْابْدَاءِ  
الْأَرْتَى أَنْكَ لَوْ قَاتَ : زِيدًا فَلَعْلَقَ لَمْ يَسْتَقِمْ

الله هنَّا فِي مَنْزِلِ الْجَزْمِ ، فَنَّمْ جَزْمُ الرَّغْبَرِيِّ بِأَنْ هَاهُهُ اللَّاهُ مِمَّا وَجَدَتْ  
فِي الْاِنْتَفَاعِ دَلِيلٌ عَلَى شَرْطِ عَامِ الْعَذْوَفِ ، وَأَنَّ اللَّاهَ كَانَ دَاخِلَةً عَلَى الْإِسْمِ فَرَزَّاقَتْ  
عَلَى حُكْمِ نَاهِيَهِ جَوَابَ أَمَّا الشَّرْطِيَّةِ .

وَاحْسَبَ أَنْ مِثْلَ هَذَا الْأَرْكَيْبِ مِنْ مِبْتَكِرِ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنْ  
عَثَرَتْ عَلَى مِثْلِهِ فِي كَلَامِ الْمَرْبِ .

وَمَا يُؤْيِدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ السَّكَافِ الْمَرْقُ عَلَى كَلَامِ سَيِّدِهِ مِنْ اعْتِبَارِ اللَّاهِ  
مُشْمَرَةً بِشَرْطِ مَقْدِرٍ ، أَنَّ غَالِبَ مَوَانِعِ هَاهُهُ اللَّاهِ الْمُتَقْدِمُ مَعَهَا تَنَاهُولُ عَلَى مَدْخَلِهَا  
أَنْ تَقْعِدْ بِهِ نَهْيٌ أَوْ أَمْرٌ بِنَاقْضِ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ تَقْدِيرُ اللَّاهِ تَحْمِلُهُ ذَرَفَهُ  
تَمَالِيًّا (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَنْتَ رَكِتَ . . . إِلَى قَوْلِهِ  
( . . . يَلِ إِنَّهُ لَغَيْبٌ) وَقَوْلِهِ الْأَعْتَى (وَلَا تَنْبِهِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ قَبِيلُهُ) فَسَكَانُ مَا يَتَقدِّمُ  
هَاهُهُ اللَّاهُ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ شَرْطٌ فِي الْمُنْتَهَى ، وَكَانَ اللَّاهُ تَعَذُّذَةً بِذَلِكَ الشَّرْطِ وَعَلَمَهُ عَلِيٌّ ،  
نَلَأْجُلُ كُوَّنَهُ مَدْلُولًا عَلَيْهِ بِدَلَلِيَّنِ (أَصْلُهُ وَارِعٌ) كَانَ كَالْمَذْكُورُ كَأَنَّهُ قَبِيلٌ : لَئِنْ  
أَخْرَكْتَ لِيْجَيْطَنْ عَمَلَكَ ، فَإِنْ كَنْتَ عَابِدًا عَيْنَتَ فَالَّهُ فَاعِبٌ ، وَكَذَا فِي الْبَيْتِ .  
وَهُدَى ، فَلَمَّا لَمْ يَفْصُمْ عَنْهُ السَّلْفُ ، خَذَّلَهَا وَلَا نَعْفَ .

فَتَحْصِلُ أَنْ فِي التَّبَيِّنِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْأَخْتَصَاصِ فِي كَلَامِ الْبَانَاهِ مِرَاثِ أَرْبِعٍ :  
عِبْرَهُ الْتَّقْدِيرِ الْمَدْهُولِ تَحْمِلُهُ إِلَيْكَ تَهْبِطُ ، وَتَقْدِيمُهُ عَلَى فَعْلِهِ الْمَاءِلِ فِي ضَيْرِهِ تَحْمِلُهُ زِيدًا  
رَهْبَتْهُ ، وَتَقْدِيمُهُ عَلَى فَعْلِهِ مِنْ اقْرَانِ الْفَعْلِ بِالْفَاءِ تَحْمِلُهُ وَرِبِّكَ سَكِيرٌ ، وَتَقْدِيمُهُ عَلَى  
فَعْلِهِ الْمَاءِلِ فِي ضَمِيرِهِ مِنْ اقْرَانِ الْفَعْلِ بِالْفَاءِ تَحْمِلُهُ إِلَيْكَ فَارِهِبُونَ .

(١) سورة يس آية ٧١ .

(٢) السَّكَافُ ج ٣ / ٣٣٠ .

ومن الأمثلة المقيدة لغير القصر قوله، عن من قال<sup>(١)</sup>: (أَنْفَرَ دِينَ اللَّهِ بِيَضْنُونَ) يقول الزمخشري<sup>(٢)</sup> : « وَقَدِ الْمَفْوُلُ الَّذِي هُوَ غَيْرُ دِينِ اللَّهِ عَلَى فَهْلَةِ الْأَمْمَةِ مِنْ حِلٍّ ». حيث إن الانكار الذي هو مني المدرة متوجه إلى المبود بالباطل . . . . . ومعنى هذا أن تقديم المفول على جملة فعله الاعظام<sup>(٣)</sup> .

وقوله سبحانه<sup>(٤)</sup> : (وَآتَيْتُ لَهُمُ الْأَرْضَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَيًّا فَنَهَى يَا كَلُونَ ) ، يقول الزمخشري<sup>(٥)</sup> : « بِتَقْدِيمِ الظَّارِفِ - (أَيُّ مَهِّ) الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْحَبَّ هُوَ الشَّوْءُ الَّذِي يَعْلَمُ بِهِ مُعَظَّمُ الْعِيشِ وَيَقُولُ بِالْأَرْتَزَاقِ مَدَّ صَلَاحِ الْأَنْسِ إِذَا قُلَّ جَاءَ الْقِطْعُ وَقَعَ الْفَسَرُ ، إِذَا قَدِ جَاءَ الْمَلَكُ وَزَلَّ الْبَلَاءُ ». وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ قَدِيمَ الْجَارِ وَالْمَحْرُودَ (مَدَّ) عَلَى الْجَمْلَةِ الَّتِي يَعْلَمُ بِهَا (يَا كَلُونَ) إِنَّمَا هُوَ لَكَثِيرَةُ تَعْلُقِ أَسْبَابِ النَّاسِ بِهِ مِنْ رِزْقٍ وَضَرٍ وَهَلَكَ ، عَلَى حَسْبِ قَدْرِ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ تَذَكُورٍ أَوْ تَقْمِةٍ ، إِنَّمَا قَالَ الزَّمَخَشَرِيُّ: إِنَّ التَّوْرِيجَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَا يَقْدِيمُ التَّحْصِيصَ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَا كَلُونَ الْحَبَّ فَقْطًا ، إِنَّمَا يَا كَلُونَ فَضْلًا عَنِ الْحَبَّ: الْمَحْوُومُ وَالنَّوَّاكُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَ الزَّمَخَشَرِيُّ عَنِ الْآيَةِ السَّكِيرَةِ<sup>(٦)</sup> (وَالْأَنَامُ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دَفَ ، وَمَفَانِعُ وَمَنْهَا تَأْكُلُونَ)<sup>(٧)</sup> : « بِتَقْدِيمِ الظَّارِفِ فِي قَوْلِهِ (وَمَنْهَا تَأْكُلُونَ) مَؤْذَنٌ بِالْأَخْصَاصِ ، وَقَدْ يُرَكِّلُ مِنْ

(١) سورة آل عمران آية ٨٣ .

(٢) السكاف ج ١ / ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) ويجوز أن يبيّن التقديم الاختصاص أيضًا ، بل إنه أولى في ظلّي في مثل هذا القام .

(٤) سورة سس آية ٣٣ .

(٥) السكاف ج ٣ / ٣٢١ .

(٦) سورة النحل آية ٥ .

(٧) السكاف ج ٢ / ٤٠١ .

غيرها؟ قلت : الأكل منها هو الأصل الذي يعتقد الناس في سماعهم ، وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيدها البر والبقر فكثير المدح بهو كالماء بغير الفاكهة ، ويحصل<sup>(١)</sup> أن طعنةكم منها لا تكفي تعرفون بالبلق ، فالحب والغار التي تأكلونها منها ، وتسكنبون يأكلوا الإبل وتهبون شاجها وتأكلونها وجلودها . أى أنه يرى أن الآية يمكن أن تحصل على جانب الاختصاص مع إهداه جواب الأكل الأخرى على سبيل المبالغة فضل الأنعام ، كما يمكن أن تحصل على جانب السبيبة ، لأن للأنعام مدخل كبير في كثرة من طرق الأكل.

ومن الأمثلة الجامدة للتعذر وغيره قوله سبحانه<sup>(٢)</sup> ( وكذلك جعلناكم أمة وسطأً لاتكونوا شهداء على الناس وبكون الرسول عليكم شهيداً ) يقول الزمخشري<sup>(٣)</sup> : « فإن قلت : لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخر؟ قلت لأن الفرض في الأول إثبات شهادتهم على الأنعام ، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم » .

وقوله عن من قائل<sup>(٤)</sup> : ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يمده وهو أهون عليه )

(١) فهمت البلاغة للآخرة أن الإمام الرحمن يقصد بهذا التوجيه أن القصر حقيق تحقيق ، وبالنوجيه الأول أن القصر كمال شفاف . وفي اعتقادى أن الرحمن يرى بهذا التوجيه وجهاً آخر غير القصر لأنه لا يعنى عليه أن طرق الطعام تأتى ببيان غير الأنعام ونتائجها وبيانها وغير ذلك مما ذكره . فابواب التجارة والصناعة الكثيرة متعددة ، والأنعام بكل ما فيها من منافع لا تصل إلى حد جمع أسبابهما وأبراهيم .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٣) الـكـشـاف ج ١ / ٣١٨ .

(٤) سورة الروم آية ٢٧ .

يقول المشتري<sup>(١)</sup>: «فإن قلت: لم أخررت الصلة في قوله - وهو أهون عليه - وقدرت في قوله - يهو على هين -؟ قلت: هناك قصد الآية تصادر وهو حزنه، قبيل: هو على هين، وإن كان مستمدًا عندك أن يوه بين هرم وعاقر، وأما هنا فلا معنى للأشخاص»، كيف والأمر مبني على ما يقتلون من الأعداء أسهل من الإبداع، فهو قدّمت الصادق تبيّن المتن».

(ب) تقديم العلاقات بعضها على بعض [إليك]

قال السيوطي في كتابه<sup>(٢)</sup>: (الاتفاق في علوم القرآن) أن الملاحة شمس الدين ابن الصاغن ألف كتابه، (المقدمة في سر الأفاظ المقدمة) وقال: «الحكمة الشائعة الدائمة في ذلك: الاعظام، كما قال سيبويه في كتابه: [كانهم يقدمون الذي بيانه أعم، وبيانه أعم]» ثم قال: هذه الحكمة إجلالية، وأما تفاصيل أسباب التقاديم وأسراره فقد ظهرت في ملخص الكتاب العزيز عشرة أنواع هي: الذرك، والتمائم، والشريف، والذيبة، والحيث عليه حذرًا من التهاون به، والسوق في الزمان وغيره، والسيبة، والسكنفة، والترق من الأدنى إلى الأعلى، والعدل من الأدنى إلى الأعلى».

ثم قال السيوطي بعد أن مثل للأ نوع العترة: وزاد غيره أسباباً أخرى منها كونه أدل على الورقة وأحجب، ومنها رعاية النواصل.

و واضح أن هذه الأمور كلها تندرج عن باب التصرير، ومن ثم فلا سبيل لنا الآن أن نتوسّع في بحث هذا الموضوع

(١) لـ الكتشاف ج ٣ / ٢٢٠ .

(٢) ج ٢ / ١٨ .

يحق أن يقول كلاماً آخرة في القصر بطرق التقاديم هي :  
أن العلاء قد ذكروا وأنه إذا أجهقت إيماء ، والقاديم في الدلالة على القصر فإن  
أحد الدلالتين لا بد أن تلقي ، لأنهما كالنفيتين ، ذلك أن المقصور عليه في طريق  
إيماء هو المؤخر ، بينما هو في طريق القاديم : المقدم ، وقد جعوا على أن دلالة  
القاديم تكون أقوى من دلالة إيماء ، إذا كان المقدم من المصلفات ، لأن ذلك يعني  
أن التكاليم قد أخلصت للصلة القصر . وخاصة إذا سبقه التقى عدد عبد القاهر .  
وذلك مثل تقديم الجار والطيرود ، أو المفهول على عاملهما ، مثل قول النبي :

أجزني إذا أشتدت شرماً فإمسا

بشعري أناك المادحون مردداً

ودع كل صوت غير صوت فانق

أنا الطائر الحسيبي والآخر الصدي

المقصور عليه في قوله ( فإما يشعرى أناك المادحون ) قوله ( بشعرى ) ، والمعنى  
يريد أن يقول لسوف الدولة إن المادحين الذين يأتونكم يبعثون ، بن شعرى  
ومدحى الذي مثل أربع معانٍ وأفاظ ، وأوان المدح فلكلّا يدورون فيه ، من  
أجل هذا دع هنك كل شعر غير شعرى لأنه الأصل وأعطي الجواز كلها ،  
والقصر هنا قصر صفة على موصوف .

أما إذا كان المقدم هو أحد جزأى الجملة فليس قد اختلوا فيه ، فالإمام  
عبد القاهر يرى أن دلالة الوضع في ( إما ) أقوى من دلالة القاديم ، ولذلك  
يقول صدح حدثه عن الآية السكريعة<sup>(١)</sup> : ( فإما عليك البلاغ وعليها الحساب )

(١) سورة الرعد آية ٤٠ .

« فإنك ترى الأمر ظاهراً أن الاختصاص في الآية في البعد الذي هو البلاغ والحساب، دون التبرير الذي هو عليهك وعليهنا »<sup>(١)</sup>

ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الفيديم بين جزأى الجملة قد بدل دلالات أخرى غير القصر — كاقدمنا.

أما الإمام الزمخشري فهو كذلك — وأنا أوافقه — أن نفس الأدلة يجب أن يكون من واقع سياق المقصود وأعراضها، ولذلك نردد ما يقول في ذات هذه الآية السكرية<sup>(٢)</sup>: « ما يجب عليك إلا تبلغ الرسالة خسب، وعليها لا علوك حسابهم، جرازهم على أحوالهم ».

وعبارة الزمخشري تدل على أنه تم أثني دلالة الفيديم في القول السكري (فإنما عليك البلاغ)، بينما أثني دلالة إثنا في القول السكري (وعليها الحساب) ومره هذا إلى سوق العص السكري في كل يوم، ذلك أن متعلق الآية السكرية كلها (إنما نردد بعض الذي تعلم أد تقويفك وإنما عليك البلاغ وعليها الحساب) يدل على أنه: كفينا دارت بذلك: أرباح مصارعهم وما وعدهنام من إزال العذاب عليهم، أو توسيعك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبلغ الرسالة خسب، أما الجزاء والحساب فهو علينا لا عليك، ومن ثم فإنه لا يهمك بأعراضهم، ولا يستحب بعذابهم.

هذا، وقد أيد أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى الزمخشري في ما ذهب

(١) دلائل الإعجاز ٤٦٥.

(٢) الاكتشاف ج ٢ / ٤٦٣.

إليه قال<sup>(١)</sup> : « وقد تلاميذ العقاد من المتن أثره ، مع التقاديم الباقية أثره من ناحية  
تنظيم الكلام وتنسيقها تسييرًا إيقاعيًّا مدققاً . عليك البلاغ ... علينا الحساب ...  
ولو أنه قال : البلاغ عليك ، وعليها الحساب ، لرأيت فيها هذا التعدد ،  
و لهذا الفلاز ، وقالت الملائمة التي هي جزء من صقل العبارة وتأثيرها  
**البلاغي** » .

(١) دللات التراكيب ٣٧٣ .

## الفصل الخامس

### القصر بطرق تعريف ركفي الاستناد

أو أحدهما – بالجنسية

قبل الحديث عن القصر بهذا الطريق نتول : إن جهور النحوين قد ذكروا أن حرف التعريف ( أى ) يلى أربعة معانٍ هي : الجنس ، والاستغراق ، والمعنى الظاهري ، والمعنى الذهني .

#### ومعنى الجنس هو :

أن حرف التعريف ( أى ) يفيد تمييز المدققة والمساعدة والطوبية فنسمها دون ما يبطئها من أنوار ، كقول الباتم المشترى : الصوف أفضل ما يليس من الأقشة في الشعاء ، وكقول الطيب المويض : الأيوون أفضل شيء يفيدة الآن ، وكقول أبي الللاء المعري :

وائل كلامه يبدى لي ضائمه مع الصفا ، وبعثتها مع السكدر<sup>(١)</sup>

(١) المثل – يكسر الشاء – الصديق ، ضائمه : أي ما يدخله من الصدقة أو غيرها ، ويسكدر في الماء : أي ما يباق بها من آثياء تحول دون صفائها ، ولذلك أن الصديق كالباء في نظر الشاعر إذا ما يبدي ويظهر ما عنده من دد ، وإذا حال دون الصفاء حائل من خلاف أو قيد ، لم يتمترف الشاعر على أي شيء يدخله ، كما يحدث لدى الماء إذا حال كدر دون صفائها لا ترى في أحصاله بعدها .

وأيدين من ذلك كله قوله الحق<sup>(٢)</sup> : (وجعلنا من للاء كل شيء حي)،  
واللام عذراً - أي آن - تسمى لام الجنس<sup>(٣)</sup> .

**ومني الاستغراف هو :**

أن حرف التعریف (أ) ينفي تمیین کلا فرد من أفراد الحقيقة، سواء كان هذا التمیین حقيقة أم غيرها .

والأول يكون ؟أن يريد للنظام من القفظ الحقيقة في حصن جميع الأفراد التي يتناولها . القفظ بحسب الوضع الفوري مثل قول الله سبحانه : ( عالم القريب والشهادة ) وقوله عن من قاتل ( إن الأبرار في نعيم ) وقوله عن من قاتل ( والعمر ، إن الإنسان لن يخسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) .

وأما الثاني (الاستئراف العرق) فإنه يكون بأن يتناول فقط مفهوم منه بحسب المعرف والمادة مثل قول الله عز وجل (١) (لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فنادى ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره إن أخاف علىكم عذاب يوم عظيم) قال اللام من قومه إنما نترافق في ضلال مبين فإن (اللام) من قوم نوح هم أهل الشرف والسيادة والولاية على المجتمع وليس كل ملاً أو جماعة، ومثل قوله

١٢٠ - آيات و مآیات

(٢) هذا البيان إشارة إلى أن النساء قد اختلفوا حول آدأ التعرية هل هي اللام أم الهمزة، كما أتبه اختلافاً إذا كانت اللام حل المهمزة قابلاً أصلحة أم زائدة.

•  $\text{M} \cdot \text{A} \cdot \text{T}_{\text{c}} \cdot \frac{\text{d}^2}{\text{r}^2} \cdot \text{E}_{\text{ext}}(\text{r})$

$\lambda \in \mathbb{R}$  为常数

(٨) تجربة المعلم كلياً ما عدنا أخرين ، الآخرين منها .

(ج) صورة الأمان لف الآثار ومتاح في جميع المحافظات.

أيضاً؛ ذهب طلاب السكانية الرحلة، أى ذهب المشتريون من طلاب السكانية الرحلة، وليس كل الطيبة<sup>(١)</sup>.

والاستقرار في كلا التومين لا بد له من قرينة تشهد: أما الاستقرار المطلق - فيما قد مفاهيم الأمثلة - فإن قرينة الآباء (علم النسب والشهادة) و (إن الآباء لو نعم) حالية ممقوضة، بخلاف الآية الثالثة (والمعمر إن الإنسان لو خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإن الاستثناء فيها يمد قرينة للفعلة، إذ لا يصح هذا الاستثناء، إلا إذا كان فقط (الإنسان) قد اختلف جميع أفراد المجموعة.

وأما عن الاستقرار العرف فإن العرف نفسه يعتبر قرينة ممقوضة<sup>(٢)</sup>، واللام - أى الـ - في الموضع الأول تسمى لام الاستقرار الحقيق وعلمتها - كما يقول

(١) يجب أن تتبه هنا إلى أن هناك استقراراً آخر في التكاثر وهو متداوثر أيضاً لكن بأعتبار آخر - غير اعتبار الـ أى الـ - إنه اعتبار الذي بلا الجهة التي يؤدي دوراً هاماً في الشمول والاستقرار يختلف وبخواصه من حيث نوعية السكرة نفسها فإذا دخلت (لا المائية الجنس) على السكررة المفردة كانت هذه السكررة أو فعل الاستقرار منها إذا كانت مثناة أو مجموعتين، والمذكوك كان قوله: لا رجل في المدار حاضر يعني الجنس كله مدرداً ومتشوّعاً، فلا رجل ولا رجالين، ولا رجال في المدار حاضرون أبداً ولنا لا رجالين في المدار حاضران، فإليها ينافي جنس المثلث أو قد انتهي في الجنس وعلى هذا قد يكون هناك رجل واحد وقد يكون هناك رجال، ويشمل ذلك أيضاً قوله: لا رجال في المدار حاضرون، فإليها ينافي جنس الجمع أو قيد الجمع في الجنس، ومن ثم قد يكون هناك رجل واحد وقد يكون هناك رجال.

(٢) يقسم البلاطيون القرية إلى قسمين: الطيبة، وغير لفظية تجعل القرية المتيبة، والقرية العطلية التي منها القرية المخالية، كما أشارنا إلى صلب الحديث.

النهاة - أن يحل محلها لفظ (كل) على سبيل المحقيقة ، بينما تسمى في الموضع الثاني لام الاستغراق المعرق و ملامتها أن يصبح حلول لفظ (كل) محلها على سبيل المجاز مثل : أنت الرجل هنا ، يعني أنه قد اجتمع بذلك مانحراً من الاعمق الرجال وسيأتي إيضاح الإمام عليه التأثر لهذا الموقف .

وسمى المهد الخارجى هو :

أن حرف التعریف (أي) ينيد تمیین مدخله ويشير إليه في صورة الفرد المهد المعنون في الخارج من أفراد المحقيقة ، وهذا الفرد المهد المعنون من أفراد المحقيقة يستفاد بغيره لحقيقة أو معنوية - كما أشرنا من قبل في حديث الاستغراق .

أما عن الترجمة الفعلية فكأن يذكر هذا الفرد - صريحاً أو مكتف عنه - في السکلام قبل أن تشير إليه (أي) في مدخله ،مثال **الذُّكُور** المربع قوله سبحانه <sup>(١)</sup> (إله نور الساوات والأرض ) مثل نوره كشكة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كاتها كوكب دري <sup>(٢)</sup> وقد من شجرة مباركة في دونة ، وشرقية ولاغربية يقاد زيتها يعني ولو لم تمسه نار ) فلفظ (المصباح والزجاجة ) جاءا معروفين بأي المهدية بعد أن تقدم ذكرهما سراحة في الكلام .

ومثال **الذُّكُور** السکلاني قوله عز من قائل <sup>(٣)</sup> (رب إني ندرت لك مافق بطيء  
عمره <sup>(٤)</sup> فقبل من إنك أنت السيم العالم ، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها  
أنت وآثأ أعلم بما وضعت وليس **الذُّكُور** كالآثأ وإن معيتها سرم وإن آهينها  
بك وذرتها من الشيطان الرجيم ) .

(١) سورة التورآية ٣٥ .

(٢) سورة تآل عمران الآيات ٣٥ ، ٣٦ .

فلفظ (الذكر) جاء مترافقاً (بأي المهدية) لتقديم ذكر هذا الفظ على سبيل السكانية في القول السكري (ما يطلق عرراً)، ذلك أن لفظ (ما) وإن كان يضمُّ الذِّكْر والأشيَّة فإن لفظ (عرراً) أي تمهِّنة خلَّة بيت المقدس يفيدهُ أنه ذكرًا وليس أثنيَّة، لأن التعمير - أي عتق الولد ووقفه على خدمة بيت المقدس - كان خاصاً بالذكور، لأن الإناث لا يليق بهن تدشين كشف في المسجد أثناء الخدمة. فلذلك كان لفظ (ما) كثيارة عن الورف الذكر وليس عن الأثنيَّة.

وأمام القرينة المعتبرة فكأن يكون مدخول (أي) حاضراً موجوداً -  
 وهذه هي القرينة الحالية ) مثل قول الله سبحانه: يوم الحج الأكبر ( يوم عرفة  
 في حجة الوداع )<sup>(١)</sup> : اليوم أكلت لسمك دبتكم وأنعت عليكم ثعقي ورضيت  
 سكم الإسلام ديدنا ، وكما تقول : اليوم الجمعة ، والامتحان في الطلاق الرابع ،  
 وممثل ذلك أيضاً . جميع نوت النادي وأسماء الأشارة يال مثل يا أيها الرجل ،  
 وهذا الرجل ، ومن نمت النادي قول المتنى :

و الشكر من قبل الاعيان لا قبلها الحسن المشكور من جهق

وتدخل القراءة المقلقة أيضاً ضمن القراءة المعنوية، وذلك كأنه إذا دار الحديث بين المتكلم والمخاطب على رجل معين، أو شئ معين، ثم كان الكلام بهذه ذاته يُعرف التعريف (أي) الذي يشير إلى هذا الفرد المعين فكان القول: وكتب الرجل الجازة ، والرجل هو الرجل المهدى في الحديث ، والجازة أيضاً هي الجازة المهدى في الحديث .

ولام التعریف - فی الموضع الأول من العدیث عن العہد - تسمی لام المد  
الصربعی أو الحتفیق ، بينما تسمی فی الموضع الثاني بلام العہد السکانی ، وهي فی

(١) سورة الائمة آية ٣.

الموضع الثالث تسمى لام المهد المضورى ، أما الموضع الرابع فتسمى فيه بلام المهد المتميّز :

أما المعنى الأخير لحرف التعریف ألل - أعنی معنی المهد القدحی - فهو :

أن ينفرد هذا المحرف تبيين مدخله وبشير إليه في صورة الفرد المهم - غير المدين - من أفراد المجموعة في الخارج وإن كان الدسوقي قد رأى أنه يمكن أن يكون معلوماً لدى المخاطبين<sup>(1)</sup> مثل قوله سبحانه<sup>(2)</sup> ( وأخاف أن يأكله الذئب ) فلما حفظ ( الذئب ) مراد به ذئب مهم غير معين ، ولام التعريف في هذا اللوبيم تسمى لام المهد الذي عرف

ومنقول هذه اللام - أي المعرف بها - كادسکرة<sup>(٣)</sup>، ولذلك وصف بالجملة التفصيلية في قول الشاعر المأذوق نفسه بالعلم :

(١) انظر كلامه في شروح التامغيس ج ٢ / ٩٦

١٣ آية سورة يوسف (٢)

(٣) أي بعد اعتبار القرينة - كاً ينتفع بعد ذلك، وكما انتفع في شرح الآية  
ـ أن الراد بالذبب فرد يوم غير معين من حيث المدى، أما من جهة الافتراض فإنه قد  
يراعى فيه كونه كالتكررة فيوصف بجملة فعلية - كاً في البيت (وأند أص على  
الشّيء يسيئ . . . ) ، كما قد تجبرى عليه أحكام المعرف فيقع مبيناً وصاحب حال،  
ووصل المعرفة وموصولة بها، وعطف بيان المعرفة وعكم ذلك الخ.

إلا أن بين هذا المعرفة باسم المهد الذهني وبين التكراة فرقاً من حيث المدى هو أن التكراة تدل بحسب الوضع على فرد يفهم منتشر غير معيين ، والمعرفة باسم المهد الذهني يدل بحسب الوضع على الجنس كله والحقيقة كلها ، أما إرادة الفرد المنتشر المفهم غير المدين منه فإليها مسافة من القراءة الظرفية ، فالآية السابقة القراءة فيها الفعل يأكل ، لأن هذا الأكل يقى من أي ذنب ، ومثل ذلك البيت ، القراءة فيه الفعل أمر ، حيث العاري يحوى اللثام الذين يصعب على الشاعر معروضهم<sup>(١)</sup> .

(١) قال الموسوقي ( انظر كلامه في شرح النافع من ج ٢ / ٩٧ ) : أعلم أن الآيات الأربعية الجبارية في المعرفة باللام تجري في المعرفة بالإضافة ، فنارة يكون تجري به باعتبار المهد الخارجى كلام زيد ، إذا لم يكن له إلا غلام واحد ، أو له غلامان ، لكن كان إذا أطلق غلام زيد يتصرّفوا واحد منهم معيين بسبب أن له مزيد خصوصية زيد لكون أعظم غلامه وأشدّهم نسبة إليه ، ونارة يكون تجري به باعتبار الحقيقة من حيث هي نحو ماء المهد ياء أتفع من ماء الورد ونارة يكون تجري به باعتبار الحقيقة من حيث وجودها في صنف جميع الأفراد ، بينما كان ذلك المعرفة بالإضافة : انتظار معرفة أو جمما ، نحوه ضرب زيداً قاتلاً وبعيدى أحرار ، بالإضافة حيث لا الاستثناء ، ونارة يكون تجري به باعتبار الحقيقة من حيث وجودها في صنف فرد غير معيين ككلام زيد مشيراً إلى واحد غير معيين ، وكقولك : خذ ما الورد واخطله بالدواء الألائل ، فإن المراد قدّر غير معيين وتسكون الإضافة حيث المهد الذهني .

إنما كان المعرفة بالإضافة كالمعرفة باللام في صفة اعتبار الأحوال المذكورة فيه ، لأن الإضافة إلى المعرفة إشارة إلى محضور المضاف في ذهن السامع ، كما أن اللام إشارة إلى جضور ما دخلت عليه في ذهنه ، وهذا المضاف الحاضر في ذهن السامع نارة يراد به فرد غير معيين في الخارج ، ونارة يراد منه الحقيقة من حيث هي أو من حيث تتحققها في صنف جميع الأفراد أو في صنف فرد غير معيين ، كما أن مدخول الالاستثناء في ذهن السامع كذلك .

نعم إن المضاف للمراد إذا اقتضى به البابين في صنف فرد غير معيين مراده من حيث

ثم يقول :

وقد اختلف المماد حول أصل المعنى الذي وضع له حرف التعريف (ال) من بين المان الأربعة التي ذكرناها ، فذكر<sup>(١)</sup> السكاكى وصاحب السكتاف وإن الحاجب والسيد الشريف أنه موضوع للمهد بالمعنى الأعم ، وقد ذكروا أن هذا المفهم أعمّ ككل يشمل المان الأربعة شمول الجنس الأوعي التي تمحى ، وقد عرقوه بأنه : المدميين من غير اعتبار الأفراد ولا للغاية .

فإذا ضم إلى المهد بالمعنى الأعم وجوده في ضمن بعض الأفراد المعينة فهو المهد الخارجي بالمعنى الأخص ، وترجم الأخصية إلى الحصة المعينة من الأفراد التي هي منهوم مدخل (ال) واحداً كان أو كثيراً ، وإذا ضم " وجوده في ضمن الماهية من حيث هي فهو الجنس والطبيعة والحقيقة ، وإذا ضم " وجوده في ضمن جميع الأفراد فهو الاستثناء ، وإذا ضم " وجوده في ضمن بعض الأفراد غير المعينة فهو المهد الذهنى

وذكر الخطيب التزوجي<sup>(٢)</sup> أنه موضوع لسكلام عذيبين :

الأول : المهد الخارجى بالمعنى الأخص - أي بالمعنى الذى يشير إلى الفرد المدن أو إلى بعض الأفراد المعينين من الحقيقة .

حيث إن جنسه معلوم الناصع أخير باضلاته إلى سعاده ورها في ذهنه ، وذكره من حيث إن جنسه تتحقق في ضمن فرد غير مدين ، كما تتحقق الجهةان في المرف يلام المهد الذهنى فإذا نلت : غلام زيد قرير الحقيرة في ضمن فرد غير مدين كان كقولنا غلام قرير بلا إضافة في المعنى ، وإن اختلفا في المفظ .

(١) راجع ملابس التحقيق ص ٢٧

(٢) راجع ملابس التحقيق ص ٢٨ .

والثاني : الجنس والذئبة والطبيعة باعتبار الماهية .

ثم ذكر الخطيب القزويني أن لام المخافة - أي المعنى الثاني - قد ينفي المهد الذئبى عندما تقول القراءة على أن المراد بعض الأفراد غير المعنين ، وقد ينفي الاستغراق عندما تقول القراءة على أن المراد جميع الأفراد محققة أو عرفا .

أما بحثور النجاة فقد ذكروا - وهذا هو المذهب الشهير - أن حرف القراءة (أى) موضوع لشكل من هذه المائى الأربعة على حدة - كما أشرنا في مطلع الحديث إلى إنتهاء بهذه المائى .

- على أن بعض محققى النجاة وصاحب الفتنى قد ذكروا أن هذا الحرف (أى) موضوع المهد الخارجى بالمعنى الأخضر ، والجنس والطبيعة ، والاستغراق ، أما استعمال المهد الذئبى فيجاز علاقته المشابهة بين الذئبى ، والمهد الخارجى (الم Samarîmeh هو المهد الخارجى) .

على أنى أعتقد من خلال دراسة حديث الإمام عبد القاهر عن (فروق المائى) في الخبر المشتمل على «أى» في كتابه «دلائل الاعجاز»<sup>(١)</sup> - ، وحديثه عن (دخول «أى» على الأسماء سواء كانت مصدراً أم غير مصدراً) في كتابه - المتقصد<sup>(٢)</sup> في شرح إيضاح أبي علي الفارسى في النحو - أن حرف القراءة (أى) معنيان دينيان هما: معنى الجنس والطبيعة الذى ينفي الاستغراق والشروع أيضا ، ومعنى المهد الذى ينفي القراءة والتبييز والوضوح ، هذا ولم يتسع حديث الإمام عبد القاهر لتفصيل أمر المهد إلى عهد خارجى وذئبى ، وإن كان قد أشار

(١) راجع كلامه ١٣٦ - ١٥٣ .

(٢) راجع المجلد الأول ص ٦٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٥٢٧، ٥٨٤ .

في بعض حدائقه من تعريف المهد إلى أن تعريف المهد يبطل الاتهام<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يشير إلى أن « أَلْ » الجنسية هي التي تفيد مبني المهد الذهني إن كان هناك مجال للانصهار . ومعنى هذا كله أنه أكاد أو أوان مذهب الخطاب الفزوبي<sup>(٢)</sup> .

وناتي — الآن — إلى القصر طريق « أَلْ » الجنسية في أحد ركع الأستاذ أو في كليهما فنقول : يقول الإمام عبد القاهر صدحديجه عن الإيمان بأَلْ الجنسية في خبر الميبة<sup>(٣)</sup> : « أَعُلَّ أَنْتَ بِمَدِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الْخَبَرِ عَلَى مَنْفِي الْجِنْسِ ، ثُمَّ تَرَى لِهِ فِي ذَلِكَ وَجْهًا : »

(أَمدها) : أن تقص جنس المني على الخبر منه انصداك المبالغة، وذلك قوله زيد هو الجلود، وعروه هو الشجاع، تزيد أنه السكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توم أن الجلود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه . وذلك : لأنك لم تعدد بما كان من غيره ، لتصوره عن أن يصلح السكوال .

(الوجه الثاني) : أن تقص جنس المني الذي تفيده بالخبر على الخبر عنه، لا على مبني المبالغة ، وترك الأستداد بوجوهه في غير الخبر عنه، بل على دعوى أنه

(١) أشار أباشا (من ٤٢٧ كتاب المتفقظ : الجلد الأول) هذه حديقه عن إلحاد « أَلْ » باسم القائل إلى أن أصل « أَلْ » التعريف أرج الجنس ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن مبني الجنس يشمل الانطلاق والمهد الذهني .

(٢) ولهذا ذكر الموسوقي (شرح الناجيس ج ٢ / ٩٦) إنما إذا كان « عروه المنطاق » يمكن أن تكون هنا ألل عهادية وجنسية ، عهادية : لأن عروه إنسان ليس بعروه . وعلم أن شخصاً مميناً يتبعه الانطلاق ، ولكن لا يسلم أنه عروه (المهد هنا عهد خارجي لأن الفرد مدين) وجنسية : لأن يعلم ماهية المنطاق من حيث هي ولا يعلم هل هي متحققة في الحالات المسمدة بزيد أم لا .

(٣) انظر دلائل الإيمان ١٢٨ - ١٤٣ .

لابيجد إلا منه، ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المفهوم بشيء يخصمه ويحمله في حكم نوع برأسه، وذلك كنحو: أن ينهر بالحال والوقت كقولك: هو الواقع حين لاتفاق نفس بقى خيراً، وهكذا إذا كان أظاهر بمعنى يعمد في ثم اشترط له مفهولاً مخصوصاً كقول الأعشى:

هو الواهب المائة المصطفاة إما مخاضاً وإما عشاراً<sup>(١)</sup>

فأنت تجعل الوقف في الوقت الذي لا ينبع فيه أحد نوعاً خاصاً من الوفاء، وكذلك تجعل هبة المائة من الأجل نوعاً خاصاً، وكذا الباق، ثم إنك تجعل كل هذا خبراً على معنى الاختصاص وأنه المذكور دون من عداه، الآخرى أن المفهوم في بيت الأعشى: أنه لا ينبع هذه المبة إلا المدوح

وربما ظن الطنان أن اللام في (هو الواهب المائة المصطفاة) يعززها في نحو (زيد هو المطلق) من حيث كان القصد إلى هبة مخصوصة، كما كان القصد إلى انطلاق مخصوص، وليس الأمر كذلك، لأن القصد هنا إلى جنس من المبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها، بذلك على ذلك: أن المعنى على أنه يتكرر منه، وعلى أنه يجعله ينبع المائة مرة بعد أخرى، وأما المعنى في قوله: زيد هو المطلق، فعلى القصد إلى انطلاقه كان مرة واحدة، لا إلى جنس من الانطلاق، فالذكر هناك غير مقصور، كيف؟ وأنت تقول: جرير هو القائل: (وليس لم ينبع في المظمام بقيمة) تزبد أن ثبت له قوله هذا البيت وتأليفة، فاقفل بين أن

(١) المخاض: المخوايل النون، ونافلة عشاراء (ضم المين وفتحها) أي مفهوم حلها عشرة أشهر، والمرجع تسمى النون عشاراً بضم رثتها ما في بطونها لازم الاستئصال بما بعد الوضع - كما يسمونها لفاحاً، وأليل: المفراة من الإبل كالنسماء من النساء.

تتصد إلى نوع فعل وبين أن تتصد إلى فعل واحد متعين ، حاله في المقام حال زيد في الرجال في أنه ذات يومها .

(والوجه الثالث) : أن لا يقصد قسر المعنى في جنسه على المذكور لا كأن في (زيد هو الشجاع) تزيد أن لا تقتضي بضماعة غيره ، ولا كما ترى في قوله (هو الواهب للإله المصطفاة) لسكن على وجه ثالث ، وهو الذي عليه قول الشاعر :

إذا قبح اليسكاء على قبيل رأيت بكاءك الحسن الجيلا

لم ترد أن ماعدا البكاء عليه غليس بحسن ولا جيل ، ولم تقيد الحسن بشيء فوتصور أن يقصر على البكاء ، كما قصر الأعشى هبة المائة على المدوخ ، ولكنها أرادت أن تقرئ في جنس ماحسنه الحسن ظاهر ، الذي لا يفكرة أحد ، ولا يشك فيه شاك ، ومثله قول حسان<sup>(١)</sup> :

وإن سلام الجلد من آن هاشم بنو بنت مهزوم والفك المبد

أراد أن يثبت العبودية ثم يحمله<sup>(٢)</sup> ظاهر الأمر فيها ومعرفتها بها ، ولو قال : وروأتك عبد ، لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة معهارة ، وعلى ذلك قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب نابها وفي سائر الدهر النبوث للواطرا

وأعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك ، وله مسلك ثم دقيق ، ولحة كائنليس يمكن التأمل عنده كما يقال : يعرف وينكر ، وذلك قوله :

(١) قال حسان البيت ضمن هجائه لأن سليمان بن الحارث بن عبد للطلب قبل إسلامه ، ومعنى كون الحارث عبداً : أن أنه ليست بقرشية ، ولم يدركها قيبة مشهورة

(٢) أى المجنو

هو البطل الحماي ، وهو المتقى المرجع ، وأنت لا تقصد شيئاً مما تقدم ، فلست تشير إلى معنى قد علم المخاطب أنه كان ، ولم يعلم أنه من كان ، كما معنى في قوله زيد هو المطاعن ، ولا تزيد أن تقصص معنى عليه هل يعني أنه لم يحصل لنبيه على السكال ، كما كان في قوله زيد هو الشجاع ولا أن تقول : إنه ظاهر بهذه الصفة ، كما كان في قوله (روالدك العبد) ولكنك تزيد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل الحماي ؟ ، وهل حصلت منه هذه الصفة ؟ وكيف يعني أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كدت تفتأملاً علماً ، وتصوره حتى تصوره ، فما يملك صاحبه ، وأشده به يدك ؟ فهو ضالك ، وعندك يديك ، طريقة لطريق قوله هل سمعت بالأسد ؟ وهل تعرف ما هو ؟ فإن كدت تعرفه ، فزيد هو هو يعنيه . ويزداد هذا الذي ظهروراً يأن تكون الصفة التي تزيد الآخرين بها عن المقدار بغير أدنى موصوف ، كقول ابن الروى :

هو الرجل المشروك في جل ماله . ولكنه بالجد والحمد مفود  
تقديره : كأنه يقول للسامع : فسخر في رجل لا يتميز عفاته وجبرائه وعما رأته  
عنه في ماله ، وأخذ ما شاءوا منه ، فإذا حصلت صورته في نفسك فاعلم أنه ذلك  
الرجل ، وهذا فن جيد الشأن ، وهو مكان من الفخامة والتباهي ، وهو من سحر  
البيان الذي تؤمر العبار عن تأدية حقه والمول فيه على مرأمة النفس واستئصاله  
التأمل ، فإذا عللت أنه لا يريد يذوقه : الرجل المشروك في جل ماله ، على حد قوله:  
الذي يملك حد بيته وعرفت من حاله وفضله أنه يشارك في جل ماله ، على حد قوله:  
هو الرجل الذي يملك أنه أثقل سكتاً ، والذي وجب المسألة المصطفاة من الأبيل  
ولا أن يقول : إنه على معنى ( هو السكامل في هذه الصفة حتى كأن هبنا أقواماً  
يشتركون في جل أموالهم ، إلا أنه في ذلك أكمل وأتم ) ، لأن ذلك لا يتصور ،  
وذلك أن كون الرجل محبوث يشارك في جل ماله ليس معنى بعمر فيه تقاضل ، كما أن  
بذل الرجل كل ما يملك كذلك ، ولو قيل : الذي يشارك في ماله جاز أن يتفاوت ،

وإذا كان كذلك<sup>(١)</sup> علت آلة معنى تلك ، وليس إلا ما أشرت إليه من أنه يقول للخاطب : ضع في نفسك معنى قوله : (رجل مشهور في جل ماله ) ثم تأمل كلانا . فإنك تستعمل هذه الصورة منه وتجده يؤدّيها لك نصا ، وإنك بـها كلام ، وإن أردت أن تسمع في هذا المعني ماتسكن النفس إليه سكون الصادق إلى برد الماء . ناسم قوله :

**إذا لم تكاري مفي سروف زمامي**

وإن أردت أعيش من ذلك فقوله :

أرجو التزاسب بها قديمه غداً  
أولى يداً حسبت عليه يداً  
فلا زحشت ذلك الأحداً

أحدى إلٰه أبو الحسين يداً  
وكذاك عادات الكرم إذا  
إن كان يمسد نفسه أحداً

فهذا كله على مقتضى الوجه والقدر، وأن يصور في خاطره شيئاً لم يره، ولم يعلمه، ثم يجريه بغيري ما عاهد وعلم. وليس شيء أغلب على هذا الغرب المأهوم من «الذى» فإنه يبنى، كثيراً على أنك تقدر شيئاً في وهنك ثم تغير عنه بالذى هو مثل ذائقتك قل له :

**آخونك الذي إن تدعه لنده** حبك وإن تنفسه السفه

دقول الآخر

٤- (١) هذه بعثة تشكيل الشريط في قوه (إذا علمت أنه لا يريد) ، وجواب الشريط قوله : علمت أنه معهم قالت :

(۲) آئی بن احسانہ بعده احسانہ اللہ و مدد : آئی نصیب علیہ :

أخوك الذي إن زبه قال إنما أربت وإن ماتته لان جاته<sup>(١)</sup>

فهذا ونحوه على أنك قدرت إنساناً هذه شهـة ، وهذا شأنه ، وأحلت السامع على من يتعين في اليوم ، دون أن يكون قد عرف رجلاً بهذه الصفة<sup>(٢)</sup> ، فاعلمه أن المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرّفه ، حتى كأنك قلت : أخوك زيد الذي عرفت أنك إن تدعه الله يحبك<sup>(٣)</sup>

وقوع « أى » الجنسية في خبر المبتدأ :

تحليل هذا الحديث أن الإمام عبد القاهر يرى أن وجود حرف التعريف (أى) في خبر المبتدأ وهو - أي حرف التعريف - يعمي الجنس بغير أربعة أغراض أدبية هي :-

١ - إغاثة الباسع قسر المسند على المسند إليه على وجه المبالغة ، وذلك عند إطلاق الشكلام جنس المعنى والحقيقة مريداً من ذلك معنى الشكلام لهذا المسند فإنه بمثيل قولنا : زيد هو الجواود ، أي بالكمال في الجلواد . ومثال قول النبي في مدده الشجاع بن محمد الطافى للنبي :

أبدى العداة بك لسرور كأنهم فرحاً وعندم التقي المقد<sup>(٤)</sup>

قطعتهم حسداً أراهم فتقطعوا حسداً لمن لا يحسد<sup>(٥)</sup>

(١) إن بريته : أي أبوبعايرناب فيه ، قال لك : أربت ، أي انتقت عنك الريبة

(٢) هذه إشارة صريحة إلى أن (أى) هنا زايد المهد المدى وهذا تبرير من معنى المقدرة والجنس .

(٣) قوله إن أعداك أظهروا السرور بقدومك خرفاً منك لا زحجاً بك وعندم من الحسد والخوف ما يقضمون ويتقدمون .

(٤) حسداً : مهمل الأجله ، فاعمل أراهم : ضمير المسند ، ما لهم : مهمل ثان لأراهم ، أي أن حسدم أراهم ما لهم من التقصير عن ميلانك فتقطعوا من الحسد المدحور الذي لا يحسد أحداً ، إذ ليس أحد أعلى منه مكانة حتى يحسده .

حق اشوا ولو ان حر قلوبهم في قلب هاجرة لذاب الجلد<sup>(١)</sup>  
 نظر المخرج فلم يروا من حولهم لاما زأوك وقول هذا السيد<sup>(٢)</sup>  
 بقوت جووهم كأنك كلها وبقوت بينهم كأنك مفرد<sup>(٣)</sup>  
 لهفان يستوي بك العصب الورى ولم ينهم الحجي والسؤدد<sup>(٤)</sup>  
 كن حيث شئت تسر إلوك ركآدا فالدرب واحدة وأنت الأوحد<sup>(٥)</sup>  
 فالمتنى هنا يريد أن يعطي صاحب صفة السكال المطaci، من أجل هذا قال:  
 قول : هذا السيد ، أنت الأوحد

واملا نلاسظ أيضاً أن (أي) الجدية المقيدة لـ السكال والمبالغة جاءت في قوله  
 (وعندم المقدم المقدم) وإن كان القصر هنا جاء عن طريق التقدير، لاعن طريق  
 (أي) التي تحن بصدرها الآن لأن حدث المتنى هنا منصب على الأعداء، من  
 أجل هذا قد هم في إفاده القمر فقال (عندم).

- (١) اشوا : رجموا ، الماجورة ، تصف التهار بالجلد ، العصر .
- (٢) المخرج : جمع المخرج وهو الرجل الجاف من المجم يرمي بهم قراد الروم ، أي نظروا إليك فاشتبوا برؤيتك عن النظر إلى غيرك فـ كأنهم لم يروا أحداً منهم .
- (٣) يقول : إنك صرت في بين كل واحد منهم كـ أنك أنت جووهم كلها لأنك ملائكة حروتهم حق كـ أنهم لم يروا من حولهم سواك مع أنك كنت بين الجميع ، وانت في هذه الحالة - أي بين الجميع - كـ أنك أحد الأفراد .
- (٤) يريد باللهفان : الاستحيط خصباً ، وهو حال من الناء في (بيت) ، يستوي من الوباء ، وهو المرض الثاني المثلث ، استوي بالمكان : إذا وجده ذاوباء ، الورى : الحلق وهو ظاهر يستوي . تنهي الحجي : كفاء العقل ونها ، وأرجمه ، السؤدد : السيادة ، يقول : بقيت ملائكة بالحلق والقسطنطي اعتقد الناس أن عرشك سيكون وباه مهلك لاولا أن عرقك ومكانتك من الشرف والسيادة متراك وارجموك عن إعلاكم .
- (٥) أنت الأوحد : أي أنت الفرد بالمعنى .

وقد يكون هذا سبباً في أن يشير إلى هذا الأمر الإمام فضيول : إذا اجتمع التقاديم مع (أول) الجنة فإن القمر يكون طريقه العندم .

٤ - إفادة الإمام قمر المسند [إليه] لأعلى معنى المبالغة، وذلك عنده تقويد التكلام جنس المعنى بظرف ، أو وصف خاص ، أو حال معينة، أو مقول خاص مزيداً بذلك أن هذا المعنى المقيد لا يكون إلا من المسند إليه ، وبشير عبد القاهر صدح الحديث عن هذا الفرض الأدبي إلى أن صورة هذا المعنى المقيد تشهد تسخراً وقوعه من المسند إليه، وقد مثل الإمام عبد القاهر لهذا الفرض الثاني بقول الأعشى :

هو الواهب السابة المصطفاة ... إما محسّاساً وإما عشاراً

ومنه أيضاً قول المتنبي في مدح أبي الحسين بدر بن حارث بن إسماعيل الأسدى:

هو الملق المذاكي والأعادى ... وببعض المدد والسرطوال<sup>(١)</sup>  
وكاندعا مسومة خفافاً ... على حى تصبّحه غالباً<sup>(٢)</sup>  
جوانسل بالذئب متفقات ... كان على مواملها ذيلاً<sup>(٣)</sup>  
إذا وطشت بأيديها سخوراً ... يفنن لوظمه أربيلها رملاء<sup>(٤)</sup>

(١) المذاكي : الجيل التي آتى عليها بعد قروها سنة ، يقول إنه كل ذلك بكثرة حروبه .

(٢) المسومة : الملة ، يقول : إنه قائد الجيل خلفاً في الركب ، وتقلا على الحى الذي تغير عليه ضيحاً .

(٣) جوال : جمع جائفة : أى متعددة ، التقى : جمع فنا ، متفقات : مقومات ، الموامل : ما يلى الآية ، النبال : جميع ذيالة وهي الفتية ، هبها آسنة الرملان ..  
(٤) يغفن : يصبعن ، يقول : إذا وطشت الجيل الصخور بأيديها افتلت من هذه وطاتها فلا تطأها أرجلها إلا وقد سارت رحالا .

**جواب مسائل الله نظير** بـ **ولا لك في سؤالك لا إلا لك** (١)

ذلك أن إيجاد هذه الآيات ينفي تskرور وقوع أحداث معاينها من المدح،  
كما أن تصرخ المتنى بأن هذه الأعمال لا تكون إلا منه ينفيها أيضاً في الدلالة  
على أن المتنى أراد تخصيص مدحه بهذه المعاين على سبيل الواقع والحقيقة لاعلى  
سبيل البالفة.

ـ ـ إفادة السامع إثبات معنى المذكرة المسند إليه على وجه السκمال الظاهر  
الواضح دون أن يكون ذلك عن طريق التعمّر مثل قول الخاتمة:

**إذا قبض البكماء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجيلا**

والفرق بين هذا الفرض الأدبي والفرض الأول هو أن القسر في وإثبات،  
والنفساء هنا — كما قال عبد القاهر (٢) — لم تزد أن ماهذا البكماء على أخيها ليس  
بحسن ولا جليل، ولم تزيد الحسن بشيء، ففيتصور أن يقتصر على البكماء كأن قصر  
الأمشئية المائة على المدح، وأيضاً يكتفى أرادت أن تقول في جنس ماحسنه المحسن  
الظاهر الذي لا يذكره أحد ولا يشك فيه شاك، أي أنها أرادت إثبات ظهور  
انتصاف العيداً بهذه الصفة فقط.

ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر:

**أشود إذا ما أبدت العرب تابتها وفي سائر الدهر الفيوث المواتر**

(١) جواب: مبتدأ، خبره (اللا) وقوله: الله نظير، في محل نصب حكاية  
السؤال، أي إذا مسألة سائل هل لا لهذا المدح نظير جواب لا، ولا لك إيشانظير  
في هذا السؤال الذي لا يسأله عاقل.

(٢) راجع نفس الذي تقلناه من ٢٤٩.

أراد أن يثبت لمدوحه صفة النبوت المواتر دون أن يعرض لنفيها عن  
خديم

٤ - إفاده السامع تعيين الحقيقة عن طريق جملها معنى موهوماً مقدراً يريد  
الأديب من السامع أن يكتبه في نفسه أولاً، ثم يكتبه منه عن طريق الحديث  
معه، فكأنما هو - على حد تعبير عبد القاهر - جار بجرى ماعهد وعلم، مثل  
قول ابن الروى :

هو الرجل المشروك في جل ماله ولكتنه بالجند والجند مفرد  
تقديره - كما قال عبد القاهر<sup>(١)</sup> - « كأنه يقول للسامع : فشكراً في جل  
لابد من عفانه وجراه ومارقه عنه في ماله ، وأخذ ما شاءوا منه ، فإذا حصلت  
صورته في نفسك فاعلم أنه ذلك الرجل » .

ومثل قول المتنبي يدعى أبو سهل بن عبد الله بن الحسن الأنصاري :  
يا صاحب المجعل الرهوب جانبه إن النبوت تصيد الناس أحدهانا<sup>(٢)</sup>  
وواهبا كل وقت وقت نائله وإنما يهب الوهاب أحهانا<sup>(٣)</sup>  
أنت الذي سهل الأموال مكرمة ثم اتخذت لها السؤال حزانا<sup>(٤)</sup>

(١) راجع النص المنقول ص ٢٤٢

(٢) المجعل يابطش الكثير ، يقول : أنت أشد يطشاً من الأسد ، لأن الأسد  
تصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته .

(٣) كل : مبتدأ ، خبره : وقت نائله ، واحدة : نت واهيا . الوهاب ( يفتح  
الواو : صفة مبالغة ، أو يضمها فيكون جمع واهب ) .

(٤) نفسك : الإلارغ والازدابة ، المكرمة : فعل السكرم ، وهي مفعول ثالث  
لسبك على تضمنه معنى التحويل ، يقول : إن نفسك أمواله تصيرها مكرم تحيا له  
الحمد ثم جملها في أيدي السالبين فكأنه اتخذهم حزناً لأمواله .

ومثل قول الآخر :

أهدي إلى أبو العصرين يداً  
وكذاك عادات الكرم إذا  
إن كان يحسد نفسه أحد  
أرجو الشواب بها لديه غداً  
أولئن يدا حبيب عليه يدا  
فلا زعنك ذلك الأحدا

يقول الإمام عبد القاهر في التمهيب على هذا الفرض الأدبي<sup>(١)</sup>: «فهذا كله على معنى اليوم والتقدير، وأن يصود في خاطره شيئاً لم يره ولم يعلمه ثم يحيره بغير ماعهد وعلم».

ثم يبين الإمام عبد القاهر أبضاً أن هذا الضرب أثلى ما يكون إذا كان الخبر اسم موصول<sup>(٢)</sup> فيقول<sup>(٣)</sup>: «ليس شيء أغلب على هذا الضرب للوهم من ذاك الذي فلما به يجيء كثيراً على آناته تقدر شيئاً في وهكذا ثم تغير عنه بالذى ومثال ذلك قوله:

**أخوك الذي إن تدعه لملمة يحيطك وإن تغضب إلى السيف ينقض**

وقول الآخر:

أخوك الذي إن رأته قال إنما أربت وإن عانته لآن جايه  
فيما ونحه على أنك قدرت إنساناً هذه صفة، وهذا شأنه، وأحلت السالم

(٨) راجع الفصل المأمور من ٣٤٣

(٢) إذا كان الشهير اسم موسول آفاد مع الاختصاص أن مضمون الصفة أمر

(٣) راجع النص التقول من ٢٤٣/٢٤٤

على من يتعين في اليوم ، دون أن يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة فاعلمه أن المسنون لاسم الآخرة هو ذلك الذي عرفه ، حتى كأنك قلت : أخوك زيد الذي عرفت أنت إن تدعه ملامة يحيطك » .

وقوع آل الجنسية في المبدأ :

ما نقدم جديده هو حديث (آل) الجنسية الواقعه في خبر المبدأ ، أما عن وقوفها في المبدأ مثل المذهب ، والسكرم في العرب ، فإن الإمام عبد القاهر قد لاحظ أنها تفيد مع الجنسية الشيوع والاستغراف ، ولذلك فرق بين وقوفها في الآئم ويعو خبر ، ووقوفها فيه وهو مبتدأ فقال<sup>(١)</sup> : « من حملنا أن نعلم أن مذهب الجنسية في الآئم وهو خبر ، غير مذهبها ، وهو مبتدأ » .

نفيه هذا :

أنا وإن قلنا : إن اللام في قوله : أنت الشجاع : الجنس ، كما هو له في قوله الشجاع حقيقة والجسان ملقي فإن الفرق بينهما عظيم ، وذلك أن المعنى في قوله : الشجاع موق : أنت ثبت الوقاية بكل ذات من صفاتها الشجاعة ، فهو في مدنى قوله : للشجعان كلام موقون ، ولست أقول : إن الشجاع كالشجعان على الاطلاق ، وإن كان ذلك ظن كثيرون من الناس ، ولذلك أريد أن تحمل الوقاية تصرف الجنس وتشمله وتشبع فيه . وأما في قوله : أنت الشجاع فلا معنى فيه للاستغراف ، إذ است تزيد أن تقول : أنت الشجعان كلام ، ولا أن تقول : إن الشجاعات التي بيوم وجودها في المؤسفي الشجاعة هي موجودة فيه لأنهم ، وهذا كله الحال . بل المعنى على أنيك تقول : كنا قد حملنا الشجاعة وعرفنا حقيتها وما هي وكيف يتحقق أن يكون الإنسان في إقدامه وبطشه حتى يعلم أنه

(١) دليل الإعجاز ١٥١ - ١٥٣ .

شجاع على السكال ، واستقررت هنا الناس قل نجد في واحد منهم حقوقه ماهر فداء حتى إذا صرنا إلى الخطاب وجدناه قد استكمل هذه الصفة، واستجمع شرائعها ، وأخছ جوهرها ، ورسخ فيه سقراط<sup>(١)</sup> . وبين ذلك أن الأمر كذلك انفاق الجميع على تغيير له بعنى السكال ، ولو كان المدى على أنه استقرار الشعوبات التي يتوجه كونها في الوضوفن بالشجاعة لما قالوا : إن بعنى السكال في الشجاعة ، لأن السكال هو أن تكون الصفة على ما يتبين أن تكون عليه : وأن لا يخاطلها ما يقتضي فيها ، وليس الكمال أن تجتمع آحاد الجنس وينضم بعضها إلى بعض<sup>(٢)</sup> ، فالترفض إذن بقولنا : أنت الشجاع : هو الترفض بقولهم : هذه هي الشجاعة على الماقبة<sup>(٣)</sup> . فإنك تدعى له أنه قد انفرد بحقيقة الشجاعة وأنه قد أوتي فيها مزية وخاصة لم يؤمن أحد ، حتى صار الذي كان بهذه الناس شجاعة ، غير شجاعة ، وحق كأن كل إقدام بإحجام ، وكل قوة عرفت في المقرب ضعف » .

ويجب أن تقول بعد كل ذلك: إن وقوع أهل الجنسية في المأهولة أو الغير قايد التصرّف، يمكن التصور هو مأهولة أهل عمل الرأي الراجح عندي تقدّم أو تأخر، فتقول: المتفوق أنت، وأنت المتفوق - على إفادة القصر يأن الجنسية، ويكون الثنالان من قاصر الصفة (المتفوق) على الموصوف (الصغير) (١٤).

۱) آئی اصلها :

(٤) لاحظ الفرق بين مفهوم الاستغرق والكلام.

(٣) أى من الجنس فقط وليس مع الجنس استراق كا فى حدث أو الجنسية  
أى قيم فى المتدا

(٤) المتلوق هنا يعني الشخص الذي له صفة التفرق، ومن ثم يمر بفترة المثال الأولى مبتدأ، أما إذا كان يعني الصفة فإنه لا يصح أن يكون مبتدأ، ذلك أن المبتدأ يتضمن أن يكون هو الذات — أي التضير — والمتلوق هو الخير تقدم أو تأخر هذا رأى الإمام الرازى، وهو بهذا الرأى عخالف النحاة.

### وقوع ألل الجنسية في المبتدأ والخبر :

أما إذا وقعت ألل الجنسية فيهما فهذا — مثلاً — التفوق السكرم، سيدرين القصر بألل الجنسية، فإن مقام الكلام وغرض التكلم هنا أهداً يحددان أيهما يكون مقصوراً، وأيهما يكون مقصوراً عليه، — وكما قلنا من قبل — : إذا كانت المعاية بالصفة كان القصر قصر صفة على موصوف، وإذا كانت المعاية بالصفة كان القصر قصر صفة على صفة، يقول الإمام سعد الدين الفوزاني في حاشيته على السكشاف خلال حدبه عن التعريف بألل الجنسية<sup>(١)</sup> : « القاهر أنه يختلف باختلاف للقامات، والأكثري حصر ما يكون فيه عوام وجنسية سواء قدم أو آخر مثل زيد الرجل؛ والرجل زيد؛ فإذا استويتا فالمبتدأ مخصوص على الخبر مثل السكرم التقرى، والتقوى الكرم، والمالم المنق، والمليق العالم».

### الحديث عن «ألل» المهدية :

على أننا يجب أن نذكر الآن أن الإمام عبد القاهر قد أشار خلال حدبه من «ألل» الجنسية إلى «ألل» المهدية أيضاً، وذلك عندما قال في حدبه عن الفرض الأدبي الثاني في استعمال «ألل» الجنسية<sup>(٢)</sup> : « وأما المدق في قوله: زيد هو المنطلق، فعلى القصد إلى «المنطلق» كان مرة واحدة، لا إلى جنس من الانطلاق» وهذا القول إشارة صريحة إلى إفاده «ألل» معنى المهد انطلاقي، بدليل أنه قد قال في تحليل هذا المثال أنباء حدبه من الفرض الأدبي الرابع من أغراض «ألل» الجنسية<sup>(٣)</sup> : « فأليست تشير إلى مدى قدر علم الخطاب أنه كان، ولم يعلم أنه من كان، كما معني في قوله: زيد هو المنطلق».

(١) انظر المخطولة — ورقة ٨٦ بـ، وانظر المجزء الأول من تحقيق الدكتور عبد الفتاح عيسى البربرى لها من ١٥٢

(٢) انظر النص المنقل من ٢٤٠ (٣) انظر النص المنقل من ٢٤٢

« أَلْ » الجُنْدِيَّة أَوْسَع ذِكْرًا مِنْ « أَلْ » الْمُهَمَّدِيَّة :

ويبدو من خلال حديث الإمام عبد القاهر أن « أَلْ » الجُنْدِيَّة أَوْسَع ذِكْرًا وأشهر أَسْأَاف إِفَادَةَ الْقُصْرِ مِنْ « أَلْ » الْمُهَمَّدِيَّة ، بِلْ دِبَاعاً أَكَادُ أَسْتَنْتَجُ مِنْ خَلَالِ حَدِيثِهِ أَنْ « أَلْ » الْمُهَمَّدِيَّة تَحْتَاجُ إِلَى قُرْبَةِ إِفَادَةِ الْقُصْر ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمَتَالِ : زَيْدُ الْمُطَلِّقِ — عَلَى كَوْنِ « أَلْ » فِيهِ الْمُهَمَّد<sup>(١)</sup> : « هَذَا كَلَامٌ يَكُونُ مِنْكَ إِذَا كَرِيْتَ قَدْ بَلَّتْتَ أَنْ ، كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ اِنْطَلَقَ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا فِي وَقْتٍ كَذَا لِغَرْبَسِ كَذَا ، بَلْغَرْتَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ زَيْدٍ ، إِذَا قَبِيلَ ذَلِكَ : زَيْدُ الْمُطَلِّقِ ، صَارَ الَّذِي كَانَ مَعْلُوماً عَلَى جَمِيعِ الْجَوَازِ مَعْلُوماً عَلَى جَمِيعِ الْوَجُوبِ ، ثُمَّ إِنْ شِئْتَ إِذَا أَرَادُوكَ تَأْكِيدَ هَذَا الْوَجُوبِ أَدْخُلُوا الصَّدِيرَ الْمَسْنَى فَصَلَّا بَيْنِ الْجَزَائِينَ فَقَالُوكَ : زَيْدٌ هُوَ الْمُطَلِّقُ » .

يُؤْكِدُ هَذَا الْقَوْمُ الَّذِي فَهَنَاهُ قَوْلُ الْمَهْدِيِّ الشَّرِيف<sup>(٢)</sup> : « التَّعْرِيفُ الْمُهَمَّدِيُّ بِاللَّامِ — وَمَا فِي حَكْمِهِ — لَا يَقُولُ الْقُصْرُ كَمَا يَقُولُهُ التَّعْرِيفُ الْجُنْدِيُّ » . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ عَنْوَانُنَا فِي بِيَانِ الْقُصْرِ بِهَذَا الطَّرِيقِ سَرَكَوْنَا عَلَى « أَلْ » الجُنْدِيَّةِ باعْتِيَارِ شَهْرِهَا .

## الفصل السادس

### القصر بطرق ضمیر الفصل<sup>(١)</sup>

ويبدو من خلال عرض الإمام عبد الناهر، الذي ذكرناه أخيراً<sup>(٢)</sup> أن ضمیر الفصل كثير الاستعمال في المجال الأسمية التي تقع فيها أى المدحية مثل زيد هو المطلقي، ويبدو من خلال حديث البلاطيني بهذه أن هذا الضمیر لا ينبع من الأمر شيئاً، بل للقصد هو ما يمدحه - أى ماقيل ألى - وللتصوّر عليه هو للبيداء (المسد إيه قبليه).

ويبدو من واقع الاستعمال الأدق أن هذا الضمیر ليس قوياً في إفادة القصر على طريق الوجوب، بل يجوز أن ينتزع منه فائدة القصر لأن المذى يمدح - أى المثير الذي فيه أى يمدحه، وتكون فائدة الضمیر هي تأكيد مضمون الجملة لأنها كidor القصر، والدلالة على أن ما يمدحه خيراً لاصحة.

(١) يسمى اليهوديون بهذا الاسم: ضمیر فعل، ويسمى السكاكيفون هناداً، أو دعامة، والمعنى يسمونه رابطة، واتفاق جمهور النحاة على أن هذا الضمیر حرفاً، وتكون مطابقته لما فيه في الأفراد والثانية والجنس مطابقة صورية، أما من قال: إنه اسم فقد ذكر أنه ليس له محل من الأفراد، ومن قال إن له محله فقد جمله لهذا الفعل باعتبار ماقيله وهو السكاكى، أو باعتبار ما يمدحه وهو أفراد، والرأى الراجح عندي هو رأى جمهور النحاة.

(٢) انظر النص من ٢٥٣

عليه، إذا أفاد القصر لا يقتضي إلا قصر المدة على الموصوف، فالتيبي حين يقول:

إذا كان الشبابُ السكرَ والشيبَ هما فالحِيَاةُ هي الْجَهَنَّمُ<sup>(١)</sup>

يريد أن يقتصر الصفة (الخاتم) على المرصوف (الحياة).

وطريق القصور هنا يمكن أن يكون هو تعریف الخبر بالـ « ويكون ضمیر الفصل هناً كيـد » كما يمكن أن يكون هو ضمیر الفصل .

(١) يقول الثاني: إذا كان الإنسان في هبأه، غالباً في السكر وال فهو ، وفي مشيه غالباً في المهم فإن حياته شبيهة بموته لأنها لا يتذوق طعمها ولا يستمتع بها ، فالله نيرها وراء .

(٢) السكاف ج ١٤ / ١٤٦ - ١٤٨ ، والأية رقم ٥ من سورة البقرة .

ونود أن نشير هنا إلى أن العلامة الزمخشري في الوجه الأول يرى أن الصمير (م) ضمير فصل ينفرد الاختصاص (حصر المستند فيه) ، كما يقييد تأكيد مضمون الجملة ، ثم هو بعد ذلك يقييد أن ما يبتدئ خبراً لما قبله لا صفة .

أما في الوجه الثاني فهو تبره ، بيدأ ، والملحوظون بهذه خيراً ، وهذا مما (جملة) في محل نفع خبر عن أولئك الواقعية قبل ضمير الفصل ، والمدعى على هذا الوجه لا يقييد القصر ، ذلك أن « أَلْ » في لفظ (الملحوظون) كلام في بيت النساء .

إذا قبعت السكاء على قبيل رأيت سكانك العسن الجيلا .

فيه هل ذلك السيد الشريف في جاشعيه على السكاف (١) .

أما الوجه الثالث الذي ذكره الزمخشري فهو ذلك الوجه الرابع الذي ذكره الإمام عبد الزاهر الجرجاني في حديثه عن الماء الأدبية لأن الجنسية ، والقصر هنا جاء عن طريق « أَلْ » الجنسية ، وليس عن طريق ضمير الفصل .

وإذا كان الأمر كذلك فالرأي عيني أن طريق القصر بضمير الفصل هو أضعف طريق القصر ، يؤكد هذا المعنى حديث صاحب حزوس الأنوار الذي حاول أن يتصدر الطريق القصر بضمير الفصل ذكر بعض الآيات الكريمة التي يسكون القصر فيها عن هذا الطريق ثم لم يجد بدا من أن يتراجع عن ذلك ويشير إلى انتقال حدوث القصر عن طريق الخبر المترافق بال بعد هذا الضمير ، يقول

(١) هامش السكاف ج ١ / ١٤٨

**حاتم عروس الأزاج<sup>(١)</sup> :** « وَلَدْ تُوْجَدْ لَاللهِ الْفَضْلُ عَلَى الْعَمَرِ فِي ٢٠ مَوَسِعٍ

**مِنَ الْقُرْآنِ :**

منها : قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : (فَلَا تَوْفِيقَنِي<sup>(٣)</sup> كَيْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ ) ، لأنَّ

فَلَمْ يَكُنْ لِالْعَمَرِ لَهُ حَسْنٌ ، لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِدْ رَوْقِيَاً عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا الَّذِي حَصَلَ

بِتَوْفِيقِهِ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ حَلْمٌ وَرَقِيبٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْبَغِي لِهَذَا<sup>(٤)</sup> أَنْ يَقُولَنَا إِعْرَايَةٌ

فَصَلَا .

وَسِنَهَا : قوله تعالى<sup>(٥)</sup> : (لَا يُسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمُ الْفَانِيُونَ ) ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ لِتَبَيِّنِهِ عَدْمَ الْاِسْتِوَاءِ ، وَذَكَرَ لِإِيمَانِهِ إِلَّا بِأَنَّ

يَكُونَ الصَّدِيرُ لِلَاخْتِصَاصِ ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ إِعْرَابُ « هُمْ » هَذَا فَصْلًا ، لَا هُنْ كَيْدًا ،

وَلَا مِبْدًا ثَانِيًّا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ فِي هَذَا كَهْلًا : إِنَّ الْعَمَرَ يَحْصُلُ مِنْ تَعْرِيفِ

الْمُتَسَبِّرِ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْقُصْرِ بِضَمِيرِ الْفَصْلِ أَيْضًا : قوله عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٦)</sup> : (إِنْ شَاءْتُكَ هُوَ

الْأَبْرَرُ ) أَيْ لَا أَبْرَرُ إِلَّا شَاءْتُكَ ، وَقُولَهُ سَيِّدُهُ . (أَمْ اخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ

(١) عروس الأزاج ج ١ / ٤٨٧

(٢) فِي الْأَصْلِ مِنْ ، وَهُوَ خَطَا .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ آيةٌ ١١٧ .

(٤) أَيْ رَفِيقَيْ ، وَالوَقَةُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانِي : هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُنَّ الْمُسْوَمُ

فِي قُولَهُ سَيِّدُهُ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَمْلِي مَاهِرَتُمْ بِالنَّهَارِ ) ، وَالثَّالِثُ الْمَعْنَى

هُوَ الْمَرْوُفُ (الْمَوْتُ) وَمِنْ الْآيَةِ السَّكِيرَيَّةِ (الَّذِي يَتَوَفَّ الْأَنْفُسُ حِينَ وَتَهَا) .

(٥) الْمَشَارُ إِلَيْهِ جَمِيْعَهُ (إِنَّمَا) .

(٦) سُورَةُ الْمُتَسَبِّرِ آيةٌ ٢٠ .

(٧) سُورَةُ السَّكُونِ آيةٌ ٣ .

فافه هو الأول<sup>(١)</sup>، أى لا ول إلأ الله، لأن الإبتكار في الآيات لا يحصل إلا بالحصر، وكلامها كما هو واضح من قصر الصفة على الوصف.

ولعلنا لاحظنا أن هذا الطريق وما قبله يستعمل في تبرير الماء وتأكيدها، ويزيد الطريق السابق أنه يستعمل أيضاً في مقام المباينة والأدلة — كما أسلفنا خدد المثيل للفرض الأول من موقع «أن» الجنسية.

(١) سورة الشورى آية ٩.

## الفصل الرابع

### بلاغة القسر في ضوء الفكر النقدي الحديث

لم يقتصر المحدثون طرائفني جديدة حتى نفرد بهم وهم في هذا المجال فصلاً خاصاً ، وإنما جل<sup>(١)</sup> موارد عذبهم هو ما أسلفناه خلال حديثنا عن طرق القسر من محاولة انتقام من جهد الأقدمين ، وقد سلكنا معهم آنذاك طريق للمناقشة العلمية الدقيقة «الباحثة التي تفرغ فيها الحجة الحجة محاولين تقويم فهم قد أخترف ، أو تصور قد زل» .

أما التأمل الذي يمسك بالمحدثين فهو في مجال الحديث عن بلاغة القسر ، وستجمله في قطعتين : —

#### القطعة الأولى :

تائياً مع الشیخ سلیمان نوار حديث الأقدمین عن داعی القسر حيث قال<sup>(٢)</sup> :

١ - داعی القسر الحقيق التحقيق بيان الواقع

(١) ذكرنا من قبل أن الدكتور إبراهيم آبيس وهو يدرس نظام الجهة في الكلام العربي توصل إلى أن الجهة — غير النافية — للشتبه على فعل ما يضفي ثبات القسر ، وهذا أمر يؤكد كلام الأقدمين ، وليس بطريق جديد للقسر . (راجع حديث التدبر في الأساليب للثانية عند الإمام عبد القاهر) .

(٢) مذكرات الشیخ سلیمان نوار ٦٠

٢ - داعي القسر الادعائي البالغة وعدم الاكتئاف بما عدا القسر عليه سواءً كان في الحقيقة أم في الإضمار .

٣ - الرد على المخاطب في قصر الناب وقصر الأفراد .

٤ - تبيين المريم عند المخاطب في قصر التهيجين .

٥ - قد يقصُر من القسر بعبارة الحصم .

٦ - التنبية على أمر هو متفقٌ في الكلام والفرض منه وجعل القسر رسولة إليه ، فذلك كثير في إنعام .

٧ - تزويل غير المسكون مزولة المذكر لاعتبار مناسب في مخاطب بأسلوب القسر .

ومن تعمير أن هذا الفلاخيس بعنابة التنبية المأم الذي لفت الأنظار إلى الحديث عن بلاغة القسر ، لسكنها نسب عليه فنقول : إنه قد فاته من حديث القديس تصريحهم أن من بلاغة القسر الإيجاز ، ذلك أن مضمون جملة القسر يفهم منه جملتين : إحداهما مثبتة ، والأخرى مذهبية .

يقول السكي معقباً على حديث الخطيب التزوبي في شرح إيجاز القسر - بكسر الناف وفتح الصاد -<sup>(١)</sup> (تبنيه) : أذكُر فيه إن شاء الله أنواعاً من إيجاز القسر ربما يخفى أكثرها ، فتهايا القسر لا سواء ، أكان الاستثناء متراجعاً نحو ما لم يزيد ، أم تماماً نحو ما فالم أحد إلا زيداً ، لأن الأول موجز فقط ، والثاني موجز من وجه مطلب من وجه ، أو القسر بإيام نحو إيزيد قائم ، أو بالتقدير نحو أناقت لأن في كل منها ثابت الجلة مناب جلتين حك في إحداهما على المتن . وفي الآخرى على المستفيض منه ، وكذلك جميع أنواع القسر ، وليس شيء من ذلك بإيجاز مختلف ، لأن الكلام مستوق الأجزاء لم يتقص منه شيء .

(١) عروس الأفراح ج ١٨٩/٣ ( ضمن شروح التلاميذ )

النقطة الثانية :

جاء في حديث الشيخ سليمان نوار السابق ، وفي حديث آخر له عن اللوازمة بين طرقين للنص : « إنما » و « ما إلا » ماءيه<sup>(١)</sup> : « ملخص الوازنة بين « إنما » والنفي والاستثناء أن الفاصل في إنما أن تدخل على معلوم أو على منزلة المعلوم ، وهي في المأذن لا يقصد منها الرد ، وإنما يقصد منها معنى هو مقصض الكلام ، والنصر وسيلة إليه ، وقد تدخل إنما على المجهول البعض لكنه لا يضر القلب وأقبر الأفراد ولنصر العبيدين .

« أما النفي والإثبات فالأسأل فيه أن يدخل على المجهول بعض أو على معلوم منزلة المجهول لاعتبار ملخص يفهم من الأسلوب وفي المأذن يكون النصر للأفراد والقلب ، ويكون العبيدين في الأول أيضًا » .

فلست مجبراً على الاعتقاد أن الشيخ يرفض أحصار بلاغة النص - في الأعم الأغلب - في الرد على المخاطب - كما يرى القدماء ، ومن ثم قال قاتلهم في الحديث عن بلاغة النص :<sup>(٢)</sup> « توافق بلاغة هذا الأسلوب - أي أسلوب الفصل - فيما هو آتى : » .

٦ - تفويت المفوية : إذا استندت النصر العقلي الشعري ، حتى على موصوف .

(١) مذكرات الشيخ نوار نجم .

(٢) دراسات في البلاغة ٣ - أحمد شنقي / ٢٩ - الطبعة الأولى ١٣٨٨/١٩٦٨ - بيروت طباعة الحسينية .

- ٣ - المبالغة المبوبة : في معرض يناسبها بامتثال القصر العقدي الإدعائي .
- ٤ - ردة خطأ المخاطب : إذا استعملت التصور الإضافي التحقيقى ، للآخر أن لم يطلب .
- ٥ - إذلة الشك والتردد : إذا استعملت القصر الإضافي التتحققى للتدوين .
- ٦ - كلال المغایبة بالصفة : في معرض التهديد والوعيد وبيان الحال ؛ إذا قصرت الموصوف على الصفة .
- ٧ - كلال المغایبة بالموصوف : في معرض المدح والثم والفسخ ... وتقدير الحال ، ودفع الشبهة ؛ إذا قصرت الصفة على الموصوف .
- ٨ - التنديد والتصریض ، أو التوضیح والتقریر والإيماء ، أو بيان الحال للتخيیل والتقطیل والتوبیل ، أو التہمک اللادع ؛ إذا قصرت بطريق المطاف .
- ٩ - السهرارة على المفاسد التي تقتضي قوة النفي ، كاردة على المتكلمين والشائکین ، وتنویة الصفة التي يحملق بها الحكم ؛ إذا قصرت بطريق النفي والاستثناء .
- ١٠ - تغزیج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبار مناسب يقتضى ذلك إذا قصوت بإنما (منزلاً الجھول المذكر منزلاً الملوم) ، أو بطريق النفي والاستثناء (منزلاً الملوم منزلاً الجھول المذكر) .
- ١١ - تحقيق الابیان والتناقش النفي : إذا قصرت بطريق التقدیم .

كما قال أيضاً في تصوّره طيارات الاستعمال الأدبي لأقسام القصر السعة عشر التي ذكرها الأنفاسون ، والتي أوضحتناها في نهاية مدحنا من طريق التصور بالنفي

والاستثناء مانعه<sup>(١)</sup> : « وحين تخرج من التصور المقلل إلى الاعمال الأدبي ترى » .

(أ) أن بعض هذه الأقسام نادر ، لا يكاد يوجد ، وهو :

- ١ - قصر الموصوف على الصفة حقيقةً تمحى .
- ٢ - قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً ادعائياً لقلب .
- ٣ - « الموصوف على الصفة » .
- ٤ - « الصفة على الموصوف » .
- ٥ - « الموصوف على الصفة » .

« وذلك لما يترتب على الأسلوب الأول من تذرر واستحالة عقلية ، وسلوك كل من الأربعة الآخري مثال التكاليف ، والأساليب التي يترتب عليها العذر والاستحالة المقلالية أو تلك مثال التكاليف تفقد الشرط الجوهري لفتن الجيد ، وهو الصدق ، وبذلك تخرج من دائرة الأسلوب الأدبية التي تتناولها البلاحة .

(ب) وأن بعضها قليل الوجود ، وهو :

- ٦ - قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً ادعائياً للأفراد .
  - ٧ - قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً ادعائياً للأفراد .
- « لأنك في هذين القسمين تخصص شيئاً بشيء دون شيء آخر ممرين ، أصلداً لرد خطأ الخطاب في اعتقاده الشاركة بين المتصور عليه وبين الشيء الآخر المدين » .

وَرَجِيْنَ تَرَدَّ خَطَا الْإِمْتِنَادَ يَنْبَغِي أَنْ تَقْدِيَ الْوَدْعَ إِلَى التَّحْقِيقِ لِأَدْلِيَ بِالْأَدَهَاءِ، فَإِنْ أَرَدْتَ لِلْبَالَةَ تَغْيِيرَ كَذَّكَ أَنْ تَلْجُأَ إِلَى أَسْلُوبِ الْقُصْرِ الْمُقْتَبِيِّ الْأَوَّلِيِّ؛ إِلَيْهِنَّ الْفَقِيْرُ فِيهِ يَتَجَهُ إِلَى جَمِيعِ مَا عَدَّا الْمُنْصُورَ عَلَيْهِ لَا إِلَى بَعْضِ مَعْنَيِّينَ، فَالْبَالَةُ ذَهَبَتْ إِلَيْهِنَّ أَكْمَلَ مَنْهَا فِي الْقُصْرِ الْإِضَافِيِّ الْأَدَهَاءِ.

(ج) وَبِعِصْمِهَا كَثِيرُ الْإِسْتِهْمَالِ فِي الْأَسْلَابِ الْقُوْرِيَّةِ الَّتِي تَبَادِلُ الْمُفَاتِنَيْنَ وَالْقَضَائِيَّةِ وَالْمُقْتَبِيَّةِ، وَهُوَ :

قُصْرُ الصَّنَةِ عَلَى الْمُوْصَوْفِ قُصْرًا مُخْتَوِيًّا.

«أَمَا مَاعَدَّا ذَلِكَ مِنْ أَسْلَابِ الْقُصْرِ فَهُوَ الَّتِي تَرْتَبُ إِلَيْهَا أَبْصَارُ الْأَدَهَاءِ، وَحَوْلَهَا تَهْمَوْأُ أَمَانِيْمُ لِيَسْتَهْمِدُوا بِهَا فِي إِبْرَازِ صُورَمِ الْأَدَبِيَّةِ مُتَهَّرَّةً، مُوْجِيَّةً، مُهِبَّةً فِي قُوَّةِ دُوْيُّهُمْ عَنِ الْمَقْعِدِ الْمُقْتَبِيِّ الَّتِي يَسْطُرُهُمْ عَلَى الْقَامِ».

وَهُنَّهُنَّ الْأَسْلَابُ عَنِ :

(أ) أَسْلَابُ الْقُصْرِ الْمُقْتَبِيِّ الْأَدَهَاءِ - صَنَةٌ عَلَى مُوْصَوْفٍ، أَوْ مُوْصَفُهُ عَلَى صَنَةٍ.

(ب) أَسْلَابُ الْقُصْرِ الْإِضَافِيِّ التَّحْقِيقِيِّ : الْلَّانِفَوَادُ، وَالْقَالِبُ، وَالصَّبِيْنُ - صَنَةٌ عَلَى مُوْصَوْفٍ، أَوْ مُوْصَفُهُ عَلَى صَنَةٍ.

«وَجِئْنَ يَسْتَهْمِدُهُمْ لِلْقَامِ عِنْدَهُ خَاتِمَ بِالْمُوْصَوْفِ - فِي مَعْرِضِ مِيدَجَهُ، أَوْ ذَمَّهُ أَوْ تَقْرِيرِ حَالَهُ، أَوْ دُفَعَ الشَّبَهَ عَنْهُ - يَكُونُ قُصْرُ الصَّنَةِ عَلَيْهِ أَبْلَغُ مِنْ قُصْرِهِ طَبِيبَهُ»<sup>(١)</sup>.

(ج) توْسِيْنَا تَحْنَنَ فِي هَذِهِ النَّقْطَةِ حِيثُ رَأَيْنَا أَنَّ الْأَسْلَوبَ الْبَلِيجَ هُوَ الَّتِي يَمْتَجِيْبُ =

**فتول الشاهزاد**

محاسن أوصاف المثنين جة وما نصبات السوق إلا لم يجد

«أبلغ عما فرقا» : وما يجد إلا قصبات ذلك ؟ لأن القصور عليه في الأولى (مهد) ، فهو يقول : لم يجد واحدة قصبات السوق ، ولا يشترك معه في ذلك أحد ، ومن الجائز أن تكرون لم يجد أوصاف حسنة أخرى .

«أما في الثاني فالقصور عليه (قصبات السوق) ، فمجد ليس له سواها من الصفات ، على أنه من الجائز أن يشتراك معه فيها سواه .

«فأنت ترى أن البيت أبلغ في مدح محمد من وجوهين : —  
أما أولاً : فلأنه يزيد أنه مفضل بقصبات السوق لاشريك له فيها .  
وأما ثانياً : فلأنه لا يتفق أن له صفات أخرى حسنة غير قصبات السوق .

أما إذا استدعي الناظم العناية بالصلة . — كذا هو الحال في معرض التهديد ولو عمد  
— فنصر الموصوف عليها آتى أبلغ من قصرها عليه .

— لأخرین : مقام السکلام ، وفرض للتكلم ، ومن هنا ذكرنا أنه إذا استدعي الناظم  
عنابة خاصة بالموهوف كان يأخذ أن يأتي الأسلوب أبلغ للقصر جاءهلا الموصوف هو  
للقصور عليه ، ولا يأتي للأديب ولا يجوز أن يصل أسلوب القصر آنذاك من قبل  
القصر الموصوف على الصفة .  
كما ذكرنا أيضاً أنه إذا استدعي الناظم عنابة خاصة بالصلة وجب أن يأتي أسلوب  
القصر موسراً على صلة . — كذا في خطبة المخياج التي امتهن فيها رسالة الوداء والإحسان  
براقى سيد كل القصر فيها هذا الباحث بعد قليل ، ولم تقل — كما قال — إن هذا  
يكون الأبلغ .

«المجاج في خطبته بالسکوقة تقول بعد أن أراض في تهديد ووعيده :  
﴿وَأَعْلَمُوا أَنِّي لَا أَتُولُ إِلَّا وَفَوتُ، رَلَامِ إِلَّا أَمْضَيْتُ﴾ ، وهو يصره نفسه  
حين يقول : على (الوقاء) ، وتصيره نفسه حين يهم : على (الإمساء) ، قد هي  
صفة (الوقاء) حتى لا يكتبه غير متصف بسواء ، وهي صفة (الإمساء) حتى  
لأنه غير متصف بسواء ، لأن كلا من الصفتين تسيطر على مقام التهديد  
والوعيد ؛ ولذا كان المجاج خطيباً بليغاً حين صاغ أسلوبه على صورة قصر  
الموصوف على الصفة .

ونحن قد اتفقنا بهذه الأحاديث من قبل عملياً لانفاريأ ، وتوسعاً فيها  
وطبقناها تطبيقاً واسماً على طرق القصر ، مما يجعلنا - الآن - لستا في حاجة  
إلى التعليل هلبها مرة أخرى .

#### وبعد :

فقد نرى - الآن - أن ندل بدورنا في مجال الحديث عن بلاغة القصر، حيث  
هو المجال الوحيد الذي تحدد عملياً - ومن واقع هذا البحث - ليكون مجال  
حديث الحديثين .

وقد يختار أن يكون حديثنا قدماً جديداً ، بهي أن له بصوغ جديدة ، وإن  
كان يتحدث حول مinci قدم ، إيماناً منها بأن الجديد لا بد أن يكون له جذوره  
القديمة ، نتقول سائلاً أن التوفيق :

#### أولاً : من الوجهة الفظوية لأسلوب القصر :

نرى أن أسلوب القصر يجب أن يكون ذاته جزءاً ثقلاً تشجع إيجاده بالاعانة

الطاغية التي تختار الأديب ذلك أنه إذا كان — كما يقول الأقدمون — يأتي للبهيمة ، والردد على المخاطب فإنه يكون ذات صوت انفعالي قوى مثير ، يعلق على الأديب مشاهده وأحساسه ، ويريد أن بذلك هذا أيضا من مثاليات العمل الأدبي . وللتشدد على ذلك بخطبة على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه — في استئثار الناس ، وبخطاب الثنائي لسيف الدولة الحذاني .

أما عن خطبة على في استئثار الناس فإنه يقول فيها : —  
أَفَلَمْ كُنْتُ عَبْدَكُمْ ، أَوْظِفْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا ،  
وَبِالْأَلْ أَعْزَزْتُكُمْ خَلْفَكُمْ ۝

إذا دعوتكم إلى جهاد مدوكم دارت أعينكم كأنكم من الورق في غمرة ، ومن  
الذهول في سكرة ؛ برتع عليكم حوارى فتحمدون <sup>(١)</sup> ، فسكنان قلوبكم مأواسته <sup>(٢)</sup> ،  
فأتمم لافتقولون ، ما أنتم لى ثلة سجوس البالي <sup>(٣)</sup> ، ولا زوافر <sup>(٤)</sup> عز يفتقر إليكم ،  
وما أنتم إلا كبابل ضل رعنها ، فشكلا بحثت من جانب انتشرت من آخر .  
لبئس ، أمر الله ، شترنا <sup>(٥)</sup> وال Herb أنت ، تكادون ولا تنكيدون ، وتنتفعون  
أطرافكم فلا تبعضون ، لا ينام عنكم وأنت في خفة ساهون .

أيها الناس :

« إن لي عليكم حقا ، وأسألكم على حق ، فأما حقكم على فالقصيدة لكم ، وتوفير

(١) برتع : ينافق فلا يهدون لهم .

(٢) مأواسته : مختلطه مشاعرية .

(٣) سجوس البالي : طول البالي : أى أيام .

(٤) زوافر : جمع زافرة ، وهي عشرة الرجال .

(٥) سر : وقود .

فِيْكُمْ<sup>(١)</sup> ، وَتَلِيمُكُمْ كَيْ لَا تَجْهَلُوا . أَمَّا حَقِّيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبِرِّيْةِ ، وَالنَّصْرَيْةِ  
فِيْ الشَّهَدَةِ وَالنَّذِيبِ ، وَالإِجَاهَةِ عِنْدَمَا أَدْهَمْتُمْ ، وَالطَّاعَةِ حِينَ آسِرَكُمْ .

وَأَمَّا عَنْ عَنَابِ الْمُنْتَهَى لِسَيِّفِ الدُّرْلَةِ الْجَدَانِ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِيهِ : —

بِأَمْدَدِ النَّاسِ إِلَّا فِيْ مَعَامِلِيْ<sup>(٢)</sup> فِيْكُلِّ الْخَصَامِ وَأَنْتَ الْحَسْنَمُ وَأَنْتَ الْكَبْرِيْمُ  
أَعِيْدُهَا نَظَارَاتِ . مِنْكَ صَادِقَةَ<sup>(٣)</sup> أَنْ تَحْسِبَ الشَّجَمَ فِيْمَ شَحَمًا وَرَمْ  
وَمَا أَنْتَ بَاعَ أَنْتَ الْمُنْتَهَى بِنَاظِرِهِ<sup>(٤)</sup> إِذَا اسْهَوْتَ عَلَيْهِ الْأَنْوَارَ وَالظَّلَمُ<sup>(٥)</sup>  
سَوْمَ الْجَمْعِ مِنْ ضَمْ جَمْسَنَا<sup>(٦)</sup> بِأَنَّكَ خَسِيرٌ مِنْ تَسْمِيْ بِهِ قَدْمَ  
أَنَا الَّذِي نَفَرَ الْأَخْرَى إِلَى أَدَبِي<sup>(٧)</sup> وَأَسْمَتَ كَانَى مِنْ بِهِ سَمَّ<sup>(٨)</sup>  
كُمْ تَطَلِّبُونَ لَنَا عَيْنًا فِيْمَ جَزْكُمْ<sup>(٩)</sup> وَيَكْرَهُ أَنْتَ مَانَاتُونَ وَالسَّكْرُومُ<sup>(١٠)</sup>

(١) الْقَوْنِيْ : الْخَرَاجُ ، وَمَا يَجْوِيْهُ بَيْتُ الْبَالِ .

(٢) الْحَكْمُ : الْحَكْمُ : أَيْ أَنَا أَنَا أَخَاصِمُ بِكَ ، وَأَنْتَ خَصِيْ فِي هَذِهِ الْمُغَاسِّةِ  
وَأَنْتَ الْحَاكِمُ بِهَا . إِنَّكَ كُلُّ الْحَسْنَمِ هُوَ الْحَاكِمُ فَكَيْفَ يَنْتَصِفُ مِنْهُ .

(٣) الصَّبِيرَةِ فِيْ (أَعِيْدُهَا) يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ نَظَارَاتِ ، وَهِيَ تَسْبِيرَةٍ ، يَقُولُ : أَعِيْدُ  
نَظَارَاتِكَ الصَّادِقَةِ أَيْ إِلَى هَسْدَقَكَ خَفَاقِ الْمُنْقَادُورَاتِ أَنْ تَخْدُوكَ فِي التَّفَرِيزِ بَيْنَ وَبَيْنَ  
مَنْ يَنْتَظَاهُرُونَ بَعْلَ نَضْلٍ وَمِنْ بَرَاءَ مِنْهُ . وَالشَّجَمُ وَالرَّوْمُ مَعْلَمَ لِمَا يَشَاءُ بَعْلَ ظَاهِرِهِ وَهُوَ  
فِي الْمُغَيْقَةِ عَلَى طَرْفِ تَنْيَضِيْ .

(٤) الْنَّاظِرُ : الْمُنْيِنُ ، يَقُولُ أَنَّ الْفَرَقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْرِهِ ظَاهِرٌ مُشَلِّ الْفَرَقِ بَيْنَ الْنَّورِ  
وَالظَّلَمَةِ ، فَيَأْبَى أَنْ لَا يَسْتَوِيَا فِي هَيْنِ الْبَصِيرَةِ .

(٥) الصَّمَمُ : اسْنَادُ الْأَذَنِ ، يَقُولُ : قَدْ شَاعَ لِضَلِّيْ بَيْنَ النَّاسِ وَلَمْ يَبْقِ فِيهِمْ  
إِلَّا مِنْ عَرْفِ مَزِيقٍ وَبِلَهْ ذَكْرٍ حَقِّ رَأْيِ أَدَبِيْ مِنْ لِايْبِرِ الْأَدَبِ ، وَسَعَ هَرَمُكَ مِنْ  
لِايْبِرِ الشَّعْرِ أَذَنًا .

(٦) يَكْرَهُ أَنْتَ . اسْتَشَافُ . تَأْنِونُ : تَفَلُّونَ . يَقُولُ : كُمْ تَطَلِّبُونَ أَنْ تَجْهَدُوا فِيْ =

ما أبدى العيب والقصان من شرق  
أنا الثريا ودان الشبيب والهرم<sup>(١)</sup>  
ليت الفمام الذى عندي صواعته  
يزيان إلى من عنده الهرم<sup>(٢)</sup>  
أرى النوع يقتضي كل مرحلة  
لأنستقل بها الوخادة الرسم<sup>(٣)</sup>  
لعن تركى ضمير، عن ميامينا  
لوخذن<sup>(٤)</sup> لمن وذمهم ندم<sup>(٥)</sup>  
هذا ترحلت عن قوم وقد فدرؤا  
أن لا فارق لهم فالراحلون هم<sup>(٦)</sup>

وانيا: من الوجهة المدنية في أسلوب القصر

ويرى أن أسلوب القصر يجب أن يعتمد بالآداب لأداء المأوى الرئيسية  
الموطرة على غرضه الآدى؛ ذلك أن الأقدمين قد لاحظوا أن من سمات أسلوب  
القصر الإيجاز، والإعجاز إنما يكون بأداء المأوى الرئيسية دون تحصيل.

غريبًا تتدرون به في مقاطق فيجوزكم وجوده، وهذا الذي تقولونه يذكره الله  
لأنه أعتقد ويكفره ملوككم من الطبع الضرير لأن لم أقدم إلا ما يوجب مكتناف بالطبل.  
(١) يقول : مالبسونته في من العيب والقصان بيد على مثل بد الشب عن القرها  
فدايت القرها لاشبيب ولاترم داما لا يتحقق عيب ولا قسان .

(٢) القبر : الأقطار ، يشبه ثقب الدولة بالدام ، وسخطه بالصراحت ، وبره  
بالطبل ، يقول : أنا لي سخطه وأداء وأثال غيري رضاه وبره ، فإيه يحصل هذا الأذى  
لل من عنده ذلك البر فيتصف الفريقيان .

(٣) النوى : البد ، ويقتضي أي طالبي ، وعداء إلى انتيل على تضييه مني  
يكلفى الوخادة : السريرة الشير ، الرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي توثر في الأرض  
بلغهاها أي أرى البد هنك يكلفى أن أطلع كل مرحلة بمدة لا تقدر بقدوم يقطنها  
الأجل السريعة الشديدة .

(٤) ضمير : جبل عن بين الرجال إلى مصر من الشام ، ضمير تركى : الوخادة ،  
والمعنى : لعن سلفت ركاب يعبر ليند من سيف الدولة على فرق .

(٥) أى إذا رحلت عن قدم ومقادرون على إرثاته حتى لا تستقر إلى مغارتهم  
فهم المختارون للرلتك ، كائهم هم الراحلون بذلك .

ولتوسيع هذا الأمر بالشواهد فنول :

إنه إذا كان الفرض الأدبي المدح فإن جملة التصریب أن تمحو أيها المعنی  
أن تمحو المعنی الوثیقى الذي يتفرع عنه حديث النص، ولتشهد على ذلك  
بقول الرسول صل الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما كل أمرىء  
مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهو هجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت  
هجرته لدنيا يصيّبها أو امرأة ينكحها، فهو هجرته إلى ما هاجر إليه».

وإذا كان الفرض الأدبي المدح فإن جملة التصریب أن تمحو أيها المعنی  
الوثیقى الذي يتفرع عنه حديث النص، ولتشهد على ذلك بقول البوصیرى  
في مدح صحابة رسول الله الأعظم محمد صل الله عليه وسلم:

فُمُّ الجبال فُلْ حُنُمْ مُصَادَّهُمْ . . . مَا ذَارَ أَيْ مُنْهَوْقَ كُلِّ مُصَطَّلِمْ<sup>(٢)</sup>  
وَسَلْ حَيْدَلْ وَسَلْ بَدَرْأَ وَسَلْ أَحَدَأَ . . . فَصُولْ حَقْفَ لَمْ أَدَى مِنْ الْوَخْمِ<sup>(٣)</sup>  
الْمَصْدَرِيَّ الْبَيْضَ حَرَّاً بِمَدَمَارِ دَرْتَ . . . مِنْ الْمَدَا كَلْ مَسْوَدَ مِنْ الْمَمِ<sup>(٤)</sup>  
وَالْكَاتِبِينَ بِسَرِّ الْخَطِّ مَازَكَتَ . . . أَقْلَامَهُمْ حَرْفَ جَسْمَ غَيْرِ مَنْجَمِ<sup>(٥)</sup>

(١) افتتح البخارى كتابه بهذا الحديث، وافتتح الإمام النووي به محاضرات  
الحادي عشر بين القى رأى أن عليها مدار الإسلام، وذكر الإمام سلم في كتاب  
الإمساراة.

(٢) مصاد منهم: منازلهم ومحاربهم . المصطلم: ساحة الحرب .

(٣) الختف: للوت . الوخم: الوباء الذي يكتسح ثلاثات في حلقات .

(٤) المصدرى به أهل عذوف تقديره: أمساك، أصدر عن للاء: وضع .  
البيض: السيف للسلوة يرق ضيقها . الاسم: جمع له، وهي الشجر الذي يLEM بالشك.

(٥) الكاتبين: الطاغيدين، سر الخط: الرماح المنسوقة إلى شجرة الخطاطقى تتعدد  
منها . الأقلام: للراديجها الرماح . حرف: طرف . منهجم: مزال عنه صجيته ،  
والراد: أنهم أجمعوا أجسام السكناور ليتمزوا بغير وهم عن المسلمين .

شاك السلاح لم سما تميزم والورد يغاز بالسيا عن السلم<sup>(١)</sup>  
 تهدى إليك روح النصر تشرّم فتحسب الزهر في الأكام كل كي<sup>(٢)</sup>  
 كأهم في ظهور الخيل ثبت روا من شدة الملزم لامن شدة الملزم<sup>(٣)</sup>  
 طارت قلوب العدا من يأسهم فرقا فا تفرق بين البهم والهم  
 ولا ننس أن تستدررك على أنساق هذه النقطة - أن جملة القصر إذا جاءت  
 في نهاية المعنى الأدبي فإنها تحاول أيضاً تجميل ماقدم الأديب من عناصر معنائية  
 حتى تكون معاوية أيضاً لما تقدم من الماء .

وإنقرأ في هذا المصدّق قول حافظ إبراهيم في حادثة دنشواي :

أيها القائمون بالأمر فيها هل نسيم ولا ناما والودادا  
 خفضوا جوشكم وناموا هيشا<sup>(٤)</sup> وايقعوا صيدكم جبووا البلادا<sup>(٥)</sup>  
 وإذا أهوز تسک ذات طوق بين تلك الربا فصيدوا العيادة<sup>(٦)</sup>  
 لمساعن والحسام سواه لم تُنادر أطواقنا الأجيادا<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

(١) شاك السلاح : حادى السلاح سما : علامه . السلم : شجر يختار عنه الورد برائحته الجميلة .

(٢) تهدى : ترسّل ، وقوله : فتحسب الزهر في الأكام كل كي ، من التشيع للقلوب ، مبالغة في وجده الشيء .

(٣) بات روا وجده الشبه الاستقرار والثبوت . الملزم : الرأى والتدبر ، والزم (جستين) الربط والقصد .

(٤) جبووا البلاد : أقطعوها .

(٥) ذات طوق : الحامة التي لها طوق في عنقها يعذّل لونها .

(٦) الأطواق : أخالل الإسر والاستبداد ، والأجياد : الأعناف : جميع (جيد) .

أحسوا القتل إن ضلتم بغير أقصد أم كيادة  
أحسوا القتل إن ضلتم بغير أقصد أم كيادة  
لهم شعرى أثلاك (عنه: التفصيشه) عادت أم مهد « تيرون » عادا<sup>(١)</sup>  
كوف يخلو من القوى الشف من ضعيف أنى إليه القيادا  
إنها مشلة تشف عن الفه ظ ولمنا انتظركم أنا دادا  
أكرمونا بأرضنا حيث كيدهم إنما يكرم الجواود الجواود  
فالآيات الأربعة الأولى تنتهي بقول شاعر العيل (إنما يحن والحن سواء)  
وهذا البيت هو قمة العتاب الساخر من المغفل ، وتلك هي فسحة هذه الآيات  
الأربعة والآيات الأخيرة تنتهي بقوله :  
أكرمونا بأرضنا حيث كيدهم إنما يكرم الجواود الجواود  
ونذمه لبيت هو قمة التصوير لوقف الباطش القوى والضعف اللليل ، وتلك  
هي فسحة هذه الآيات .

ثالثاً : من الوجهين مما : —

نرى أن أسلوب التعبير يجب أن يتجاوب جانبهان — التقلي والمفعه  
في أداء المدى الجرئ الذي هو جزء من الفرض الأدبي؛ وبذلك يكون لأسلوب التعبير  
ـ باعتباره يؤدي معنى أصليا ـ دور هام في إظهار القدرة على الاتصال المطلق  
أو الاتصال الوجданى لمعنى العمل الأدبي ـ كما أسلفنا من أمثلة ذلك أن الأقدمين  
قد صرحو بأن مناط الجمال يجاوب المنطق والمعنى في أداء العمل الأدبي حيث يقول

(١) حاكم التفصيشه : حاكم طلاق قاسية لاصطعل الناس فرسه المدفع عن انفسهم  
تيرون : ملك روماني حالم أحرق مدينة روما وكان سبب وراء هذا الحريق .

ابن رشيق<sup>(١)</sup> : «اللقط جسم ، وروحة المدى ، وأرباطه به كارتيل الروح بالجسم : يتصف بصفة ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم للمدى وأختل بعض اللقط كان تفاصيل المدى — أي نوع الأدب الذي يتحدث عنه — وتجده عليه ، كما يعرض بعض الأجسام من العرج والشلل والدور وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضفت المدى وأختل بعضه كان للفظ من ذلك أثر حظ ، كذلك يعرض للأجسام من الأرض برص الأرواح ، ولا يجد معنى يختلف إلا من جهة اللقط ، وجريه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمنا من أدوات الجسوم والأرواح فإن اختل المدى كله وفسد بعض التفاصيل ، وإن كان حسن الطلاوة في المعنى ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء ، في رأي البعض ، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفهد قائلة ، وكذلك إن اختل اللقط جملة وتلاشى لم يصع له معنى ، لأننا لا نجد رواجاً في غير جسم البة » .

ونحن من هذا المنطلق نرفض أسلوب القصر في قول أبي القاسم بن هانى :

أصاحت فقلت : وقُعْ أَبْرَدْ شِيشِيمْ  
وَشَامَتْ فَقَالَتْ: لَمْ أَبْيَضْ مِنْدَمْ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا ذُعْرَتْ إِلَّا جَرَسْ حُلَيْبَةْ  
وَلَا رَمَّتْ إِلَّا بَرَى فِي مِنْدَمْ<sup>(٣)</sup>

ونقول مقالة ابن رشيق في التمهيد على هذين البيتين<sup>(٤)</sup> : « وليس تحت هذا

(١) المدة ج ١ / ١٢٤

(٢) أصاحت : أستن ، أجرد شيشيم : الأجرد : الفرس التصير الشمر ، شيشيم أي طويل الجسم ، والراد : الفرس الذي شامت : نظرت - أليس عذم : سيف ظالع .

(٣) البرى : جميع برة : كل حالة من سوار القرط أو الخطايا . المشتم : موطن الخطايا .

(٤) المدة ج ١ / ١٢٥

( ١٨ — بلاغة القسر )

كله إلا الفساد، وخلاف الراد، ما الذي يفينا أن تكون هذه المسوب بها  
لبست حلبيها، فنوهته بعد الإصابة والرجم وقع فرس أو لمع سيف؟ .

كما تقول : إن ألقاظ الشاعر الجزلة المفترة لأشعار إيهام بعاطفة الشاعر التي  
تسسيطر عليه ، بل تتفاوض معها .

إن عاطفة الشاعر هنا هي الطرف والفرح بالحبوبة التي تترقبه متزوجة بحملها  
وبهيجها ونضارتها ، وهذه العاطفة يجب أن يعود عنها رقة لاقمة ، وهذا  
لأضجيج ، ومن ثم كان المني في وادٍ والانفاس وادٍ آخر .

والحمد لله أولاً وآخرًا ، وصل التهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
سلوةً كثيرةً .

## أهم المراجع والالفهارس



## أهم مصادر البحث ومراجعه

- (١) الانتهاء في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الطاهري .
- (٢) أثر النحوة في البحث البلاخي : د. عبد القادر حسين ، مطبعة نهضة مصر .
- (٣) الاستئناف في مسائل الاستئناف : شهاب الدين القرافي ( تحقيق د. عادل محسن )  
بنداد ١٤٠٣ .
- (٤) الأسلوب : د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ( ط ٧ - ١٩٧٦ ) .
- (٥) الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة : محمد بن علي الجرجاني ت ٧٤٩  
( تحقيق د. عبد القادر حسين ) ، مطبعة نهضة مصر .
- (٦) الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن طيبة دار السكتب الأولى ١٩٢٧ م ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
- (٧) الاقضاب في شرح أدب الكتاب : ابن السيد البطليوسى ، دار الجهل ( بيروت ) ١٩٧٣ م .
- (٨) الاكسير في علم التفسير : سليمان بن عبد القوى الطوخي ، مكتبة الآداب ١٩٧٧ م
- (٩) إيماء واستعمالاتها في القرآن الكريم : د. نزيه عبد الحميد السيد فرج ،  
مطبعة الأكاديمية ١٩٨٣ م .
- (١٠) البحر المحيط : أبو حسان ، مطباع الدصر الخديوية بالرواض .
- (١١) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، ( تحقيق السيد أحمد صقر ) ، عيسى  
البابي الحلبي ط ١ ( ١٩٥٤ ) م .
- (١٢) تجريد البنائى على مقتضى سعد الدين الفقهازى : ط ٣ ، مطبعة بولاق ١٣١١ هـ
- (١٣) تفسير التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، ميسى البابى  
الحلبي ط ( ١٩٩٤ ) م .

- (١٤) تفسير القرآن المقام: ابن كثير، دار إحياء السكتب العربية عبد الباطن الحامى.

(١٥) التاريخ على التوضيح في أصول النّة: سعد الدين الفقازانى، مطبعة محمد عل صبيح

(١٦) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطىي، دار الشّعب.

(١٧) حاشية السيد الشّريف على النّطول: طبع أحد كامل ١٣٣٠هـ

(١٨) حاشية الصّبان على شرح الأئمّة: دار إحياء السكتب العربية عبد الباطن الحامى

(١٩) دراسات لأسس لغة القرآن الكريم: د. محمد عبد الخالق عصيمى، ط ١ (١٩٧٢م)، مطبعة السعادة بمصر.

(٢٠) دلائل الإعجاز: عبد القاهر البرججاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، ط ٤، دار المدار ١٣٦٧هـ

(٢١) دلالات التراكيب: د. محمد أبو موسى، ط ١ (١٩٧٩م)، مكتبة و MEDIA بالقاهرة

(٢٢) ديوان الأعنة الكبير: دار السكتب اللبناني

(٢٣) ديوان امرئ القيس: دار المعارف

(٢٤) ديوان أبي تمام: دار السكتب اللبناني

(٢٥) ديوان المنقى: شرح أبي البقاء المكبرى، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، مصطفى الباجي الحلى ١٩٧١ (الطبعة الأخيرة) وشرح ناصف اليازحي (دار القلم — بيروت).

(٢٦) ديوان الحسنة لأبي تمام، شرح التبريزى: (دار القلم — بيروت)

(٢٧) ذهر الآداب ونور الأدباء: أبو إسحاق الحصري، تحقيق د. ذكي مبارك محمد الدين عبد الحميد، ط ٣ (١٩٥٣م)، المكتبة التجارية.

(٢٨) شروح التلخيم: (الإيضاح الفزوي) — مختصر العائى سعد الدين الفقازانى مواعظ الفتاح لابن يعقوب — عروس الأفواح البهاء الدين السبكى — حاشية الدسوقى للرسوقي على مختصر العائى للسعدى). — مطبعة عبد الباطن الحامى

- (٤٩) الشوقيات : المكتبة التجارية  
(٥٠) الصاجي : أحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي  
(٥١) نفح البارى : شرح صحيح البخارى ، ابن حجر العسقلانى ، طبع دار  
المرفأ (بيروت) .  
(٥٢) مذكرة الشیخ سلیمان نواری الفصل والوصل والقمر : الطبیعه الثانية  
(٥٣) متفی اللیب : ابن هشام الانصاری ، تحقيق محمد مجید الدين عبد الحمید ،  
مطبعة محمد على صدیق .  
(٥٤) نشأة النحو و تاريخ أشهر النجاء : تأویل الشیخ محمد الطنطاوی ، تعلیق  
د. عبد المظلوم الشناوى ، د. محمد عبد الرحمن السکردوی ، معابدة المسادة  
(٥٥) نهاية الإیجاد في درایة الإعجاز : تفسیر الدين الزازی ، مطبعة الآداب  
والتأیید بمحضر ١٣١٧



## دليل البحث

الصفحة	ال موضوع
٦	تصدير : ( ٥ - ٦ ) طريق التجديد الأمثل في البحوث العلمية مشتملات البحث ( مقدمة وسبعة فصول )
<b>النقدية</b>	
٧	مدخل إلى دراسة أساليب القصر ( ٢١ - ٢٧ ) مادة القصر بين الاصطلاح اللغو والاصطلاح البلاغي
٩	طرق القصر
١٣	الزينة الفنية الباقية لهذه الطرق
١٥	مناقشات حول طرق القصر : مع الشیخ سليمان نوار
١٦	مع الدكتور إبراهيم أبیس
١٩	النشأة العلمية لأسلوب القصر واحتضان الدراسات الفيدرالية لها
٢٣	جذور البحث البلاغي لأسلوب القصر
٢٦	أول تقسيم للقصر ( صفة على موصوف ، وموصوف على صفة )
<b>الفصل الأول</b>	
٣٢	القصر بطرق التقى والاستثناء ( ٢٢ - ٢٤ ) وجه إفاده التقى والاستثناء معن القصر
٣٤	مقامات استخدام هذا الطريق عند الإمام عبد القاهر
٣٨	المراد بالصلة في باب القصر
٤٩	المراد بالموصوف في باب القصر
٤١	أمثلة قصر الفاعل على المفعول ، وأمثلة قصر المفعول على الماءع
٤٤	ما ذكر من كلامي ( صفة على موصوف ، وموصوف على صفة ) القصر بطرق الإيجاب والاستثناء

### الموضوع

الصيغة	
٤٨	حديث في توجيه الأدب من الإمام عبد القاهر
٥٥	تحليل هذا الحديث من ذيل الفزوى لاستدلاله نعم النصر إلى حقيق وإضاف
٥٦	تحليل هذا الحديث من بيان الاستنتاج،زيد من مفهومات استخدام هذا الماريق
٥٧	تقسيم النصر إلى حقيق وادعائي
٥٩	ذرييات النصر بعد المتأخر
٦٢	القيمة الفنية لهذه التسبيبات من وجهة نظرنا
٦٣	تقسيم النصر إلى حقيق وإضاف تقسيم يرفضه أئمَّةُ الفتوى أو العلم الضروري كما يسمى الأصوليون
٦٤	تقسيم النصر الإضافي تقسيم يرفضه الواقع الأدبى
٦٤	اعتقدوه المتأخر من حديث الإمام عبد القاهر من قبل التقسيم هو من قبل
٦٨	التخليل النسى للأسلوب
٦٩	مناقشات مع الدكتور إبراهيم آنس حول النصر بطريق النفي والاستثناء

### الفصل الثاني

#### النصر بطريق «إنما» (١٢١ - ٧٥)

٧٥	إجمال حديث الأصوليين عن هذا الطريق
٧٦	إجمال حديث النسخة من هذا الطريق
٧٧	النفاذ الإمام عبد القاهر بحديث حقيق الأصوليين من ضمن إنما، موقف النفي والإثبات
٧٨	عبد القاهر يذكر ثلاثة أدلة على إفادته (إنما) معنى النصر
٧٩	مناقشات المتأخرين والنسخة حول كلام الأصوليين
٨٠	المساكنى يقبل إلى النسخة في إفادته (إنما) معنى النصر
٨١	مناقشات المتأخرين والأصوليين حول كلام النسخة
٨٢	بهاء الدين السبكي يعنِّف وجهاً راجحاً لدلاة (إنما) على معنى النصر
٨٤	النصر به (إنما) مطرد عند البلاغيين

المادة	ال موضوع
	<b>مناقشات حول [إنما] مع بعض المحدثين :</b>

- |     |   |
|-----|---|
| ٨٥  | ١ - مع الدكتور محمد الأمين الشقرى   |
| ٩٤  | ٢ - مع الدكتور إبراهيم أبdis  |
| ٩٩  | ٣ - مع الدكتور عبد القادر حسین  |
| ١٠٤ | هل ([إنما]) بالمعنى ... تفيد التصرير مثل ([إنما]) - بالعكس ؟                        |
| ١٠٢ | آراء الماء في ذلك : الرحمنى   |
| ١٠٣ | أبو حیان - الصیان   |
| ١٠٤ | ابن حشام  |
| ١٠٥ | البيكى  |
| ١٠٦ | ثلاثة مقامات لاستخدام أسلوب ([إنما]) عند عبد القاهر                                 |
| ١١١ | مناقشة لهذه النتائج   |
| ١١٣ | اقرائح ينتقد الإمام عبد القاهر من أصور حديثه بجمل مقامات استخدام ([إنما]) ثلاثة خطب |
| ١١٣ | استنتاجات مقامات أخرى من الواقع الأدبي لاستخدامها                                   |

**الفصل الثالث**

**القصر بطرق المعرف (١٢٢ - ١٦١)**

حديث الإمام عبد القاهر عن القصر بطرق « لا » الماء منها :

- |     |   |
|-----|---|
| ١٢٣ | كتيبة القصر بها   |
| ١٢٤ | موضوعها   |
| ١٢٤ | مقاماتها  |
| ١٢٦ | موقع التصور عليه منها                                   |
| ١٢٦ | جوائز اجتนาها مع ([إنما])                               |
| ١٢٨ | عدم جواز اجتนาها مع (ما ولا)                            |
| ١٢٨ | شروط استعمالها الإفادة معنى القصر                       |
| ١٣٠ | جوائز اجتนาها مع ضمير الفصل ، والتعريف : « أى » الجنبية |

الصفحة	الموضوع
١٣١	جواز اجتنابها مع التصر
١٣٢	النصر : « لا غير » ، « ليس غير » ، « ليس إلا »
١٣٣	الحديث عن النصر : « بل » و « لكن »
١٣٥	مقامات استعمال طريق النصر بالمعنى من واقع الأساليب الأدبية
	مناقشات حول النصر بطريق العطف :
١٤٠	١ - مع الشیخ محمد بن علي الجرجاني
١٤٨	٢ - مع ابن الدين السبكي
١٥٤	٣ - مع الدكتور محمد حسنين أبو موسى
	<b>الفصل الرابع</b>
	النصر بطريق التقديم ( ٢٢٩ - ١٦٢ )
	النصر بهذا الطريق حبر الزاوية في لاكتشاف عن الصدقائق والآفاق
١٦٢	التف و الجودة الفنية في التعبير الأدبي
	تقسيم دراسة هذا الطريق إلى قسمين رئيسين
	أولها : التقديم بين جزأي الجملة ، ويشمل :
١٦٧	(١) تقديم المتد
١٧٢	(ب) تقديم لل minden إلية
	دراسة تفصيلية شاملة لهذا النوع الأخير مع بيان آراء العلماء ومذاهبهم
٢١٧-١٧٧	والترجيح لمضم الأراء من خلال الواقع الأدبي
	ثانيهما : التقديم في متطلقات الجملة ، ويشمل
٢٢٦-٢١٨	(أ) تقديم المتطلقات على الوسائل
٢٢٩-٢٢٦	(ب) تقديم المتطلقات ببعضها على بعض

المادة	ال موضوع
	<b>الفصل الخامس</b>

القسر بطريق تعریف رکن الاستئد  
أو أحدها - أی الجنس  
( ٢٢٠ - ٢٥٣ )

٢٣٠	أربعة ماءی « أی »
٢٣١	للمعنى الأول : الجنس
٢٣٢	المعنى الثاني : الاستغراق
٢٣٣	للمعنى الثالث : العهد الخارجي
٢٣٤	للمعنى الأصلی في هذه المائی وخلاف الماء في ذلك
٢٣٩	القسر بطريق « أی » الجنسية
٢٤٤	وقوع « أی » الجنسية في غير المبتدأ
٢٥٠	وقوع « أی » الجنسية في المبتدأ
٢٥٢	وقوع « أی » الجنسية في المبتدأ والخبر
٢٥٢	القسر : « أی » المهدية
٢٥٣	« أی » الجنسية أوسع ذكراً من « أی » المهدية

**الفصل السادس**

القسر بطريق ضمیر الفصل  
( ٢٥٤ - ٢٥٨ )

٢٥٤	ضمیر الفصل كثیر مع « أی » المهدية
٢٥٦	طريق القسر بضمیر الفصل أشدت طرق القسر
٢٥٨	مقامات استخدام هذا الطريق

**الفصل السابع**

بلغة النصر في شوه السکر النقدي الحديث

( ٢٧٤ - ٢٥٩ )

الحديث الشيخ سليمان نوار

الصفحة	ال الموضوع
٢٦١	حديث الدكتور أحمد حافظ حديثنا عن بلادة القصر
٢٦٦	أولاً : من الوجهة الفقهية
٢٦٩	ثانياً : من الوجهة المتنوية
٢٧٢	ثالثاً : من الوجهتين مما
٢٧٩ - ٢٧٧	أم مصادر البحث ومراجعه
٢٨٦ - ٢٨١	دليل البحث



رقم الإيداع / ٢٦٦٠ / ١٩٨٧

## استدراكات لأهم أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	ص
مدخل	مدخل	٦
فارقه	فارقه	
هادى	هادى	
تحبصش شيء بطرق	تحبصش شيء بطرق	٨
النصر	النصر	٩
أم	أم	١١
فليها	فليها	
إذ	إذ	١٢
الكتاب	الكتاب	
عبد القاهر (١)	عبد القاهر	١٤
(لا صلاة إلا بظهور)	(لا صلاة إلا بظهور)	٢٢
جامعة طريق المطاف الطريق	جامعة طريق المطاف الطريق	٩٣
نذكر	نذكرة	١١١
والتصور	والتصود	١٢٣
د. (إنما)	د. (إنما)	١٥٧



وَنَظَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُؤْمِنًا